بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التفسير

الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية

دراسة تأصيلية تطبيقية

The Guidance Orientation in the interpretation of the Quranic verses

An applied structural study

إعداد

سلطان عبدالله مطلق العازمي

الرقم الجامعي ٢٠١٥٢٩٠٠٠٥

إشراف

الأستاذ الدكتور زكريا علي محمود الخضر

حقل التخصص: التفسير

١٨ شعبان ١٤٤٠هـ

٢٤ / ٤ / ٢٠١٩م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرار لجنة المناقشة

الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية دراسة تأصيلية تطبيقية

إعداد الطالب: سلطان عبدالله مطلق العازمي

ماجستير تفسير، الجامعة الأردنية، سنة ٢٠١٥م.

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه أصول الدين، تخصص التفسير وعلوم القرآن، في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

لجنة المناقشة

أ.د. زكريا علي محمود الخضر ..... (مشرفًا رئيسًا)

أستاذ التفسير، قسم أصول الدين، جامعة اليرموك

أ.د. أحلام محمود مطالقة ..... (عضوًا)

أستاذ التربية الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك

أ.د. عماد عبدالكريم خصاونة ..... (عضوًا)

أستاذ التفسير، في جامعة آل البيت

د. يحيى ضاحي شطناوي ..... (عضوًا)

أستاذ مشارك في التفسير وعلوم القرآن، قسم أصول الدين، جامعة اليرموك

د. خالد نواف الشوحة ..... (عضوًا)

أستاذ مشارك في التفسير، قسم أصول الدين، جامعة اليرموك

١٨ شعبان ١٤٤٠هـ ، الموافق ٢٤ / ٤ / ٢٠١٩م

الإهـــــداء

أهدي هذه الأطروحة إلى ..

والديَّ .. حفظهما الله، وجعلني لهما من البارين ..

زوجتي .. بارك الله لي فيها ..

إخوتي .. جعلهم الله عونا لي ..

مشايخي .. نفعني الله بعلمهم ودعائهم ..

أصحابي وكل من نفعني ولو بنصيحة لإتمام هذا العمل

الباحث

سلطان العازمي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر

* قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

* فأشكر الله وأحمده حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على توفيقه لي بإتمام هذه الأطروحة.

* وأتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور زكريا علي محمود الخضر على ما حظيت به من إشرافه وتوجيهاته القيمة ونصائحه السديدة.

* كما أتوجه بجزيل الشكر للأساتذة المحكِّمين الأفاضل اللذين تفضلوا بقبول مناقشة رسالتي هذه، وإثرائها بآرائهم وتوجيهاتم القيمة.

* ولا أنسى أن أتقدم بالشكر وجميل العرفان لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة اليرموك، وأخص قسم أصول الدين، الذي تفضل بقبول انتسابي إليه، وأن أنهل من معينه العذب.

* ثم أشكر كذلك كل العلماء الأجلاء وطلبة العلم الذين ساندوني في مسيرتي أثناء البحث، فاستفدتُ من آرائهم وتوجيهاتهم، وإلى كل من أعانني ولو بدعوة صالحة، أقول لهؤلاء جميعًا جزاكم الله عني كل خير.

الباحث

سلطان العازمي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحتوى

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	**ب**
الإهداء	**ج**
الشكر	**د**
المحتوى	**هـ**
الملخص	**ل**
المقدمة	**١**
مشكلة الدراسة وأسئلتها	١
أهمية الدراسة	٢
أهداف الدراسة	٣
الدراسات السابقة	٤
منهجية الدراسة	٦
خطة الدراسة	٧
الفصل الأول **معنى الاتجاه الهدائي، والآيات الكونية، وأبرز المصنفات التي ظهرت فيها**	**٩**
تمهيد	**١٠**
المبحث الأول: تعريف الاتجاه الهدائي؛ ونشأته وتطوره	**١١**
المطلب الأول: تعريف الاتجاه الهدائي لغة واصطلاحا	١٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	الموضـــوع
١٢	الفرع الأول: الاتجاه الهدائي لغة
١٤	الفرع الثاني: الاتجاه الهدائي اصطلاحًا
١٩	**المطلب الثاني:** نشأة الاتجاه الهدائي في التفسير وتطوره
٢٠	الفئة الأولى: المفسرون القدماء
٢٤	الفئة الثانية: المفسرون المحدثون
٤٨	**المبحث الثاني: مفهوم الآيات الكونية في القرآن الكريم، وبواعث الهداية فيها**
٤٩	**المطلب الأول:** الآيات الكونية لغة واصطلاحا
٤٩	الفرع الأول: الآيات الكونية لغة
٥٠	الفرع الثاني: الآيات الكونية اصطلاحًا
٥٥	**المطلب الثاني:** بواعث الهداية في الآيات الكونية
٦٣	**المبحث الثالث: المصنفات التي برز فيها الاتجاه الهدائي**
٦٤	**تمهيد**
٦٥	**المطلب الأول:** الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي
٦٥	الفرع الأول: نبذة عن حياة المؤلف
٦٥	الفرع الثاني: منهجه في التفسير
٦٦	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٧٠	**المطلب الثاني:** تفسير المنار لمحمَّد رَشِيد رِضا
٧٠	الفرع الأول: نبذة عن المؤلف
٧٠	الفرع الثاني: منهجه في التفسير

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	الموضوع
٧١	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٧٥	**المطلب الثالث:** مجالس التذكير لابن باديس
٧٥	الفرع الأول: نبذة عن المؤلف
٧٥	الفرع الثاني: منهجه في التفسير
٧٦	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٨٠	**المطلب الرابع:** في ظلال القرآن لسيد قطب
٨٠	الفرع الأول: نبذة عن المؤلف
٨٠	الفرع الثاني: منهجه في التفسير
٨١	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٨٣	**المطلب الخامس:** خواطر حول القرآن الكريم للشعراوي
٨٣	الفرع الأول: نبذة عن المؤلف
٨٣	الفرع الثاني: منهجه في التفسير
٨٤	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٨٧	**المطلب السادس:** التفسير المنير لوهبة الزحيلي
٨٧	الفرع الأول: نبذة عن المؤلف
٨٧	الفرع الثاني: منهجه في التفسير
٨٨	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٩٢	**المطلب السابع:** أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري
٩٢	الفرع الأول: نبذة عن المؤلف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	الموضوع
٩٢	الفرع الثاني: منهجه في التفسير
٩٣	الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية
٩٦	**الفصل الثاني** **الضوابط الناظمة للاتجاه الهدائي، وطرائق التعبير عنه**
٩٧	**تمهيد**
٩٨	**المبحث الأول: الضوابط العامة والخاصة الناظمة للاتجاه الهدائي**
٩٩	**المطلب الأول:** تعريف القواعد والضوابط
٩٩	أولا: الضابط لغة واصطلاحا
٩٩	ثانيا: القاعدة لغة واصطلاحا
١٠٠	ثالثًا الفرق بين الضابط والقاعدة
١٠٢	**المطلب الثاني:** الضوابط العامة الناظمة للاتجاه الهدائي
١٢٥	**المطلب الثالث:** الضوابط الخاصة الناظمة لمفسر الاتجاه الهدائي
١٦١	**المبحث الثاني: الضوابط الناظمة لطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية في الاتجاه الهدائي**
١٧٠	**الفصل الثالث** **أنواع الهدايات القرآنية ومجالاتها، وأساليب عرضها**
١٧١	**تمهيد**
١٧٢	**المبحث الأول: أنواع الهدايات القرآنية**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	الموضوع
١٧٣	**المطلب الأول:** الهداية المتعلقة بشؤون الحياة الدنيا
١٧٨	**المطلب الثاني:** الهداية المتعلقة بجوانب الحياة الآخرة
١٨٠	**المبحث الثاني: مجالات الهدايات القرآنية**
١٨١	**تمهيد**
١٨٢	**المطلب الأول:** هدايات في العقيدة
١٨٥	**المطلب الثاني:** هدايات في العبادة
١٨٨	**المطلب الثالث:** هدايات في المعاملات
١٩١	**المطلب الرابع:** هدايات في الأخلاق والسلوك
١٩٤	**المطلب الخامس:** هدايات العلوم الطبيعية والكونية
١٩٧	**المبحث الثالث: أساليب القرآن الكريم في عرض الهدايات**
١٩٨	**تمهيد**
١٩٩	**المطلب الأول:** أسلوب ضرب الأمثال
١٩٩	أولا: تعريف المثل لغة واصطلاحًا
٢٠٠	ثانيًا: المثل في القرآن
٢٠٣	**المطلب الثاني:** أسلوب الترغيب والترهيب
٢٠٣	أولا: تعريف الترغيب والترهيب لغة واصطلاحًا
٢٠٣	ثانيًا: الترغيب والترهيب في القرآن
٢٠٧	**المطلب الثالث:** أسلوب التحدي والإعجاز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	الموضوع
٢٠٩	**المطلب الرابع:** أسلوب الاستفهام
٢٠٩	الأول: الاستفهام الحقيقي
٢٠٩	الثاني: الاستفهام غير الحقيقي
٢١٥	**المطلب الخامس:** أسلوب القسم
٢٢٤	**المطلب السادس:** أسلوب الشرط
٢٣٠	**الفصل الرابع** **محاور الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية وأثرها على الفرد والمجتمع – دراسة تطبيقية**
٢٣١	**تمهيد**
٢٣٢	**المبحث الأول: محاور الاتجاه الهدائي للآيات الكونية**
٢٣٣	**تمهيد**
٢٣٤	**المطلب الأول:** الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك
٢٤٥	**المطلب الثاني:** دعوة الأنبياء من خلال الآيات الكونية لإثبات وحدانية الله
٢٥٢	**المطلب الثالث:** سوق الآيات الكونية لإرشاد البشرية إلى ما يصلحها
٢٦٠	**المطلب الرابع:** تحفيز الآيات الكونية على البحث والاكتشاف
٢٧٠	**المبحث الثاني: آثار هدايات الآيات الكونية على واقع الأفراد والأمة**
٢٧١	**تمهيد**
٢٧٢	**المطلب الأول:** رسم معالم منهج الدعوة الإسلامية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	الموضـــوع
٢٧٦	**المطلب الثاني:** التمكين لأهل الإيمان
٢٧٩	**المطلب الثالث:** تحقيق تقوى الله عز وجل
٢٨٣	**المطلب الرابع:** التفكر والتدبر والاعتبار
٢٨٨	**الخاتمة**
٢٨٨	أولا: النتائج
٢٨٩	ثانيًا: التوصيات
٢٩٠	**الفهارس العامة**
٢٩١	**فهرس الآيات**
٣٠٩	**فهرس الأحاديث والآثار**
٣١٠	**قائمة المراجع والمصادر**
٣٣٦	**الملخص باللغة الانجليزية**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخص

العازمي، سلطان عبدالله مطلق، الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية دراسة تأصيلية تطبيقية، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، سنة ٢٠١٩، إشراف أ.د زكريا علي محمود الخضر

تهدف هذه الدراسة لبيان معنى الاتجاه الهدائي في التفسير، والظروف التي دعت إليه، وأبرز رواده، ومضامينه العلمية المنهجية، كما بينت تعريف الآيات الكونية، وبواعث الهداية فيها، ثم تناولت أهم التفاسير التي انتهجت الاتجاه الهدائي. وأبانت هذه الأطروحة عن طرائق الاستنباط لتلك الهدايات القرآنية، والضوابط العامة والخاصة الناظمة لهذا الاتجاه، وهي محاولة لتحديد منهجية علمية خاصة بالاتجاه الهدائي، تحفظه من تحريف الكلم عن مواضعه، كما بينت العلاقة التي تربط بين الاتجاه الهدائي باتجاهات التفسير الأخرى، إذ يعد التفسير الهدائي هو الثمرة التي يرتجيها كل مفسر. وانطلقت منهجية هذه الأطروحة من جانبين: جانب نظري علمي تأصيلي، وآخر تطبيقي مدعمًا بالأمثلة العملية من كتب التفسير قديمًا وحديثًا. وقد تبلورت معالم هذا البحث باستقراء هذا المنهج من كتب التفسير عامة، والمهتمين بدراسات هذا الاتجاه خاصة، ثم تحليل تلك النصوص لنخرج برؤية شاملة تجمع بين المعرفة النظرية والاستنباط الذي تقود إليه الدراسة العملية، وبذلك نحدد ما لا يستغني عنه المفسر الهدائي، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أهمها: أن المفسر الهدائي قادر على تسخير شتى أنواع العلوم التي لا يستغني عنها أي مفسر دون أن تخرجه عن الهدف الرئيس وهو الهداية الإلهية للبشر، والاتجاه الهدائي في التفسير يعمل على تصحيح عقيدة العباد وعبادتهم ومعاملاتهم وسلوكهم، الآيات الكونية مجال خصب لإبراز الهدايات القرآنية التي تدعو لصلاح العباد.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الاتجاه الهدائي، القرآن، الآيات الكونية.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإن تأصيل العلوم الشرعية، وتقديم الدراسات العلمية المركزة من أهم الوسائل التي تساعد في ضبط المنهجية التي تحكم مسار أي علم وتخصُّص؛ ومع توسع مسارات العلوم الشرعية، وتعدد تخصصاتها كان لا بد من وجود دراسات في كل تخصص لتضبط أصوله وفروعه، ومن ذلك ما يتصل بعلم هدايات القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم كتاب الله عز وجل المنزّل للناس هدايةً ورحمةً، جعله الله نورا للعباد، يهديهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وإلى صراط الله المستقيم، وسبيله القويم، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وسأقوم في هذه الأطروحة بدراسة **(الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية، دراسة تأصيلية تطبيقية)**، أذكر من خلالها نماذج تفسيرية للآيات الكونية في العهدين المكي والمدني، وأبين أثر هذا الاتجاه في تفسير القرآن الكريم على واقع الأفراد والأمة في زماننا المعاصر.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

هي محاولة للوقوف على الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية، وبيان أثرها على المجتمعات في تعاملهم بين بعضهم بعضا؛ سواء أكان هذا التعامل سياسيًا أم اقتصاديا أم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اجتماعيا...، وهذا بلا شك توضيح لمعالم الطريق الصحيح الذي ينبغي أن تسير عليه الأمة، وهو مشروع عام يشمل مناحي الحياة كافة.

ويمكن تحديد أسئلة البحث فيما يلي:

١- ما مفهوم الاتجاه الهدائي في التفسير؟ وكيف نشأ؟

٢- من أهم رواد هذا الاتجاه، والتفاسير التي اعتنت به؟

٣- ما علاقة هذا الاتجاه بأنواع التفاسير الأخرى؟

٤- ما ضوابط الاتجاه الهدائي، وطرق التعبير عنه؟

٥- ما أنواع الاتجاه الهدائي ومجالاته، والأساليب المتبعة في عرضه؟

٦- ما أسلوب القرآن في تحديد هدايات الآيات الكونية؟

٧- ما أثر هدايات الآيات الكونية على الفرد والمجتمع؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الأمور الآتية:

١- أهمية الموضوع تأتي من خدمته لكتاب الله تبارك وتعالى، من جهة فهم أحد اتجاهات التفسير الكلية والتفصيلية للمحور الذي تدور في فلكه السورة القرآنية.

٢- تلمس الأصول النظرية لهذا الاتجاه التي مازالت تحتاج إلى التأصيل العلمي، وقد وُجدت دراسات علمية، لكنها تحتاج لمزيد من البحث والمدارسة.

٣- هذه الدراسة متخصصة في إبراز الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية، وهذا اللون من أنواع التفسير قد بحثته كتب علوم القرآن الكريم من الجانب النظري التأصيلي، والجانب التطبيقي أيضا، وإسهامات المفسرين في هذا الاتجاه متفاوتة من تفسير لآخر، فمنهم من اكتفى بالإشارة إلى بعض الهدايات، ومنهم من تناوله على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عجالة، لذا مازال البحث بحاجة إلى تنقيب عن عميق معانيه.

٤- إبراز الدور الإيجابي لهذا الاتجاه في تفسير القرآن الكريم وأثره على الفرد والمجتمع، لا سيما في زمان الضعف الذي آلت إليه الأمة، فانتابها اليأس والقنوط، فباتت الحاجة ماسّة لاستقراء هذا الاتجاه لما له من أثر في عودة الأمل إليها، وزرع الثقة في نفوس أبنائها بإحسان ظنهم بخالقهم جل في علاه.

٥- عدم وقوفي على دراسة متخصصة خدمت الموضوع من جوانبه السابقة كلها لا سيما الجانب التطبيقي، وإن كانت هناك دراسات بحثت الموضوع من الجانب التأصيلي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة بشكل رئيس إلى إبراز منهج الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية، وبيان أثرها على واقع الأفراد والأمة، ومن أهم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها:

١- توضيح معنى الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية، وأنواعه وخصائصه التي تميزه، وإبراز أهميته لا سيما في العصر الحديث.

٢- الوقوف على أبرز المصنفات التي ظهر فيها الاتجاه الهدائي، وذلك لتعميق الوعي بأهمية هذا الاتجاه في تفسير القرآن الكريم.

٣- عرّفتُ الاتجاه الهدائي بما يتناسب مع رؤيته العلمية.

٤- الوقوف على خصائص هذا الاتجاه، وحدوده، ومناقشتها، وبيان أركانه وشروطه.

٥- تحديد الضوابط الناظمة للاتجاه الهدائي، وطرق التعبير عنه.

٦- عرض أنواع الهدايات وأبرز مجالاتها، والتعرف على أساليب القرآن في عرضها.

٧- ضرب أمثلة عملية لبيان أثر الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية مكيها ومدنيها على واقع الأمة في مجالات الحياة المختلفة، ودوره في تجديد ثقافة الأمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إسهامًا في تجاوز حالة التراجع في الميادين الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

الدراسات السابقة:

الاتجاه الهدائي في تفسير القرآن الكريم موضوع جديد نسبيًّا من جهة جعله اتجاهًا مستقلا في التفسير، تناولته من الجانب النظري بعض الدراسات التي بحثت في اتجاهات التفسير ومناهجها، وذكرت في الجانب التطبيقي بعض الأمثلة اليسيرة لهذا النوع من التفسير، وهي:

١- الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، أعده فريق من الباحثين، في عمادة البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، وهم: طه عابدين طه حمد، ياسين بن حافظ قاري، فخر الدين الزبير علي، الناشر: مكتبة المتنبي، ط١، سنة ٢٠١٧م. وهي عبارة عن دراسة تأصيلية عامَّة في موضوع هدايات القرآن في المجالات المختلفة، ينقصها التفصيل الدقيق للاتجاه الهدائي، وقد استفدتُ من عموم الرسالة كضوابط الاتجاه الهدائي، وغيرها، وتختلف هذه الدراسة في التركيز على الاتجاه الهدائي، نشأته وأركانه، وشروطه، والجوانب التطبيقية في إسقاط الاتجاه الهدائي على الآيات الكونية، حيث اعتمدت هذه الرسالة على استقراء الآيات القرانية لاستخلاص النتائج.

٢- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلماء القرآن، إشراف مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م. تناول فيها الباحثون علاقة أوائل السور بأواخرها، مع تقسيم السور إلى مقاطع، وشرح إجمالي لكل مقطع مع ربط المقاطع مع بعضها بعضا، واستخلاص الدروس والعبر منها.

وتختلف دراستي بإبراز الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات الكونية، وبيان أثرها على واقع الأمة، على خلاف الدراسة السابقة التي تميزت بالشمول وعدم الاختصاص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- الاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث: معالمه وأعلامه، عبدالرحمن شقيقي، سنة ٢٠١٦م. لم يتسنَّ لي الوقوف عليها بعد بحث طويل.

وأظن أنه هذه الدراسة تبحث في التعريف بالاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث فقط كما هو ظاهر من عنوانها، وتبرز معالمه التي امتاز بها عن غيره من ألوان التفسير الأخرى، كما تذكر أشهر أعلامه الذين امتازوا به في العصر الحديث. وفي هذه الدراسة لم أقتصر على العصر الحديث، إنما توسعت في ذلك ليشمل عصر المتقدمين والعصر الحديث.

٤- الاتجاه الهدائي في التفسير في العصر الحديث في مصر، سيد محمود محمد، وهو من عنوانه متعلق بدراسة التفاسير التي تعلقت بالاتجاه الهدائي في العصر الحديث في مصر خاصة، من حيث التعريف بها، وبيان بعض المناهج التي سارت عليها. لم أقف عليها أيضا.

كما وقفت على مجموع من الكتب التي لها تعلّق بالبحث، واستفدت منها، من ذلك:

١- الكتب التي اعتنت ببيان مناهج المفسرين، وتناولت بين طياتها الاتجاه الهدائي، ومنها: المفسرون حياتهم ومناهجهم سيد محمد علي ايازي، التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، واتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا، فضل حسن عباس، واتجاهات التفسير في العصر الحديث، عبدالمجيد المحتسب، واتجاه التفسير في العصر الحديث لمصطفى محمد الطير، واتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر، محمد إبراهيم شريف.

٢- بعض كتب التفسير لا سيما التي اعتنت بإبراز الجانب الهدائي، ومن أهمها: الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير ابن باديس، في ظلال القرآن لسيد قطب، تفسير الشعراوي (الخواطر)، التفسير المنير لوهبة الزحيلي، أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، تفسير أحمد بن مصطفى المراغي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأبي بكر البقاعي، التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الأساس في التفسير لسعيد حوى وغيرها، مما له عناية بهذا الاتجاه من تفسير القرآن الكريم.

٣- الكتب التي اعتنت بمقاصد السور، كونها تظهر أن غاية إنزال القرآن هداية العباد، ومعالجة السلوكيات الخاطئة، ومن أهم الكتب في هذا المجال: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور لأبي بكر إبراهيم بن عمر البقاعي، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم لعبدالله محمود شحاته، علم مقاصد السور لمحمد عبدالله الربيعة، أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، لمحمد بن إبراهيم الحمد، ومقاصد أسماء سور القرآن الكريم لسيف الجابري، وله أيضا: أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات.

خلاصة القول: إنه مع إفادتي من هذه الكتب والرسائل القيمة إلا أن دراستي هذه امتازت ببعض الإضافات عن الدراسات السابقة؛ إذ تكمن إضافة هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في الآتي:

١- إبراز الضوابط الناظمة لهذا النوع من تفسير القرآن وقواعده التي يسير عليها من حيث الاستنباط.

٢- التعرف على أبرز المصنفات التي ظهر فيها الاتجاه الهدائي في التفسير.

٣- ذكر انواع الهدايات ومجالاتها، ثم الأساليب الهدائية ومحاورها، وأثر ذلك كله على حياة الفرد والمجتمع.

٤- إبراز أثر الآيات الكونية في هداية العباد.

منهجية الدراسة:

سأتبع في هذه الدراسة المناهج الآتية:

أولا: المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع جزئيات الموضوع من خلال الدراسات الخاصه به،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما استجد فيه من أبحاث.

ثانيا: المنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل النصوص القرآنية التي تناولت الآيات الكونية وإبراز الجانب الهدائي فيها.

ثالثا: المنهج الاستنباطي: استنبطت من خلاله النتائج والمعلومات الخاصة بالموضوع.

خطة الدراسة:

تشتمل الدراسة على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، والإضافة العلمية، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

الفصل الأول: معنى الاتجاه الهدائي، والآيات الكونية، والمصنفات التي برز فيها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول : تعريف الاتجاه الهدائي؛ ونشأته وتطوره.

المبحث الثاني : مفهوم الآيات الكونية في القرآن الكريم، وبواعث الهداية فيها.

المبحث الثالث : المصنفات التي برز فيها الاتجاه الهدائي.

الفصل الثاني: الضوابط الناظمة للاتجاه الهدائي، وطرائق التعبير عنه

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد.

المبحث الأول : الضوابط العامة والخاصة الناظمة للاتجاه الهدائي.

المبحث الثاني : الضوابط الناظمة لطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية في الاتجاه الهدائي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث: أنواع الهدايات القرآنية ومجالاتها، وأساليب عرضها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول : أنواع الهدايات القرآنية.

المبحث الثاني : مجالات الهدايات القرآنية.

المبحث الثالث : أساليب القرآن الكريم في عرض الهدايات.

الفصل الرابع: محاور الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية وأثرها على الفرد والمجتمع – دراسة تطبيقية

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد.

المبحث الأول : محاور الاتجاه الهدائي للآيات الكونية.

المبحث الثاني : آثار هدايات الآيات الكونية على واقع الأفراد والأمة.

الخاتمة: وفيها النتائج، والتوصيات.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

معنى الاتجاه الهدائي، والآيات الكونية،

وأبرز المصنفات التي ظهرت فيها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول : تعريف الاتجاه الهدائي؛ ونشأته وتطوره.

المبحث الثاني : مفهوم الآيات الكونية في القرآن الكريم، وبواعث الهداية فيها.

المبحث الثالث : المصنفات التي برز فيها الاتجاه الهدائي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

الاتجاه الهدائي في التفسير حديث نسبيا كمصطلح علمي دال على مفهوم معين، وقد حاولت في هذا الفصل تجلية هذا المعنى متتبعًا نشأته وتطوره قديما وحديثا حتى تبلور كاتجاه تفسير مستقل، كما تناول أيضا الآيات الكونية، وكوامن الهداية فيها، وأخيرا كان لا بد لي من أن أتناول بعض التفاسير التي التي لها علاقة وثيقة بالهداية المرتبطة بالآيات الكونية، والله المستعان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف الاتجاه الهدائي؛ ونشأته وتطوره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الاتجاه الهدائي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : نشأة الاتجاه الهدائي في التفسير وتطوره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الاتجاه الهدائي لغة واصطلاحا

سأبين في هذا المطلب معنى الاتجاه الهدائي لغة واصطلاحا، من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: الاتجاه الهدائي لغة:

الاتجاه: مصدر الفعل اتجه، يقال: اتجه إليه: أقبل بوجهه عليه، ويقال: هذا اتجاه الساحل: طريق وسبيل، ويقال: فلان ذو اتجاه فكري معتدل، أي: نزعة وميل(١).

والهدايات: مفردها هداية، مصدر من الفعل هدى، وقد ورد جذر الفعل (هدى) ومشتقاتها على معان متعددة في اللغة(٢)، ومنها:

– هدَى فلان يهدي هُدًى، وهَدْيًا وهِداية: استرشد، يُقال: هدى فلَان هَدْيَ فلَان: سَار سيره، وهَدَى فُلَانًا الطَّرِيق وله وإليه: عرَّفه وبيَّنه لَهُ، والهادي: المرشد، يقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧](٣).

---

(١) ينظر: عمر، أحمد مختار وفريق عمل معه. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، سنة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م (٢٤٠٧/٣)، ومصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد وعبدالقادر، حامد والنجار، حامد. المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، ط بلا، سنة بلا. (١٠١٥/٢).

(٢) وردت في القرآن على معان عدة، تنظر عند: أبي هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت نحو ٣٩٥هـ). الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م. (ص٤٩٧)، وابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م. (ص٦٢٦)، والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ). بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط بلا، سنة ١٩٩٦م. (٣١٤/٥).

(٣) ينظر: ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ). المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– اهتدى، واهتدى إلى، واهتدى بـــ، يهتدي، يقال: اهتدى الشَّخصُ: استبان طريق الحقّ، واهتدى العاصي: طلب الهداية، واهتدى الرَّجلُ امرأتَه: أمالها إليه، واهتدى الفرسُ الخيلَ: صار في أوائلها، واهتدى إلى الطَّريق: عرَفها[1].

– وكذلك الأفعال (أهدى) و(تهدَّى) و(استهدى) و(هادى) تدل على الإرشاد بوجه من الوجوه[2]، يقول ابن عطية: «لكنَّها تتصرَّف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، وكلها إذا تُؤمِّلت رجعت إلى الإرشاد، فالهدى يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ ﴾ [البقرة: ٥] ...»[3]، ويعلق الفيروزآبادي على كلام ابن عطية بقوله: «وهو صحيح، ولم يذكر أهل اللغة فيها إلاَّ أنَّها بمعنى الإرشاد، والأَصل عدمُ الاشتراك»[4].

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الهدى والإرشاد، فالهدى يكون في الخير والشر، ودليله قوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: ٢٣]، ولا يكون الإرشاد إلا إلى الخير[5].

=

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـــ، ٢٠٠٠م. (٣٧١/٤)، وابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـــ). لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـــ. (٣٥٣/١٥)، وعمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٣٣٦/٣)، وإبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط (٩٧٨/٢).

(١) ينظر: عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٣٣٦/٣).

(٢) ينظر: ابن فارس القزويني، أحمد (ت٣٩٥هـــ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط بلا، سنة ١٣٩٩هـــ، ١٩٧٩م. (٤٢/٦).

(٣) ابن عطية الأندلسي، عبدالحق بن غالب (ت٥٤٢هـــ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـــ. (٧٣/١).

(٤) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٣١٢/٥).

(٥) ينظر: أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر (ص٤٩٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويرى جبل المعنى المحوري لمادة (هدى) وهو: تبيّن الوجهة أو تبيينها بالتقدم أو الكشف[١]، ويظهر لي أنّ حملها على الدلالة والإرشاد والبيان أولى، لاطراد معناها من جهة، ولتقرير علماء اللغة لهذا المعنى من جهة أخرى.

الفرع الثاني: الاتجاه الهدائي اصطلاحًا:

لم يرد لفظ (الاتجاه الهدائي) كمصطلح علمي عند علمائنا القدماء، فكان لزما عليّ أن أُعرّف بجزأي هذا المركب اللفظي: الاتجاه، والهداية.

ذكر العلماء وأهلُ التفسير عدة تعريفات للاتجاه، من ذلك:

– تعريف الشريف أنه: «مجموعة الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري –كالتفسير– بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية، تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير، ولونت تفسيره بلونها»[٢].

– وعرف الرومي الاتجاه بأنه «الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون»[٣].

فالاتجاه في مفهوم المعاصرين؛ نزعة علمية تغلب على صاحبها ويصطبغ بها عمله حتى يعرف بها.

---

(١) ينظر: جبل، محمد حسن. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، د.ت. (ص٢٢٩٣).

(٢) ينظر: الشريف، محمد إبراهيم. اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، الناشر: دار السلام، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م. (ص٦٠).

(٣) الرومي، فهد. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م. (٢٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الهداية فقد ورد تعريفها في ثنايا كلام العلماء والمفسرين، وهذه جملة من تعريفاتهم علَّها تقودنا إلى تعريف جامع للاتجاه الهدائي:

١- عرَّف الفخر الرازي (الهداية) بقوله: «الإرشاد إلى النبوة والرسالة»[١].

٢- وعرفها الراغب الأصفهاني: «هي الإرشاد إلى الخيرات قولاً وفعلاً»[٢].

٣- وعرفها الجرجاني، بأنها: «الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب»[٣]. وبنحوه الكفوي[٤]، وأما تعريف الجرجاني فقد نقله جمع من العلماء القدماء والمحدثين[٥].

ويتبين لي أنّ معنى قول الجرجاني: (الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب)؛ أي ما يُفْهم

---

(١) الفخر الرازي، محمد (ت٦٠٦هـ). مفاتيح الغيب، وهو تفسيره المعروف باسم: التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، سنة ١٤٢٠هـ. (٥٣/١٣).

(٢) الراغب الأصفهاني أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: محمد عبدالعزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. (٦٠/١).

(٣) الجرجاني، علي بن محمد (ت٨١٦هـ). التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. (ص٢٥٦).

(٤) الكفوي، أيوب بن موسى، أبو البقاء (ت١٠٩٤هـ). الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م. (ص٩٥٢).

(٥) ينظر: أبو السعود العمادي، محمد (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وهو تفسيره، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت. (١٦٧/٩)، والسيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م. (٢١٣/١)، ورضا، محمد رشيد (ت١٣٥٤هـ). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ط بلا، سنة ١٩٩٠م، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. (٥٢/١)، والمراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ). تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، سنة ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م. (٣٥/١)، والقاسمي، محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ). محاسن التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٨هـ. (٣٥٥/٦)، وغيرهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من اللَّفظ عند إطلاقه، وهو مراد الله لعباده بلفظ واضح ومعنىً بيِّن يوصلك إلى المطلوب من هداية الله لعباده ببيان طريق الخير وما يؤدي إليه، وطريق الشر وما يوقع فيه، وهذا هو أصل النبوة؛ لأنَّ مدارها هداية بيان وإرشاد، وهي تعم الكافر والمؤمن[١].

وألحظ أن تعريفات العلماء القدماء تتشابه بالمضمون وإن اختلفت بعض ألفاظهم.

وأما المحدثون فلهم تعريفات متعددة، فقد عرف ابن عاشور (الهداية) بأنها: «مراد الله تعالى من الناس، وأنه لم يتركهم في ضلالهم، فمن اهتدى فبإرشاد الله، ومن ضل فبإيثار الضالّ هوى نفسه على دلائل الإرشاد»[٢].

ودلالة هذا التعريف قررها بعض المفسرين القدماء كأبي السعود[٣]، ولكن ما يهمنا من هذا التعريف هو تقييد الهداية على (مراد الله تعالى)، وهذا قيد مهم؛ لأنَّ الهداية ينبغي أن تكون على مراد الله كما بيَّنها رسوله صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، وفهمها الصحابة، فيستبعد منها كل رأي شاذ أو مرجوح.

وعرفَّها الشعراوي: «الطريق الذي إن سار فيه الإنسان فهو يؤدي به إلى تحقيق المهمة المطلوبة منه؛ لأنَّ الحقَّ سبحانه قد جعله الخليفة في الأرض»[٤].

فالهداية في التعريفات السابقة: دلالة بيان وإرشاد على مراد الله، تهدي من فَهِمَها وعمل

---

(١) ينظر: الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ). النكت والعيون، تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت. (٣٤١/٩).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ). التحرير والتنوير، وهو تفسيره، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ط بلا، سنة ١٩٨٤هـ. (١٨٠/١٣).

(٣) أبو السعود، تفسيره (١٦٧/٩).

(٤) الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. الخواطر، وهو تفسيره، الناشر: مطابع أخبار اليوم، سنة ١٩٩٧م. (٥٩٧٠/١٠)، وله تعريف آخر مقارب (٦٤٣/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بها إلى صراط الله، ولكنَّ هذه التعريفات تناولت (الهداية) بشكل عام دون أن تُؤسِّس لعلم معين أو تُقعِّد للاتجاه الهدائي كمنهج تفسير؛ وقد سقتها لأتوصل إلى تعريف جامع للاتجاه الهدائي.

وقد حدد كرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى الهداية أو الاتجاه الهدائي في التفسير بأنه: «الدلالة المبيِّنة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير، وتمنع من كل شر»[1].

وهذا التعريف أقرب ما يكون تعريفًا للهداية، لا للاتجاه الهدائي، ويؤخذ عليه أيضًا عموميته كالتعريفات السابقة؛ بمعنى أنه لا يؤسس لمفهوم اتجاه تفسيري.

مما تقدم يمكن تعريف الاتجاه الهدائي في التفسير -كما أراه- هو «**تفسير يقوم على إظهار إرشادات القرآن الكريم وفق ضوابط وشروط**».

وقد راعى هذا التعريف المرتكزات والحدود الآتية:

- يقوم على إظهار: الهدايات هدف يسعى المفسر لتحقيقه حتى يغلب تفسيره عليها فيعرف بها، فيقال: غلب عليه التفسير البياني، أو اللغوي أو الهدائي. والهدايات أيضًا اتجاه باعتبارها إطار نظري له قواعد وأحكام تطبق للوصول إلى الغاية الكبرى، وهي نيل رضا الله.

- (إرشادات القرآن الكريم) إظهار الإرشادات القرآنية هو الهدف الذي يسعى المفسر لتحقيقه؛ وهذه الإرشادات هي كل ما أقرّه القرآن جلبًا للخير أو دفعًا للشر، سواء أكانت تلك الإرشادات عقدية أم فقهية أم خلقية أو فكرية، فكلها تعاليم هادية إلى صراط مستقيم، محذرة من سبل الشيطان الرجيم، فهي النور للبشرية جمعاء، وهي الحجة الإلهية على بني آدم، فلا عذر

---

(١) حمد، طه عابدين طه حمد قاري، ياسين بن حافظ علي، فخر الدين الزبير. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، الناشر: مكتبة المتنبي، ط١، سنة ٢٠١٧م. (٤٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمعتذر، ولا حجة لمنكر كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤- ١٥]، ولكن إظهار تلك الهدايات يتحصل دون إسهاب يفرغ الهداية عن مضمونها، فلا مكان لتفاصيل اللغة وتداخلاتها، وخلافات النحو وتفريعاته، وتقسيمات البلاغة وتقعيداتها، إلا ما يؤكد تلك الهدايات.

- الضوابط والشروط: وهي معالم هذا الاتجاه، وهو قيد مهم، تحمي المفسر من الزلل، ويبقيه في دائرة مقاصد الشريعة الكلية، فكل فَهْم يتناقض أو لا يتوافق مع الشريعة وأصولها ومقاصدها مردود باطل، وبذا تخرج الشذوذات الضالة ممن اختلفت مشاربهم، وتعددت نحلهم.

وعلى هذا؛ فالتعريف -كما يبدو لي- شاملٌ؛ لأنَّ الهداية نور إلهيٌّ قائم بذاته، لا تلوثه استنتاجات البشر، وشذوذاتهم، وإسقاطاتهم المبنية على الهوى والجهل، يستخلصه المفسر الخبير من القرآن الكريم على مراد الله فحسب، دون تقعر أو إسهاب شريطة ألا يخرج عن الشريعة الإسلامية ومقاصدها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو يفرق بين مطلق الهداية؛ وسمِّه إن شئت الجانب النظري، والاتجاه الهدائي الذي هو جانب عملي تطبيقي، ميدانه التفصيلي كتاب الله، وهدفه هو رسم معالم الطريق للوصول إلى الهداية الربانية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

نشأة الاتجاه الهدائي في التفسير وتطوره

القرآن الكريم مصدر تشريع، منه استقيت الآداب والأحكام، ولا صلاح للدُّنيا ولا قِوام للدِّين إلَّا به، فهو سبيل رشاد للأمَّة في حياتها، ودرب نجاة لها في آخرتها، وقد أعمل المفسرون عقولهم لاستخلاص ثماره، والغوص على لآلئه، فاستخلاص إرشادات القرآن الهادية هي من أهم الغايات الحقيقية من التفسير، لذا نجد كتب المفسرين القدماء ملأى بالهدايات، لكنها لم تكن نهجًا خالصا، فربما داخلها إسهاب في سرد قصصي، أو إطناب لغوي، أو تأمل نحوي، فضلا عن ذكر القصص واستطراداتها، وربما الإسرائيليات وأشراكها، فبدت تلك الهدايات ممزوجة بعلوم مختلفة، حجبت عنها وضوح الدلالة، ودقة العبارة، مما جعل استخلاصها منوطا بأهل الاستنباط، فتنادى بعض الدعاة إلى تخليص التفسير مما شابه من علوم هي في الأصل دخيلة عليه، والاكتفاء بما لا يستغنى عنه في سياقه، ودعوا إلى سهولة العبارة، وإصابة المعنى دون إسهاب ممل أو تقصير مخل، وهذا ما سمّاه المحدثون بعدُ بالتَّفسير الهدائي أو التفسير الاجتماعي[1].

إذًا التفسير الهدائي كمصطلح حديث نسبيًّا، لكنه قديم الدلالة، مبثوث في ثنايا تفاسير علمائنا القدماء، وقد بيَّن بعض الدارسين بأننا نستدل على هدايات القرآن في تفاسير علمائنا القدماء والمحدثين بألفاظ قد يفهم منها هدايات الآية القرآنية، مثل: «ترشد الآية، ويفهم منها، وتدل على، وتفيد، وبينت، وتشير، ويؤخذ منها، وتومئ الآيات، وتوحي بـ، وتتضمن لـ،

---

(١) ينظر: الشرباصي، أحمد، قصة التفسير، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢م، (ص١٥٦) وما بعدها، وعبدالرحيم، د:عثمان أحمد، التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط، إصدار مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار الحادي عشر، المطبعة العصرية، د.ت، (ص٨٣) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتنبه إلى، ومقصدها، وثمرتها ...»[1]، وهذه الألفاظ تشعر بخلاصة الرأي، ومفهوم الآية، وهو الإرشاد القرآني الذي نبحث عنه؛ لأنه يعطي الدلالة بوضوح دون إسهاب أو اشتراك بعلم آخر.

ويمكن أن يُلمس هذا النوع من التفسير عند فئتين من المفسرين:

الفئة الأولى: المفسرون القدماء:

لقد أشرتُ من قبلُ بأنّ الهدايات مصطلح جديد، لم يصرح القدماء به، لما يتميز به كل عصر من مستجدات حضارية وهموم حياتية، وهذا لا يمنع من وجود إشارات متفرقة في تفاسير علمائنا القدماء تدل على التفسير الهدائي دون تأصيل علميّ يمثِّلُ اتجاهًا، «فالاتجاهات التفسيرية لم تُعرف في كتب القدماء، وإطلاقها من باب التجوز، فالاتجاه نظرة مقاصدية، نابعة من القرآن، يُرسَم التفسير في ضوئها، وتكون شاملة في التفسير كله»[2]، ومن هنا يمكن استخلاص بعض الهدايات الجزئية غير المطردة من التفاسير القديمة، وقد انتقيتُ منها ما يمكن أن يوجد فيها إشارات للتفسير الهدائي أكثر من غيرها، وانتقائي لها قائم على ثلاثة أسس:

أحدها: أن ينتهج المفسر نهجًا منتظما متكاملا في الاختصار من بداية التفسير حتى نهايته، فسِمة الاختصار تشير إلى الخلاصة التي هي لب الهداية وأصلها.

الثاني: أن يركز المفسر على المعنى العام دون خروج عن الموضوع، أو تركيز على جانب معين كالجانب اللغوي أو النحوي أو البلاغي.

الثالث: أن يستخلص المعنى من الآية كلها لا من لفظة معينة، أو جزء من آية.

---

(١) طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٥٨/١) وما بعدها، بتصرف.

(٢) الغيلي، عبدالمجيد. أسس المنهج القرائي في قراءة القرآن الكريم، منشور على موقع المؤلف رحى الحرف، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، (ص٦-٩)، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسندرس تفسيرين اثنين مثالا على ذلك:

١- تفسير (النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام) لأحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (المتوفى نحو ٣٦٠هـ)[١]، ويصف كتابه بأنه حجّة على المبتدعين الذين انتهجوا اللجاج، واقتصروا على مخاريق أهل الكلام[٢]، ثم يقول رحمه الله: «فيعلم أن ما لم يكشف عنه القرآن الذي جعله الله لكل شيء تبيانا لم يكشف عنه سواه»[٣]، وهو بذلك يطلب الإعراض عن علم الكلام، والاكتفاء بما ينبئ عنه القرآن، وهذا هو لب الهداية، وقد جاء كتابه مختصرًا نقل خلاصة التفسير والراجح فيه.

ومن الأمثلة على تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٣٣ وما بعدها إلى الآية ٣٥]، يقول القصاب: «دليل على تزييف الدنيا وزبرجها كله، وتعزية لمن قدر رزقه، ولم يوسع عليه، وبشارة لمن صرف عنه متاع الدنيا، وليس فى هذا نقض لما مضى في قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، لأن الغنى قد يشترك فيه المؤمن والكافر، والدين مخصوص به

---

(١) هو الإمام العالم الحافظ، أبو أحمد محمد بن علي بن محمد الكرجي الغازي المجاهد، وعرف بالقصاب لكثرة ما قتل في مغازيه، وله مصنفات، منها كتاب (ثواب الأعمال)، وكتاب (السنة)، عاش إلى حدود الستين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، محمد، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. (٢١٣/١٦).

(٢) مخاريق أهل الكلام: جهالات، والخُرْق: الجَهْل والحُمْق، ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٧٥/١٠).

(٣) القصاب، أحمد (ت نحو ٣٦٠هـ). النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: (ج١/علي بن غازي التويجري) و(ج٢-٣/إبراهيم بن منصور الجنيدل) و(ج٤/شايع بن عبده بن شايع الأسمري)، دار القيم، ودار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م. (٨١/١-٨٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمن دون الكافر، والجنة جزاؤه، والنار جزاء الكافر. فالمؤمن يستعين بغناه على طلب الجنة، والكافر يستكثر به الإصرار، وهو مَمْلُوٌّ به، ليزدادوا إثمًا، والمؤمن منظور له، ليزدادوا جزاء حسنًا، والله أعلم»[1].

ويمكننا أن نلحظ بوضوح تركيز المفسر على الهدايات دون إسهاب، وما احتج به من شواهد لم يثنيه عن تحديد الهداية المعنية بدقة، والأمثلة عنده كثرة على ذلك[2].

٢- تفسير (الإكليل في استنباط التنزيل) لجلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، بين في المقدمة أنَّ الناس أكثروا التصنيف في أنواع علوم القرآن؛ كأسباب النزول، والمعرب والمبهمات، وغير ذلك، ثم قال: «وكل منهم أفاد وأجاد، وجمع فأبدع غير أنها محشوة بالحشو والتطويل مشحونة بالاستطراد إلى أقوال المخالف والدليل، ومع ما فاتها من الاستنباطات العلية، والاستخراجات الخفية، فعزمت على وضع كتاب في ذلك مهذب المقاصد، محرر المسالك، أورد فيه كل ما استنبط منه أو استدلَّ به عليه من مسألة فقهية أو أصولية أو اعتقادية، وبعضاً مما سوى ذلك، مقرونا بتفسير الآية حيث توقف فهم الاستنباط عليه معزوًّا إلى قائله من الصحابة والتابعين»[3].

ومن الأمثلة على تفسيره قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١]، يقول السيوطي: «فيه الحث على الترحيب بالفقراء والإقبال عليهم في مجالس العلم وقضاء حوائجهم وعدم إيثار

---

(١) القصاب. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (١٢٨/٤-١٢٩).

(٢) ينظر: القصاب. النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، ومن الأمثلة: (١٥٤/١) و(٥٣٤/١)، و(٣١١/٢) و(٢٨٩/٢) و(٣٠٧/٣-٣٠٨) و(١٢٣/٤) و(٥٠٩/٤).

(٣) السيوطي، عبدالرحمن (ت٩١١هـ). الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م. (ص٢٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأغنياء عليهم»[1].

وقد فهم السيوطي رحمه الله المقصد من الآية عن طريق المخالفة؛ فقد جاء العبوس والتولي في معرض العتاب، فُهِم منه أن الإقبال على الفقراء وقضاء حوائجهم مندوب إليه شرعًا.

ومن الأمثلة عند السيوطي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ إلى نهاية الآيات [الكهف: ٦٠-٨٢].

يقول السيوطي مستخلصًا العبر من الآيات: «فيها اتخاذ الرقيق والخادم في السفر، واستحباب الرحلة في طلب العلم، واستزادة العالم من العلم، واتّخاذ الزاد للسفر، وأنه لا ينافي التوكل، ونسبة النسيان ونحوه من الأمور المكروهة إلى الشيطان مجازاً وتأدباً عن نسبتها إلى الله تعالى، وتواضع المتعلم لمن يتعلم منه، ولو كان دونه في المرتبة، واعتذار العالم إلى من يريد الأخذ عنه في عدم تعليمه ما لا يحتمله طبعه، وتقديم المشيئة في الأمر، واشتراط المتبوع على التابع، وأنه يلزم الوفاء بالشرط، وأن النسيان غير مأخوذ به ...»[2].

ونلحظ أنَّ السيوطي رحمه الله تعالى يستخلص الهدايات المستنتجة من الآيات دون إسهاب أو ازدحام لعلوم تخرج عن مراد الله سبحانه وتعالى، وطبيعة التفسير إلى أغراض متعددة، فيها تشتيت للذهن عن الهداية المراد فهمها، هذه الخلاصات الهدائية هي التي دعا إليها رواد هذا الفن من أصحاب الاتجاه الهدائي في العصر الحديث.

ويمكن لهذه الدراسات أو التفاسير أن تكون هي البذرة الأولى لأصحاب الهدايات القرآنية

---

(١) الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٨١).

(٢) الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٧١-١٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في تعزيز اتجاه جديد، يقوم على فهم كتاب الله في ضوء الهدايات القرآنية، فتلخيص التفاسير القديمة هو تقريب لهذه التفاسير للعامة، وتهذيبها لا يعني الاستغناء عنها؛ فغني عن الذكر أنَّ الخاصة لا يستغنون عن هذه الأصول لما تحويه من فَرائد جليلة، لكنَّ هذا التهذيب يعزز الاتجاه الهدائي ويقويه، وهذه دعوة للباحثين لتعزيز هذا الاتجاه عن طريق اختصار بعض هذه التفاسير تحت عنوان (الهدايات القرآنية في تفسير القرطبي) مثلا، أو (الهدايات الفقهية في تفسير القرطبي)، وهذا يقرب هذه التفاسير العظيمة للعامة من جهة، وتصبح هذه الأصول للعلماء والباحثين، ومن جهة أخرى نؤسس لاتجاه تفسيري جديد قائم على الهدايات سواء ما تعلَّق منها بالعقائد والعبادات أو الآداب والمعاملات، ومن جهة ثالثة يؤكد هذا التلخيص على وجود إشارت هدائية في التفاسير التراثية، والله المستعان.

الفئة الثانية: المفسرون المحدثون:

نشأ هذا الاتجاه نتيجة عوامل عدة مرت بها الأمة الإسلامية في قرنها المنصرم، فقد سقطت الخلافة العثمانية، فوجدت الأمة نفسها مغلوبة على أمرها بعد أن كانت غالبة، عاجزة بعد قدرة، تتكبت طريق الريادة إلى التبعية، فقامت الحركات الإصلاحية الدينية في شتى بقاع المعمورة[1]، وتصدت لتلك المواجهات الشرسة سواء العسكرية منها أو الفكرية الثقافية فرادى وجماعات، لكنَّ الاستشراق مهد «لغزوته الفكرية مبكرًا بتدمير الأساس النفسي والعقلي لوجود المسلمين، وذلك بتشويهه لمصادر الإسلام الأولى، ومحاولته عزل المسلمين عن هذه المصادر

(١) ينظر: ابن عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، السنة الثانية، الكتاب الثالث عشر، ربيع الأول، ١٣٩٠هـ، مايو، ١٩٧٠م، (ص١٤٢) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثابتة الأصيلة التي كونت مقومات كيانهم ذاتيا واجتماعيا»[1]، حتى باتت تتلقى النهضة الإسلامية أفكارها واتجاهاتها الفنية عن الثقافة الغربية، فتسرَّب لبعض ضعاف النفوس بأن التطور والتقدم يكمن في حذو خطى الحضارة الغربية بغثها وسمينها، حتى ما عاد يعرف الواحد منهم ما يأخذ منها وما يذر، فزاد ذلك في استحكام جوانب الضعف والتخلف؛ فأصيبت الأمة في دينها مفهومًا وأحكامًا وآدابًا وعقائد[2]، وانتشر تبعًا لذلك الخور في مفاصلها من النواحي كافة؛ سواء أكان سياسيا أم اقتصاديا أم اجتماعيا أم فكريّا.

وأمام هذا الواقع المحير وقف العلماء المخلصون وقفة دفاع عن دين الأمة وثقافتها؛ ليرفعوا ما شابها من سراب الشكوك وأباطيل المرجفين، وكان لكل دوره بين مقل ومكثر، ومن هؤلاء روّاد المدرسة الإصلاحيّة؛ فأقبلوا على كتاب الله، يتدارسونَه، ويتدبّرونه، ويفسرونه، ويستلهمون معانيه فيما استجد من نوازل العصر، متأثرين في ذلك بالشيخ جمال الدين الأفغانيّ، فقامت حركة فكريّة هامة تدعو إلى محاربة الفساد، ورجوع الحق إلى الإسلام[3]، ولا شك بأنّ هذه الحركة تعرف منها وتنكر، وقد تناولتها الدراسات الحديثة بالنقد والتحليل، وذلك ببيان ما لها وما عليها، فقد أُخِذ عليها مآخذ كثيرة شوهت معالم الإصلاح عندها.

وقد اهتمت هذه المدرسة بتفسير القرآن؛ لأنه «الدواء الشافي للمسلمين مما هم فيه، ولكنهم

---

(١) الشريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن (ص٤٢-٤٣).

(٢) ينظر: ابن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م. (ص٥٤). والفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله (ص١٤٩).

(٣) ينظر: الشريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن (ص٤٠)، والفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله (ص١٥٢)، والخالدي، صلاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، (ص٥٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا يتناولونه، فأين اليد التي تقرب من هذا المريض دواءه»[1]، ففسروا القرآن بضوابط إصلاحيّة تكشف عن مراد الله سبحانه، وعلى رأس هؤلاء المفسرين محمد عبده وتلاميذه والمتأثرين فيه، حتى غدا اتجاها بارزا في التفسير القرآني الحديث، فسمي بالاتجاه الإصلاحيّ أو الهدائي؛ لكون القرآن الكريم هو كتاب هداية للبشر، يدعو لكل خير، وينفر من كل شر، فإبراز الهدايات وجهة كل مفسر، فبالقرآن نجسّد مفاهيم الإصلاح تجسيدا حيًّا نابضا يعلي من شأنها.

ويعد الشيخ محمد عبده[2] وتلاميذه من بعده أوَّل من أشار صراحة إلى الهدايات كمنهج تفسير عند معظم الباحثين[3]، وهذا يظهر من خلال الآتي:

١- فهو يرى أن التفسير الذي يُقصَد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية هو تفسير جاف مبعد عن الله وعن كتابه[4]، وهو يدعو إلى فهم المفسر لمراد القول، وحكمة التشريع، ثم يسوقها إلى العمل والهداية المودعة في

---

(١) الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله (ص١٦٤).

(٢) هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني (١٨٤٩م-١٩٠٥م): فقيه، مفسر، متكلم، حكيم، أديب، لغوي، كاتب، صحافي سياسي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح، توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة، ومن كتبه تفسير القرآن الكريم، مطبوع نقله تلاميذه رضا في تفسير المنار، ولم يتمه، ينظر: الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٨٩م. (٢٥٢/٦)، و كحالة، عمر رضا (ت١٤٠٨هـ). معجم المؤلفين، تأليف: تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م. (٢٧٢/١٠).

(٣) انظر على سبيل المثال: الذهبي، محمد السيد حسين (ت١٣٩٧هـ). التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة. (٤٠١/٢)، شحاته، عبد الله، علوم القرآن، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م، (ص٣٥).

(٤) مع تحفظنا على هذه القسوة في تصوير تفاسير القدماء، وحبذا لو انتقى ألفاظه، وإلا فكيف للتفاسير أن تكون مبعدة عن الله تعالى؟! وألفاظ علمائنا كلها نور وضياء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلام، فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن[١].

٢- ويرى أن المفسرين اتجهوا اتجاهات شتى في التفسير؛ فبعضهم اهتم بأساليب الكتاب ومعانيه من غريب الألفاظ، وإعرابه وبلاغته، وبعضهم تتبع قصصه في كتب التاريخ والإسرائيليات، وبعضهم استنبط الأحكام الشرعية، وبعضهم التفت إلى المعنى الإشاري كالباطنية، والإكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرجنا عن المقصود من الكتاب الإلهي، وينسينا معناه الحقيقي؛ لذا وجب أن نُعنى من التفسير بما فهم من الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين[٢].

٣- ويرى أنَّ «التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدُّنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذه المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله»[٣].

٤- ويرى أنَّ الهداية هي الأصل، ويتبعها بلا ريب: بيان وجوه البلاغة بقدر ما يحتمله المعنى، وتحقيق الإعراب على الوجه الذي يليق بفصاحة القرآن وبلاغته عند الحاجة إلى ذلك، فنشير أحيانا إلى الإعراب -إن اقتضت الحاجة كما يراها المفسر- من غير تصريح بعبارات النحو الاصطلاحية، حتى لا تكون شاغلا للقارئ عن المعاني، صارفة له عن العبرة، لذا وجب أن نُعنى من التفسير بما سبق ذكره من فهم الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين[٤].

---

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (٢٢/١).

(٢) المصدر السابق (١٧/١-١٨).

(٣) المصدر السابق (١٧/١).

(٤) ينظر: رضا، تفسير المنار (١٧/١-١٨)، ومحمود، منيع عبدالحليم، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ص٣٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- وقد بيَّن أدنى مراتب التفسير: وهو أن يُجمِل ما يُشْرِب القلب عظمة الله وتنزيهه، ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير، وهذا متيسر لكل أحد، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

٦- كما بيَّن أعلى مراتب التفسير، فهو عنده لا يتم إلا بأمور:

الأول: فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة، غير مكتف بقول واحد، فإن كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها.

الثاني: الأساليب، فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة، ويتحصل ذلك بممارسة الكلام البليغ مع التفطن لنكته ومحاسنه، ومراد المتكلم منه.

الثالث: علم أحوال البشر، فقد بيَّن الله تعالى أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية فيهم، فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم.

الرابع: أن يعلم المفسر بوجه هداية القرآن للبشر، ويعلم حال العرب وغيرهم في عصر النبوة، وأن يفهم ما قبحته الآيات من عوائدهم.

الخامس: العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون الدنيوية والأخروية[١].

ويتضح من ذلك أنَّ مفهوم التفسير الهدائي عند الشيخ محمد عبده كان واضح الدلالة، لذا يمكن الادِّعاء بأنَّه المنظر الحقيقي لهذا النوع من التفسير كمنهج مستقل، فهو يدعو للاستفادة من شتى أنواع العلوم الخادمة للغة القرآن، على ألَّا تطغى تلك العلوم والمصطلحات العلمية على

---

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (١/١٩-٢١)، ومحمود، مناهج المفسرين (ص٣١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراد الكتاب العزيز، فكتب التفسير فيها ما يشغل قارئه عن هذه المقاصد القرآنية العُليا، وهدايته السامية[1]، فهو كتاب هداية للناس يسوقهم إلى ما يحبه الله تعالى، ويبعدهم عمَّا يكرهه سبحانه، وقد سمَّى محمد الذهبي هذا النوع من التفسير باللَّون الأدبي الاجتماعي، فقال: «إن الفضل فى هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير، هذه المدرسة التى قام زعيمها –ورجالها من بعده– بمجهود كبير فى تفسير كتاب الله تعالى، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة»[2].

وقد تأثَّر به تلاميذه من بعده بين مقلٍّ ومكثر، ومن أبرزهم محمد رشيد رضا الذي يصف ما حواه تفسيره على غلافه، بقوله: «هذا هو التَّفسير الوحيد الجامِع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، الذي يُبيِّن حكم التَّشريع، وسُنَنَ اللَّه في الإنسان، وكون القرآن هداية للبشر في كلِّ زمان ومكان، ويُوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر، وقد أعرضوا عنها، وما كان عليه سلفهم المعتصمون بحبلها، مُراعَى فيه السُّهولةُ في التعبير، مُجْتَنِبًا مزْجَ الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث يفهمه العامَّة، ولا يستغني عنه الخاصَّة؛ وهذه هي الطَّريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيمُ الإسلام الأستاذ الإمام الشَّيخ محمَّد عبده، رضي اللّه عنه»[3].

فقد وصف تفسيره بأنه جامع بين المأثور والمعقول، وهو يؤكد على مفهوم الاتجاه الهدائي بإعراضه عن الاستطراد، ومزج القرآن بالعلوم الأخرى، وهو ما وضحه في مقدمته نفسها بقوله: «كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد

---

(١) ينظر: رضا، تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار (٨/١).

(٢) الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠١/٢).

(٣) رضا، تفسير المنار (١/١) غلاف المجلد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العالية، والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو، ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلِّدين، وتأويلات المتصوِّفين، وتعصُّب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الرِّوايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات ...»، إلى أن قال: «وغرضنا من هذا كلِّه أن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العالية المزكِّية للأنفس، .... فكانت الحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزلة في وصفه»[١].

– وممن تأثَّر بهذا المنهج جمال الدين القاسمي (ت ١٩١٤م)، فقد أظهر إعجابه –كما وصفه– بالأستاذ النحرير الشيخ محمد عبده مفتي مصر في مواضع عدة من تفسيره[٢]، ونقل عنه في مقدّمة تفسيره ثماني صفحات، فنقل عنه وجوه التفسير ومراتبه، وآراءه في الهداية القرآنية، وهذا النقل –كما يبدو– ينبئ عن مدى الإعجاب الذي يكنه القاسمي للشيخ عبده في بيئة تملكها الجهل والتخلف، ولغة القاسمي لغة سهلة موجزة، يرجعها المحتسب لتأثره بمحمد عبده وغيره من المفسرين[٣]، وأما الإسرائيليات فهي قليلة في تفسيره، وربما عرضها لينقضها، وهو المختص بعلم الحديث[٤]، وقد خالف القاسمي عبده في مسائل عدة: الملائكة وآدم وإبليس

---

(١) رضا، تفسير المنار (١/٨–١٠).

(٢) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل (١/٢٠٢، ٢٢٥ و٧/٢٢١، ٢٦١).

(٣) ينظر: المحتسب، عبدالمجيد. اتجاهات التفسير في العصر الراهن. مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط٣، سنة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، (ص٥٠) و(ص٤٣).

(٤) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل (١/٣٠٧ و٥/٢٧ و٧/٢٩، ٧٧)، وصالح، عبدالقادر، التفسير والمفسرون =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسحر وغيرها، وهذا يكشف جانبًا من جوانب شخصيته التي لا تنساق وراء الآراء تبعًا لشهرة صاحبها[١].

- ويعد أحمد مصطفى المراغي (ت١٩٥٢) من خاصة تلاميذ محمد عبده، فقد لازمه، ونهل من معينه، ويعد من مدرسته[٢]، وقد احتج المراغي بكلامه في عدة مواضع من تفسيره، وعلَّق في مقدمته على تفسير المنار بقوله: «وهو تفسير مقتبس من دروس الأستاذ الإمام محمد عبده، وقد كان له فضل كبير فيما اقتبسناه أثناء تفسير الأجزاء التي فسرها»[٣].

وقد تابع المراغي شيخه عبده في آرائه بشكل عام[٤]، ونقل آراءه في الهداية بشكل خاص، يقول في مقدمة كتابه مؤكدًا على الاتجاه الهدائي: «كتب التفسير على ما فيها من فوائد جمة، وأسرار دينية عظيمة وإيضاح لمغازي الكتاب الكريم، قد حشيت بالكثير من مصطلحات الفنون: من بلاغة ونحو وصرف وفقه وأصول وتوحيد إلى نحو أولئك مما كان عقبة كأداء أمام قارئيها»[٥].

ومنهجه في تفسيره: أنه يورد الآية أو الآيات ثم يقوم بشرح المفردات اللغوية، ثم المعنى

=

في العصر الحديث عرض ودراسة مفصلة لأهم كتب التفسير المعاصر، قدم له: محمد الآلوسي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، (ص١٨٠)، والإعراض عن الإسرائيليات من خصائص المفسرين المعاصرين عامة، انظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (ص١٨٢).

(١) ينظر: محمود، مناهج المفسرين (ص٣٠٠).

(٢) ينظر: محمود، مناهج المفسرين (ص٣٣٨).

(٣) المراغي، تفسير المراغي (٢٢/١).

(٤) انظر على سبيل المثال: المراغي، تفسير المراغي (٨٠/١، ٩٤ و٤٤/١٢). والنجدي، محمد الحمود، القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، دار الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ١٤١٢هـ، (ص٦٧).

(٥) المراغي، تفسير المراغي (٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإجمالي للآيات، ثم يعقب بأسباب النزول إن صح، ويُعرِض عن المصطلحات العلمية: من نحو وصرف وبلاغة وأشباه ذلك، ويتميز تفسيره: بخلوه من الإسرائيليات، ويركز في القصص القرآني على العبر، ولا يستطرد في القصص والأخبار، ويهتمّ بالتعليق على الظواهر الكونية بأسلوب بديع بعيدا عن النظريات العلمية ليلفت الأنظار إلى الآيات الكونية، فتصل إلى القلب[١].

– ومنهم عبدالحميد بن باديس (ت١٩٤٠)، فقد عُرِف مفسّرًا لكتاب الله، وقد بدأ بذلك على شكل مقالات في مجلة الشهاب، ثم طبعت بعد موته رحمه الله، وقد كان متأثرًا بتلك المدرسة[٢]، فكان يعد دروس محمد عبده في التفسير فتحاً جديداً في الدين، كما سجل إعجابه بالشيخ محمد رشيد رضا بما نشره من تفسير في المنار وغيرها بقوله: «هو الذي جلَّى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين، وهو الذي لفت المسلمين إلى هداية القرآن، وهو الذي دحر خصوم الإسلام من المنتمين إليه وغير المنتمين إليه ... فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية، بيانا ودفاعا، كلها من آثاره فرحمه الله وجزاه أفضل ما يجزي العاملين»[٣]، وقال أيضًا بعد أن مدح أستاذه محمد عبده: «وكان من إصلاحاته العملية في هذا

---

(١) ينظر: عبد السميع، عماد علي، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، (ص١١٦). صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث عرض ودراسة مفصلة لأهم كتب التفسير المعاصر (ص٣٤١).

(٢) ينظر: ابن باديس، عبدالحميد (ت١٣٥٩هـ). تفسير ابن باديس، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، علق عليه وخرجه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م. (ص١٩، ٢١) المقدمة.

(٣) ابن باديس، عبدالحميد (ت١٣٥٩هـ). آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، (٢٠٧/٤، ٢٠٩)، وانظر أثر مجلة (المنار) على العالم الإسلامي كما يصوره ابن باديس (٤٣/١ و١٩٦/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الباب درسه لكتاب الله بأسلوب حكيم لم يسبقه إليه سابق»[١].

- وممن تأثر بهذه المدرسة أيضا عبدالقادر المغربي (ت١٩٥٦م)، فقد ذكر في مقدمة تفسيره لجزء تبارك طلب بعض الأفاضل أن يضع تفسيرًا لجزء تبارك يتوخى فيه طريقة محمد عبده، ويشرح طريقته؛ بأنها تقرُب من أذهان العامة، ولا تتجافى عنه عقول الخاصة، يقتصر فيه على ما يكشف عن الآيات، ثم يشرح شرحًا وسطًا مجردًا عن التنطع بالمشاغبات وإيراد الخلافات والخرافات[٢]. ويظهر لي أن المغربي -كما يبدو في مقدمته- شديد التأثر بشيخه، فقد أكمل تفسيره على طريقته، فهي الطريقة التي تناولتها الألسن بالثناء، والقلوب بالقبول.

ولنا مع الحركة الإصلاحية التي قادها محمد عبده وقفات مهمة تتعلق بالاتجاه الهدائي خاصة، ومن هذه الوقفات:

الوقفة الأولى: اتخذت مدرسة محمد عبده التنقية سبيلًا لتصفية التفسير من روايات أهل الكتاب، والمعتقدات الشعبية المغلوطة، وجدليات المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق، وكثرة الروايات، التي تحول دون الوصول الهدايات القرآنية، ومقاصد القرآن العالية المزكِّية للأنفس[٣]، فباتت الحاجة ماسة عند أصحاب هذا الاتجاه إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن، وبيان ما فيه من إنذار وتبشير، وإصلاح للفرد والمجتمع، وهذا مما يحسب لها، وقد بان أثره على المفسرين فيما بعد.

---

(١) ابن باديس، آثار ابن باديس (١٠٣/٢).

(٢) ينظر: المغربي، عبدالقادر. تفسير جزء تبارك، صححه: علي محمد حسب الله، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م، د.ط. المقدمة.

(٣) مقاصد القرآن هي الغايات التي أُنزل القرآن من أجلها، وقد عدّدها الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار (٢٠٠/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوقفة الثانية: ترسمت طريق العلم الحديث في بيان الهدايات القرآنية، وإن أخطأت في اعتمادها على بعض النظريات العلمية غير الثابتة، أو إسقاطها بشكل خاطئ على النصوص الشرعية، كموقفهم من الوحي، ومعجزات الأنبياء وغير ذلك من إشكاليات منهجية ومآخذ شرعية[١].

الوقفة الثالثة: الإفادة مما توصل إليه العلماء السابقون، وتقديمه بلغة عصرية، مع توسيع دلالة المفهوم لغة ومعنى.

الوقفة الرابعة: فتح باب الاجتهاد وبذل الوسع في استنباط الهدايات القرآنية، وهذا أيضًا مما يحسب لهذه المدرسة، لكن الاجتهاد يكون بضوابط علمية حددها علماء الأصول.

الوقفة الخامسة: معالم التأصيل النظري للتفسير الهدائي عند أتباع هذه المدرسة كان واضحًا إلى حد غير قليل، ويمكن البناء عليه لإنشاء اتجاه هدائي منهجي، لكنَّ الجانب العملي عندهم أصابه الضعف من وجهين:

الأول: الخلل المنهجي؛ وهو خطأ لا يُستهان به، فقد أعلى محمد عبده من شأن العقل، وحكّمه على الشرع، وأعمله في الحكم على بعض ثوابت العقيدة، كمعجزات الأنبياء، والملائكة، والجن، وإمارات الساعة، كما أصابهم الخلل في طريقة احتجاجهم على المسائل العلمية والفقهية، فهي استحسان العقلي لا احتجاج علمي رصين، فضلا عن الاستشهاد بالإسرائيليات أحيانًا، وهم قد شددوا النكير على من احتج بها[٢].

---

(١) ينظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٨٥٧/٢).

(٢) الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٣٢/٢)، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٧٦٦/٢) وما بعدها، والرنتيسي، ماجد، أثر الاتجاه العقلي السلبي في تفسير المنار، رسالة ماجستير، إشراف: عصام العبد زهد، الجامعة الإسلامية، غزة، العام الدراسي: ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، فقد أحصى الباحث الأثر العقلي =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: اختلافهم في المنهج نفسه، يقول رضا مبيناً خروجه على هذا المنهج: «لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه -[أي: محمد عبده] رحمه الله تعالى- بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيرًا لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس»[1]، ومن الاستطرادات التي وقعت في تفسير المنار: تلخيص أخبار الجرائد، ونقل المقالات، والأوضاع الساسية، والشؤون اليومية، وغيرها[2]، وهذا كله يناقض الاتجاه الهدائي، الذي لا يشغل القارئ بشيء سوى الهدايات الربانية.

الوقفة السادسة: لا تؤثر هذه الإشكالات المنهجية على الاتجاه الهدائي، فالاتجاه الهدائي يشق طريقه بعيدًا عن تلك الثغرات المنهجية، وهو لا ينتسب لأشخاص، لذلك ينبغي أن نفرق بين المنهج ومن يطبقه، فنحن نؤصّل للاتجاه الهدائي بعيدًا عن تلك الإشكالات، ونتلمس الصواب ممن صحت عنده بغض النظر عن نوع المدرسة التفسيرية وأفكار منتسبيها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى مازال هذا الاتجاه في طور التأصيل النظري القابل للأخذ والرد، ومن مجموع ما تناثر من آراء نشكل الاتجاه الهدائي المنشود.

=

على هذه المدرسة، فأجاد.

(١) رضا، تفسير المنار (١٦/١).

(٢) رضا، تفسير المنار (٢٠٢/٨) و (٣٦/١٠) و(٣٥٨/١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد هذا كله يمكننا القول بأنَّ كتابات أتباع هذه المدرسة هي البدايات التي تشكل على أساسها الاتجاه الهدائي؛ إذ إنَّ مفهوم الاتجاه يقتضي نظرة مقاصدية للقرآن، تمثل بؤرة نابعة من القرآن نفسه، وهذه النظرة تسري في الكتاب العزيز كله هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحديد المنهج يكون ناشئًا عن تلك النظرة المقصدية التي تُرسَم حركة التفسير في ضوئها[١]، والله أعلم.

وقبل أن ننهي هذا المطلب، هناك من فسَّر القرآن من المفسرين المحدثين ملتمسًا الهدايات القرآنية بعيدًا عن شواغل العلوم الأخرى، ولم يثبت لديَّ -على الأقل- تأثرهم بالمدرسة الإصلاحية، أو ربما تأثروا بالاتجاه السائد للحركة الإصلاحية دون اتصال وثيق بقادتها، فإنّ تفسير المنار كان مداد روح النهضة الإسلامية الحديثة وقوام التفكير الإسلامي المجدد في هذا القرن الرابع عشر كما يعده كثير من الباحثين[٢]، وسنستعرض بعض المفسرين الذين في كتاباتهم شيء من الاتجاه الهدائي، غير أصحاب الحركة الإصلاحية:

١- عبدالحميد الفراهي[٣]، يقول عنه صاحب المنار: «وقد ألقينا على بعض هذه الرسائل لمحة من النظر، فإذا طريق جديد في أسلوب جديد من التفسير يشترك مع طريقنا في القصد إلى

---

(١) ينظر: الغيلي، أسس المنهج القرائي في قراءة القرآن الكريم (ص٧)، والشريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم (ص٦٠)، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢٢/١).

(٢) ينظر: الفاضل ابن عاشور، التفسير ورجاله (ص١٧٦)،

(٣) هو أبو أحمد، عبدالحميد بن عبدالكريم بن قربان قنبر الأنصاري الفراهي، (١٢٨٠هـ-١٣٤٩هـ)، ولد في قرية فَريها في الشمال الهندي، حفظ القرآن، وتعلم الفارسية والعربية والإنجليزية والعلوم الحديثة، سافر لطلب العلم، وأخذ عن شبلي النعماني وعبدالحي اللكنوي وغيرهما، عُرف بفرط ذكائه ونفاذ بصيرته مع ورعه وزهده في الدنيا وحسن تعبده. انظر: الطالبي، عبدالحي الحسني (ت١٣٤١هـ). الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. (١٢٦٧/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعاني من حيث هي هداية إلهية، دون المباحث الفنية العربية»[١].

وحقيقة القول إنَّ الفراهي صاحب منهاج قائم بذاته؛ حيث يفسر القرآن من خلال الوحدة الموضوعية للسورة الذي يبعدك عن الاستطراد[٢]، فهو يرى أنه لا ينبغي أن يبعدك سبب النزول أو الروايات عن أصل نظم القرآن، فيبهم عليك الأمر في مفترق طرق لا تدري أيها تسلك، بل خذ من الروايات ما يؤيد القرآن لا ما يبدد نظامه[٣]، وهو بذلك يلتقي مع المنهج الهدائي؛ لكن في التطبيق العملي نجد الفراهي يستطرد فتتشعب الأفكار[٤]، وهو الأمر الذي وقعت فيه الحركة الإصلاحية.

٢- الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت١٩٥٦م)، الذي دعا في مقدمة تفسيره إلى بذل الجهد في تعلم القرآن وتفهمه بأقرب الطرق الموصلة إليه؛ فقد رأى السعدي أنّ بعض الباحثين أطال تفسيره، فخرج عن المقصود، فالقرآن سيق لهداية الخلق كلهم، والنظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته وقت نزوله من أعظم ما يعين على معرفته، وفهم المراد منه، وخاصة

---

(١) وكان الفراهي قد أهداه بضع رسائل في تفسير سور متفرقة من القرآن العزيز، كتب محمد رشيد رضا تقريظًا لها، «مجلة المنار» (١٣٥/١٢).

(٢) وقد سماه عمود السورة، أي الموضوع الرئيس فيها، فكل سورة لها موضوع معين تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطًا معنويا محكما، كما تكون مترابطة بما سبقها وما بعدها، وهو المنهاج الصحيح لتدبر القرآن كما يرى الفراهي، فمن فاته النظام فاته شيء كثير، فبه يتبين سمت الكلام وربط بعضه ببعض، وهو الفصل عند تضارب الأقوال، ينظر: الإمام عبدالحميد الفراهي، ومنهجه في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، للدكتور محمد يوسف الشربجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد (٢٠)، العدد (٢)، سنة ٢٠٠٤م، (٤٧١)، ومقدمة «تفسير نظام القرآن، وتأويل الفرقان بالفرقان»، لعبد الحميد الفراهي، طبعة الدار الحميدية، الهند، ط١، ٢٠٠٨م، (ص١٥).

(٣) ينظر: الفراهي، عبدالحميد. تفسير نظام القرآن، وتأويل الفرقان بالفرقان، طبعة الدار الحميدية، الهند، ط١، ٢٠٠٨م، (ص٢٧).

(٤) انظر على سبيل المثال تفسيره لسورة الشمس، (ص٣٠٩-٣٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذا انضم معها علوم العربية على اختلاف أنواعها[١].

تتضح من مقدمة الشيخ السعدي ملامح منهجه؛ وهو تفعيل السياق لتقريب معاني الآيات، وإبراز المعنى العام دون ذكر لاستطرادات لغوية أو خلافات فقهية، والبعد عن شرح الألفاظ اللغوية بغض النظر عن المراد منها، ولا يخلو تفسيره من لمحات تربوية لإصلاح النفوس والمجتمعات[٢]، والأصل عنده في ذلك كله المعنى، فهو الرائد الحقيقي للمفسر، وهو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، وآراؤه هذه تتوافق مع الاتجاه الهدائي.

وقد أعرض رحمه الله عن المصطحات النحوية والبيانية واللغوية، وعلل ذلك بقوله: «ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت؛ ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم»[٣].

ومن تتبع تفسيره يراه أعرض عن الروايات الإسرائيلية، وانتقدها بقوله: «وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية؛ فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله، وهو من الأمور التي يقف الجزم بها، على الدليل المعلوم عن المعصوم، والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم، الإعراض عنها وعدم إدخالها في التفاسير»[٤].

ويبدو جليا أنَّ تفسير الشيخ السعدي تفسير مختصر، يلتقط الهدايات على اختلاف أنواعها، وهو بذلك يدعم منهجه النظري بالتطبيق العملي.

---

(١) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (ت١٣٧٦هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م. (ص٣٠).

(٢) ينظر: السلمي، دلال، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، (ص٩٢).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٣٠).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٦٠٥)، وينظر فيه أيضا: (ص٢٩٥، ٦٠٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- سيد قطب (ت١٩٦٦م)، له منهجه الخاص، فمنهجه حركي دعوي تربوي، أي «يركز على الدعوة والحركة، وعلى التربية والتزكية، والجهاد والمجاهدة، ودعوة المسلمين للحركة بالقرآن، ومجاهدة الكافرين على أساسه، وتقديم دروس في الدعوة والجهاد والمجاهدة»[١].

وهذا بلا شك يلتقي مع الاتجاه الهدائي في تلمس واقع الأمة، ووضع الحلول الناجعة لها باستقراء كتاب الله في ضوء الهدايات القرآنية التي تتناسب مع عصرنا ومستجداته، وهو ما يتجلى بقوله رحمه الله في مقدمة تفسيره: «وانتهيتُ من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم حاسم، أنه لا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون والفطرة الحياة إلا بالرجوع إلى الله»[٢].

وأرى أنّ ملامح التأثر بالمدرسة الإصلاحية عند سيد قطب واضحة[٣]؛ فهو يلتزم بالوحدة الموضوعية للسورة، ويترك الإطناب فيما أبهمه القرآن، مع تركه للروايات الإسرائيلية في التفسير، وترك الاختلافات الفقهية، أو الإغراق في المسائل اللغوية، لكنه في جانب آخر يستطرد فيما تراه متكلفاً[٤]، ونحن لا نرى تفسيره ينتمي إلى الاتجاه الهدائي، لكنه يتقاطع معه في جزئيات ليست بالقليلة، والله أعلم.

---

(١) الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (ص٥٦٨، ٦٠٦).

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (١٥/١)، وانظر حول هذا المعنى رضا، تفسير المنار (٢٦/١).

(٣) ويؤيد هذا التأثر، زهد، عصام العبد، معالم التغيير الاجتماعي في تفسير سيد قطب، مجلة جامعة الأقصى، غزة، المجلد الثامن، العدد الثاني، ربيع ثاني ١٤٢٥ه، حزيران ٢٠٠٤م، (ص٤٥)، وعده الرومي من أصحاب المنهج الاجتماعي مع تفسير المنار والمراغي، والرومي، فهد، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ، (ص١٠٤).

(٤) ينظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٩٩٨/٣) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونسب بعض الباحثين لهذا الاتجاه عدَّة مفسرين غيرهم؛ كالطاهر ابن عاشور[١]، وأبي الأعلى المودودي[٢]، والنورسي[٣]، ومحمد دراز[٤]، وهذا الرأي يجانب الصواب؛ فالطاهر ابن عاشور تفسيره واسع النطاق، تناول فيه التاريخ والجغرافيا والفلك والطبيعة والفلسفة فضلا عن العلوم الشرعية كعلم القراءات والفقه واللغة وغيرها كثير[٥]، والمودودي تفسيره «يقدم الزاد للدعاة، ويدعو لإقامة المجتمع المسلم على منهج القرآن الكريم»[٦]، فهم بلا شكٍّ يلتقون مع

---

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٨٧٩-١٩٧٣م)، مولده ووفاته ودراسته بتونس، وعين رئيسًا للمفتين المالكيين بها، وكان شيخا لجامع الزيتونة وفروعه، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، وغيرها. ينظر: الزركلي، الأعلام (١٧٣/٦-١٧٤).

(٢) الشيخ أبو الأعلى المودودي (١٩٠٣-١٩٧٩م) من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام في القارة الهندية، كاتب، صحافي، مجاهد، ولد في ولاية حيدر آباد، وبها نشأ وتعلم. وعمل في الصحافة، ثم أصدر مجلة (ترجمان القرآن)، وله مصنفات كثيرة، منها تفسير للقرآن، اسمه (تفهيم القرآن)، ولم يترجم للعربية إلا سور يسيرة منه، ينظر: نويهض، عادل، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م. (٧٥٧/٢).

(٣) الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٧-١٩٦٠م) ولد في قرية (نورس) في تركيا، عرف بقوة الحفظ، فلقب ببديع الزمان، مجاهد، عاش هموم أمته، يصدع بالحق، فألف (كليات رسائل النور)، وهي تفسير لمعاني القرآن الكريم. ومن مصنفاته (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز). ينظر: الكيلاني، جمال، والصميدعي، زياد، بديع الزمان سعيد النورسي، قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠١٤م. (ص١٣).

(٤) الشيخ محمد بن عبد الله دراز (٠٠٠-١٩٥٨م) عالم، أديب ولد في قرية محلة دياي بمصر، حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية، وأتم دراسته حتى حصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، اشتغل بالتدريس في جامعة القاهرة. نال عضوية جماعة كبار العلماء. ومن مصنفاته (النبأ العظيم) وهو نظرات جديدة في القرآن. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين(٢١٢/١٠-٢١٣).

(٥) ينظر: الحمد، محمد، التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، (٣٩/١) وما بعدها.

(٦) القرلشي، اليف الدين ترابي، أبو أعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاتجاه الهدائي في نقطة محددة[1]، ومن الظلم حصر جهودهم وإنجازاتهم في اتجاه معين، لذلك يعد التفسير الهدائي فكرة غالبة على ما سواها من أفكار، فربما يوافقها مفسر في موضع، ويخالفها في آخر حسب بيئته، ومعطيات عصره، فكل مفسر لـــه أسلوبه الذي يتميز بـــه عن غيره.

ولجامعة أم القرى الراعية والداعمة لكرسي الملك عبدالله بن عبدالعزيز رسالة موسعة، إذ أعد باحثوها[2] دراسة علمية تؤصل لموضوع الهدايات القرآنية، وتجمع شتات ما تفرق منها، لتكون باكورة موسوعية تجمع خلالها هدايات القرآن الكريم نظريًّا؛ ومع أنّ فيها فائدة لا تُنكر، إلا أنها أسهبت في مواضع كثيرة حتى تشعبت مفاهيمها، واختلطت بالهدف الرئيس، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن بعض معالم هذا المنهج ما زالت قابلة للأخذ والرد والزيادة والتحوير.

وعليه فهذه النبذة التاريخية صالحة لتأسيس اتجاه هدائي من الجانب النظري، واضح المعالم، فتلك الدراسات لها فضل الريادة، ونلخص فيما يأتي بعض معالم هذا الاتجاه:

١- المقصد الحقيقي من التَّفسير الهدائي هو الاهتداء بالقرآن على وجه يدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله، وهو أشرف العلوم وذلك لسمو موضوعه، وعظم فائدته[3].

=

إشراف: أحمد أحمد غلوش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢-١٤٠٣هـــ، (ص٣٢٣).

(١) يقول المودودي في كتابه المبادئ الأساسية لفهم القرآن (ص٣١): «القرآن أعلن أنه جاء لهداية النوع البشري بأجمعه»، وهي إشارة للهدايات القرآنية.

(٢) يتكون الفريق البحثي من، طه عابدين طه حمد رئيسًا، وياسين بن حافظ قاري عضوًا، وفخر الدين الزبير عضوًا، وتمخضت باكورة هذا الفريق كتابًا عن الهدايات بعنوان: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٩/١).

(٣) ينظر: محمود، منهاج المفسرين (ص٣١٠-٣١١)، وحسن أيوب، الحديث في علوم القرآن والحديث

=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- التفسير الهدائي يلتزم بالهداية المودعة في كلام الله تعالى من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق على وجه يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل، لنفوز بخير العاجلة والآجلة[١].

٣- التفسير الهدائي يحقق الوحدة الموضوعية للتفسير، وذلك بارتباط كل آية بما قبلها وما بعدها[٢]، وهذا يجعل صياغة الهداية متناسقة مع الهدف الرئيس، بعيدة عن تشتت الموضوع، فالقرينة «تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته»[٣].

٤- لما ابتعد كثير من الناس عن اللغة العربية، وصَعُب عليهما فهما، اقتضى ذلك أن تكون عبارات التفسير الهدائي سهلة، خالية من الخلاف، يفهمها القارئ بمجرد أن يقرأها، أو السامع بمجرد سماعها[٤]، فالهدايات جمهورها الناس كل الناس على اختلاف مداركهم، وتنوع بيئاتهم وأجناسهم.

٥- التفسير الهدائي يفسر القرآن بلغة العرب؛ أي حسب المعاني وقت نزوله، وأن يفهم

=

(ص١٣٥)، ورضا، تفسير المنار (٢٦/١).

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (٢٢/١)، والشريف، اتجاهات التجديد في القرآن الكريم (ص٣٠٩)، وطه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (١٢٦/١)، وحسن أيوب، الحديث في علوم القرآن والحديث (ص١٣٥).

(٢) ينظر: مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. (ص٥٨)، ورضا، تفسير المنار (١٠/٢)، وزرزور، عدنان، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص٤١٠).

(٣) رضا، تفسير المنار (٢٠/١).

(٤) ينظر: عبده، محمد. تفسير القرآن الكريم، جزء عم، الناشر: الجمعية العلمية الإسلامية، مطبعة مصر، ط٣، ١٣٤١هـ. (١٩/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرّر منه في القرآن تبعا لسياقاته[١]، وذلك ليفهم كتاب الله حسب مراد الله سبحانه وتعالى وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم.

٦- التفسير الهدائي يكشف عن بلاغة القرآن وإعجازه، ومعانيه ومراميه[٢]، ومع ذلك فهو لا يسهب ببيان معاني الألفاظ وطرق الإعراب وأوجه القراءات، والنكت البلاغية، وكل ما من شأنه أن يشتت الانتباه للهدف الرئيس، وهو الاهتداء بالقرآن، بل يأخذ المفسِّر من ذلك بمقدار الضرورة دون أن يتجاوز مقدار الحاجة[٣].

٧- التفسير الهدائي لا يتأثر بمذهب من المذاهب، ولا يجعل القرآن تابعًا لمذهب، فيؤول القرآن بما يتفق معه، فالقرآن أصل، وتحاكم عنده الآراء والأفكار[٤].

٨- التفسير الهدائي يقف موقف الناقد البصير من كلِّ ما يشوِّه التَّفسير من الرِّوايات الإسرائيليِّة، أو الأقاصيص الخرافيِّة المكذوبة، والأحاديث الموضوعة التي أساءت لجمال القرآن، وجرَّأت الطَّاعنين عليه[٥].

٩- أبعدت هذه المدرسة التفسير عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون، التي زُجَّ بها في التفسير دون حاجة إليها، وتناولت من ذلك ما اقتضته الضرورة[٦].

١٠- التفسير الهدائي يتلمس مشاكل الأمة، والحلول الناجعة لها في ضوء الهدايات

---

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (٢٠/١).

(٢) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠٢/٢).

(٣) ينظر: الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم (ص١٦٦)، والذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠٨/٢).

(٤) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠١/٢)، ورضا، تفسير المنار (٥٩/١)، وشحاته، علوم التفسير (ص٤٤).

(٥) ينظر: رضا، تفسير المنار (٨/١-١٠)، والذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠١/٢)، وعبده، تفسير القرآن الكريم (جزء عم) (ص٥٠-٥١).

(٦) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠٢/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآنية التي تتناسب مع عصرنا ومستجداته[١].

١١- يهتم التفسير الهدائي بتفسير القرآن بالقرآن، فهو المصدر الأول للتشريع، وعدم الخوض في المبهمات من الأمور الغيبية، التي لا تعرف إلا بالنصوص الشرعية الصحيحة، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً[٢].

١٢- التفسير الهدائي يثبت نظريات العلم الصحيحة إن اقتضت الهداية ذلك بلغة معبرة دون إيغال بتفاصيلها، وفهو يُقرِّب للناس كتاب الله الخالد، الذى يساير التطور الزمنى والبَشرى، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها[٣].

ومن يتتبع أقوال الدارسين في الاتجاه الهدائي يجد تبايناً بين الباحثين في مدلوله، ومفهومه، والشروط اللازمة المتوافرة فيه، بل اختلفوا في التسمية، فبعضهم سماه الاتجاه الهدائي وهم القلة، وأكثرهم الأدبي الاجتماعي، أو الإصلاحي، وينبغي أن نقرر ابتداء أن الباحثين ليسوا على قلب رجل واحد في تحديد معالمه؛ وسبب ذلك أنهم يدرسونه كنمط تفسيري تاريخي، لا كمنهج مستقل، وبحثي هذا يحاول أن يضع حدًّا فاصلًا في سبيل إنشاء اتجاه تفسيري هدائي، مستعيناً بالنشأة التاريخية، وأقوال الدارسين لهذا الاتجاه، أو على أقل تقدير أن يشعل جذوة النقاش فيه لتكتمل معالمه، وهذه هي حدوده وضوابطه كما تبدو لي، وأسأله سبحانه التوفيق

---

(١) ينظر: طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٩/١)، والشريف، اتجاهات التجديد (ص٢٥٤)، وحللي، عبدالرحمن، مسيرة علم التفسير من منظور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه (التفسير ورجاله)، مجلة الدراسات القرآنية، عدد (١١) ١٤٣٣هـ. (٥٧٧). والخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (ص٥٦٨).

(٢) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠٢/٢)، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٨٥٨/٢)، ورضا، تفسير المنار (٢٦٨/١).

(٣) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٠٢/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسداد:

أولا: ينبغي الفصل بين أقوال المفسرين المُحدَثين عن هذا الاتجاه نظريًّا وعمليًّا، فنحن عندما ندعي أن الشيخ محمد رشيد رضا، من رواد هذا الاتجاه، فلا يعني هذا أن تُقبل كل آرائه واجتهاداته في تفسير المنار، فقد خالف النهج الذي ألزم به نفسه في مقدمته عن الهدايات.

ثانيًا: لا نستطيع الادعاء أن هناك تفسيرًا خالصًا يمثل الاتجاه الهدائي؛ وذلك لعدم اتفاق الدارسين على معالم هذا الاتجاه، فهو ما زال في طور البحث والمدراسة، لكننا نقول هناك تفاسير أقرب ما تكون للاتجاه الهدائي، أو شرح هذه الآية في التفسير الفلاني تمثل الاتجاه الهدائي، فهذه الآية محل اهتمام من أصحاب هذا الاتجاه؛ فالحكمة ضالة المؤمن.

ثالثًا: قد يتداخل الاتجاه الهدائي مع غيره من مناهج التفسير؛ كالمنهج الاجتماعي، أو الإصلاحي، أو الحركي، أو الدعوي، وغيرها، فهذه كلها ميادين مشروعة للاتجاه الهدائي، شريطة أن يأخذ منها قدر الحاجة، ولا تكون هي الغالبة على تفسيره، فلا «يترك المفسر مناهج التفسير الأخرى التي يكتمل بها وضوح الحكم، وفهم الآية كالمأثور والسياق وأسباب النزول، بل يستفاد من ذلك، ويوظف في سبيل تقوية النهج المقاصدي الذي يرمي إليه بدون شذوذ أو خروج على المألوف، بل إن كل قول تفسيري يصب في فحوى الخطاب المقاصدي ينبغي ان يستدل به، وهذا ما نهجه الإمام محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا في تفسير المنار، والذي سار عليه ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير»[1]، ولذلك يمكن وصف الاتجاه الهدائي (بالاتجاه التكاملي).

---

(١) الأطرش، رضوان، وقائد، نشوان، الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، مجلة الإسلام في آسيا، ماليزيا، العدد الخاص الأول، ٢٠١١م، (ص١٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: سأحاول أن أحدد أركان هذا الاتجاه، ليمتاز عن غيره، فيُعرَف من شروطه وحدوده، وهي محاولة لتعزيز معالم هذا الاتجاه، ويظهر لي أن لهذا الاتجاه ثلاثة أركان، لا يصح وسم التفسير بالهدائي إلا إذا امتاز بها:

الركن الأول: الالتزام بالاختصار غير المخل المؤدي للمعنى، مع البعد عن الإسهاب في استخراج الهدايات المتعلقة بالآية؛ لأنَّ القرآن نزل من الله سبحانه وتعالى للناس جميعًا، عالمهم وجاهلهم، وغنيهم وفقيرهم، فلا ينبغي أن تكون تلك الهدايات مشوبة بما يصرف الناس عن فهمها، بل نعتمد في استجلاء الهداية على كل سبيل كالاستشهاد بالأحاديث والآثار أو اللغة أو البلاغة أو النحو أو الإشارات العلمية، ...وغيرها، شريطة أن تستخدم حسب الحاجة دون إفراط.

الركن الثاني: اعتماد لغة وعظية إيمانية مؤثرة، تدفع المتلقي للاهتداء بالقرآن الكريم، فيأتي بما أمر الله به، وينتهي عما نهى الله عنه؛ لأن الغاية الأسمى لكتاب الله هي اجتذاب الأرواح، وفتح القلوب، وقيادة النفوس إليه سبحانه، وخير الأساليب البلاغية لذلك هو أسلوب القرآن الكريم نفسه.

الركن الثالث: الاهتداء بالقرآن هو أسمى غاية، وأشرف وسيلة لعلاج واقع الأمة، ورسم منهاج حياتها على وجه يدفع عنها الزيغ والضلال، ويقودها إلى الهدى والنور.

وهذه –كما تبدو لي– هي أهم الأركان التي ينبغي على المفسر انتهاجها حتى يوسم تفسيره بالتفسير الهدائي، وما عدا ذلك فهي شروط لا تعد ركائز أصيلة في الانتساب لهذا الاتجاه، لكن يستحسن للمفسر أن يعتمدها: كالوحدة الموضوعية، والبعد عن الخرافات والإسرائيليات، الربط بالواقع، البعد عن المصطلحات المتعلقة في الفنون الأخرى، وعدم إلزام القرآن بنحلة أو مذهب، ...وغيرها، ولا نعني بالشروط أن المفسر يمكن أن يحتج بالخرافات الإسرائيلية، فهذا خطأ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهجي لا يليق بالمفسر أن يقع به، ولكن إن أورده على عُجالة محذرًا من الإسرائيليات فلا بأس بذلك، وهذه دعوة للباحثين أن يثروا النقاش حولها.

خامسًا: أدعو الدارسين لمناقشة هذه الأركان وتعزيزها حتى تكتمل معالم الاتجاه الهدائي من بين المناهج الأخرى.

سادسًا: أؤكد على ما ذكرته سابقًا أن تلخيص التفاسير القديمة وتهذيبها مما شابها من علوم مختلفة، يصيرها تفاسير هدائية خالصة، (كالهدايات في تفسير البغوي) أو (الهدايات العقدية في تفسير الشوكاني) أو (الهدايات الفقهية في تفسير القرطبي) وهكذا، وبذلك تحدد معالمه، ويقترب هذا الاتجاه من الطبقة المدعوة، فالقرآن جاء للناس كل الناس، وفي الأرض كل الأرض، مهما اختلفت اللغات والأجناس.

سابعًا: الاتجاه الهدائي فرصة لدعوة غير المسلمين إلى الله تعالى، عن طريق إيصال الفكرة الرئيسة والهدف المراد بيانه.

فالقرآن هو سر رقي أمتنا وبركتها العظمى، واسترشاد تعاليمه، وفهم مراميه، وتقريب مفاهيمه على وجه يجتذب الأرواح إليه واجب شرعي منوط بالاتجاه الهدائي خاصة، كما أنَّ إنقاذ العالم وإصلاح البشر هي أعظم مقاصد القرآن الذي هو من لدن حكيم خبير، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فمن هنا تكمن أهمية هذا الاتجاه وعظيم رسالته، والله المستعان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

مفهوم الآيات الكونية في القرآن الكريم، وبواعث الهداية فيها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الآيات الكونية لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني : بواعث الهداية في الآيات الكونية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الآيات الكونية لغة واصطلاحا

سأبين في هذا المطلب معنى الآيات الكونية لغة واصطلاحا، من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: الآيات الكونية لغة:

الآيات مفردها آية، وهي: العلامة، والعبرة، والإمارة[١].

والآية من القرآن: «هي طائفةٌ من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلةً كانت أو قصيرة»[٢]، وقال ابن حمزة: من القرآن كأنها العلامة التي يفضى منها إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية. وقال أبو بكر: سميت آية لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام[٣]. وقد وردت الآية في القرآن الكريم على معان منها: العلامة، آيات القرآن، معجزات الرسل، عِبْرة المعتبرين، الكتاب والبرهان، بمعنى الأمر والنهي[٤].

الكون لغة: مصدر كان، وهو: الحدث، جمعها أكوان[٥]، هذا المعنى مبثوث في معاجمنا القديمة، وقد اكتسى معان جديدة تناولتها المعاجم الحديثة، ومن هذه المعاني[٦]:

- (الكون) عند علماء الفلك: هو جملة الموجودات التي لها مكان وزمان؛ كالأجرام.

---

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٦٢/١٤)، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (١٢٢/٣٧).

(٢) الجرجاني، التعريفات (ص٤١).

(٣) ينظر: الأنباري، محمد، الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م. (٧٦/١).

(٤) ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٦٥/٢).

(٥) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (٦٩/٣٦).

(٦) ينظر: عمر وفريق عمل معه، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٩٧٤/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- (علم الكون): علم يبحث فيه عن العالم من حيث قوانينه الطبيعية التي يسير بمقتضاها.
- (نشأة الكون): علم يفسر كيفية نشأة الكون والأجرام السماوية.
- (وصف الكون): علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام.

وفي الموسوعة العربية الميسرة «الكون: كل ما في الفضاء بما في ذلك مجرتنا، الطريق اللبنية والمجرات الخارجية»[١].

وبذلك فإنّ هناك تناغمًا في لفظة الكون قديمًا وحديثًا، فبينما يطلق المعنى القديم اللفظ على كل حدث أو موجود، فإن المعنى الجديد قيده بالسماء وما تحويه من أجرام، «وما فيهن وما بين ذلك من كل متحرك وساكن مما علمه الإنسان أو جهله»[٢]، وهي كلها بلا شك من إحداث خالق قدير عزيز مهيمن جل شأنه.

الفرع الثاني: الآيات الكونية اصطلاحًا:

لم ترد في القرآن الكريم لفظة الكون، بل وردت مرادفاتها، ومن هذه المرادفات:

- العالم: أي أصناف الخلق[٣]، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، فأجابه موسى عليه السلام، قال تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾

---

(١) مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ط١، سنة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م. (ص٢٧٩٧)، وينظر: عافية، محمد سميح، القرآن وعلوم الأرض، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، (ص٢٥).

(٢) العبدالله، عبدالعزيز بن خلف، الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م. (ص٧٧).

(٣) ينظر: أثير الدين الأندلسي، محمد، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. (ص٢٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الشعراء: ٢٤].

- الآفاق: وواحده: أُفْقٌ، وهي النواحي من الأرض، وكذلك آفاقُ السماء نواحيها[١]، كقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، يقول الماتريدي عن آفاق السماء: «رفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها بلا سبب ولا تعليق من أعلاها ولا عماد من أسفلها»[٢]، وقال عطاء وابن زيد: «فِي الآفاق: يعني أقطار الأرض والسّماء من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار والبحار والأمطار»[٣].

- أقطار السماوات والأرض: أي جوانبها وأطرافها[٤]، كقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٣].

- ملكوت السماوات والأرض: قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، قال الضَّحَّاك: «**الشَّمس وَالقمر وَالنُّجوم**»، ورُوي عن مُجاهد وسفيان نحو ذلك[٥].

---

(١) ينظر: الفراهيدي، الخليل. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط بلا، سنة بلا. (٢٢٧/٥)، والراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ. (ص٧٩).

(٢) الماتريدي، محمد، تأويلات أهل السنة، وهو تفسيره، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. (٩٩/٩).

(٣) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، (٣٠٠/٨).

(٤) ينظر: البغوي، الحسين، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م. (٧/ ٤٤٨).

(٥) ينظر: ابن أبي حاتم الرازي، عبدالرحمن، تفسير القرآن العظيم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويُلحَظ أن هذه المصطلحات مع اتساع دلالة لفظها أحياناً لتشمل الأرض بما فيها فإنها تشمل السماء وما تحويها من أجرام سماوية.

تحتمل لفظة الآيات الكونية معنيين:

الأول: هي الآيات القرآنية التي تحدثت عن الكون، ولم يُعرِّفْها كثير من العلماء لوضوح دلالتها، وانصبت تعريفاتهم على التفسير العلمي للقرآن(١).

الثاني: هي الآيات والمعجزات التي خلقها الله في الكون، ليعرف الناس بها خالقهم، وهذا قد تناوله بعض العلماء بالتعريف.

وقد عرف بعض العلماء الآيات الكونية -على المعني الثاني- عدة تعريفات:

- عرفها عبد المجيد الزنداني: «بأنها العلامات الثابتة في السماوات والأرض الدالة على الخالق، وبعض صفاته لمن يشاهد ببصره ويتفكر بعقله في صفحات الوجود»(٢).

وعرف الشنقيطي الآية الكونية القدرية: «هي العلامة التي نصبها الله كوناً وقدراً ليبين بها لخلقه أنه الرب وحده، والمعبود وحده؛ كفلقه الحب من السنبل، والنوى عن النخل، وكإتيانه

=

مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ. (١٦٢٤/٥).

(١) والتفسير العلمي: «هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن، يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان» انظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٥٤٩/٢). وإبراهيم، محمد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، ودار الثقافة العربية للطباعة، د.ط، د.ن، (ص٤٤).

(٢) الزنداني، عبد المجيد، جامعة الإيمان، عنوان المحاضرة (أهمية آيات الله في الكون والأنفس)، (ندوة تقوية الإيمان وزيادته من براهين الإيمان بالله آيات الله في الكون والأنفس)، ندوة الإيمان الأولى بتاريخ: ١٤٢٥هـ، (١٤١/١)، موقع الجامعة الالكتروني: (http://www.jameataleman.org.).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالليل بدل النهار، والنهار بدل الليل، وتسخير الشمس والقمر، وخلقه النجوم ليهتدى بها»[١].

– وعرفها الشعراوي: «الآيات الكونية التي تُثبت قدرة الله، وتلفت إلى حكمة الخالق – عَزَّ وَجَلَّ – كالليل والنهار والشمس والقمر»[٢].

– عرفها أبو بكر الجزائري: «هي المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان وذلك السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات»[٣].

ونلحظ من التعريفات السابقة أنَّ المعنى الثاني يتسع ليشمل المخلوقات في الأرض والسماء، وهذا يوسع حقل البحث والدرس في هذه الأطروحة، كما أنّ رسالتي هذه تُعنى بالمعنيين معًا، أي الآيات الكونية المسطورة والمنظورة، وقد عرفهما معًا الزحيلي: الآيات الكونية: «هي المتعلّقة بالكون الدالة على وجوب النظر والتأمل، كإبداع السماوات والأرض وخلق الإنسان والحيوان والنبات»[٤].

ولذلك سأحدد مسار البحث في هذه الأطروحة بما أوجده الله سبحانه وتعالى في العالم العلوي، وسخره للإنسان، وورد ذكره في كتاب الله سبحانه وتعالى لفظًا صريحًا أو تلميحًا

---

(١) الطويان، عبد العزيز، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (١٣١/١).

(٢) الشعراوي، محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم (تفسير الشعراوي)، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، ١٩٩١م، (١١١٢٤/١٨).

(٣) أبو بكر الجزائري، جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م. (١٤١/١)، وينظر: العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (المتوفى : ١٤٢١هـ)، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن، دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ، (٩٠٦/١٠).

(٤) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ، (١٧٠٠/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بإشارة موحية.

وبذلك يكون مدار بحثي في كل ما يتعلق بالعالم العلوي، من سماء، وأجرام سماوية عامة، والشمس والقمر خاصة، ومداراتها، وطبيعة خلقها، مما امتنَّ الله به على عباده، وورد ذكرها في كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد ورد في القرآن الكريم «أكثر من ألف آية صريحة تتحدث عن الكون ومكوناته وظواهره، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تقترب دلالتها من الصراحة»[١].

وسأتناول هذه الآيات في رسالتي هذه عن الهدايات في الآيات الكونية، علمًا بأنها تنقسم من حيث العينية إلى نوعين[٢]:

الأول: أعيان ظاهرة: كالشمس والقمر والنجوم ... وغيرها.

الثاني: أعراض ظاهرة: كتعاقب الليل والنهار، وحركة الأفلاك والشهب، وغيرها.

---

(١) النجار، زغلول، السماء في القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص٣٠).

(٢) ينظر: القزويني، زكريا، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ص١٤). والوعلان، عبدالمجيد، الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٢هـ، ١٤٣٣هـ، (ص٢٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

بواعث الهداية في الآيات الكونية

يدعونا كتاب الله سبحانه وتعالى للتأمل فيما يحيط بنا من آيات وبراهين تؤكد جميعها على مبادئ الإسلام العليا أصولها وفروعها، ولا شك بأن للآيات الكونية علاقة بالهدايات القرآنية، بل هي باعث حقيقي للوقوف على هذه الهدايات القرآنية التي تنير سبيل السائرين، فالآيات الكونية باعث من بواعث الهداية، وهذه بعض منها:

أولا: الآيات الكونية باعث للإيمان بالله وأسمائه وصفاته[1]:

إن التفكر في ملكوت هذا الكون الفسيح وما حواه من جليل صنعة الله يقود أولي الألباب إلى غايتين رئيستين[2]:

الأولى: أن الله هو الخالق العظيم المدبر الواحد الأحد الفرد الصمد الحكيم الخبير، وهذا التوحيد يقودنا إلى عبادة الله؛ فلا دعاء ولا صلاة ولا ذبح ولا خوف ولا رجاء، ... إلا لله وحده، لذلك جاءت مسائل الإيمان ممتزجة بالآيات الكونية، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤]، فالدلالة على

---

(١) ذكر الرازي ثماني دلائل يُستدل بها على وجوده سبحانه، وعلى توحيده ونفي الأضداد والأنداد، ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير (١٥٤/٤).

(٢) ينظر: الشرقاوي، محمد، القرآن والكون، مكتبة الزهراء، القاهرة، د.ط، د.ت. (ص٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خالق «موجد قادر حكيم، يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته»[1] هو الهدف الأسمى، فكل ما يحيط بنا من سموات وأرض وبحار وأفلاك دالٌّ على عظمته سبحانه، ولا يتحصل هذا التعظيم إلا بعبادته تقدست أسماؤه، يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فثمرة هذا التفكر قادتهم إلى سعادتهم الأبدية، فذلت أعناقهم لربهم بالدعاء والعبادة، قال الله تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٢-١٩٤].

الثانية: التعرف على سنن الله الكونية؛ فيسخرها الإنسان لنفعه، ويوظفها في تثمير حضارته، وتنمية تقدمه، وهذا التسخير لا تكتمل معالمه إلا بالبحث والنظر والتأمل في آفاق الكون والأنفس، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم: ٨]، وهذه الآية فيها دعوة لمكذبي رسل الله ولقائه، لأن ينظروا في أنفسِهم، فإن فيها آيات يعرفون بها أن الذي أوجدهم من العَدم سيعيدهم بعد ذلك، ومن غير اللائق أن يتركهم سدىً مهمَلين لا يُنهَون ولا

---

(١) البيضاوي، عبدالله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ. (١١٧/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُؤمرون، ولا يثابون ولا يُعاقبون[1].

ثانيا: الآيات الكونية صبغة إيمانية تلامس الفطرة:

جاءت الآيات الكونية تحرك كوامن الفطرة، يقول تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، وتحثه حثا على إدراك هذا الإبداع؛ من أرض وسماء، وليل ونهار، وشمس وقمر، وسحب وكواكب، فجاء نداء الفطرة مذكرًا بتلك القدرة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٥-٦].

والآيات الكونية تخاطب العقل، وهي أيضًا صبغة ربانية تمازج الفطرة، وتدعوها للإيمان، فالفطرة هي نفس ما تقتضيه أدلة العقل والشرع[2]، فدلالتها السليمة على وجود الله هادية إلى الإيمان ما لم تحرفه الشياطين عن هذه السمة الربانية، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، ولا أدل على تلك الفطرة من ذاك الأعرابي الذي سئل: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات

---

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٣٧).

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، المعروف بالتفسير الكبير (٧٥/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير[1]؟

ثالثا: الآيات الكونية من سبل الدعوة وهداية الناس:

وردَ في القرآن الكريم «إشارات علمية سيقت مساق الهداية، فالتلقيح في النبات: ذاتي وخلطي، والذاتي: ما اشتملت زهرته على عضوي التذكير والتأنيث، والخلطي: هو ما كان عضو التذكير فيه منفصلًا عن عضو التأنيث كالنخيل، فيكون التلقيح بالنقل. ومن وسائل ذلك الرياح، وجاء في هذا قول الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، والأوكسجين ضروري لتنفس الإنسان، ويقل في طبقات الجو العليا، فكلما ارتفع الإنسان في أجواء السماء أحس بضيق الصدر وصعوبة التنفس، والله تعالى يقول: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]».

وقد تجلت حكمته سبحانه أن يحتدم الحق والباطل في كل عصر ومصر، والقرآن كتاب الله الخاتم، يخاطب عقول البشر تبعًا لتدرجهم الفكري ونموهم العلمي، ولا شك بأن تدبر الآيات الكونية وما حوته من إعجاز علمي تثير في المسلمين دوافع إيمانية، فترغبهم على البحث والاكتشافات، وبذلك يغدو الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من أهم العوامل الإيمانية للدعوة إلى الله، بل هو سلاح عصري يقود معركتنا ضد الإلحاد، وبذلك تتجدد أساليب الدعوة الإسلامية، وتقوم بها الحجة على الخلق مهما اختلفت لغاتهم وأجناسهم لما أدركوه فيه من إعجاز علمي يتناسب مع ما ألفوه من اكتشافات علمية[2].

---

(١) ينظر: الآلوسي، روح المعاني (٢١٨/١٣).

(٢) ينظر: النجار، زغلول، الأرض في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. (ص١٦)، والقطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ، =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي كل عصر لغته الخاصة التي تميزه، ونحن في عصر العلم والمعرفة، فأراد الله أن يكون لهذا الكتاب وما فيه من حقائق علمية أو إشارات معرفية سبيل هداية لمعرفة الحق والانتظام فيه، أو إلزام حجة لكل متشكّك فيه، وهذا كله يضفي قبولًا عقلياً على القبول الإيماني الراسخ، ولاشك بأن القبولين معًا أدعى للالتزام من قبول واحد هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإعجاز العلمي يزيد من ثقة المؤمنين بإيمانهم فيحميهم من الافتتان بالحضارة المادية المعاصرة(١).

رابعا: الآيات الكونية باعث من بواعث الحث على العلم والمعرفة(٢):

إبداع هذا الكون وانسجامه في نظام متناسق بديع مدعاة للعلماء للوقوف على أسرار الكون، وتبين حكمة الخالق في تدبيره، «ومن هنا جاءت الإشارات الكونية في القرآن الكريم بصيغة مجملة، يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل تلك المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية»(٣)، ولما كانت النفس تواقة لمعرفة أسرار هذا الكون دعاهم الله عز وجل للتأمل والتفكر في آيات كثيرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ

=

٢٠٠٠م، (ص٢٨٠).

(١) ينظر: صالح، سعد الدين السيد، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣م، (ص١٦٣و١٧٤و١٧٦)، وعطية، محمد، الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١٢م، (ص٢٨).

(٢) ينظر: الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (٥١١/١٣).

(٣) النجار، السماء في القرآن (ص٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق: ٦-٨].

والذي يظهر أنَّ هذه الدعوة هي التي فتحت للمسلمين آفاق العلم التجريبي التطبيقي الذي ضلت عنه الأمم قبلها، «فبهذه الأصول الاعتقادية والتوجهات القرآنية عرف المسلمون المناهج العلمية الصحيحة بما فيها المنهج التجريبي، وذلك لأول مرة في تاريخ البشرية المكتوب»[١].

خامسا: الآيات الكونية سبيل للتوسع في فهم هداية القرآن الكريم:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

هاتان الآياتان نموذج لتنوع أساليب الإقناع في القرآن الكريم أسلوبًا ومضمونًا، لتبرهن على حقيقة هذا الدين، وهذا التنوع من شأنه أن يثبت الإيمان ويقويه، وينفي دواعي الشرك هذا من جهة، ومن جهة أخرى ستدعم المعارف العلمية تفسير الآيات، فتبدو أكثر وضوحاً، وأدلَّ على هدايات القرآن التي هي هدف رئيس للتفسير، «فالإشارات العلمية التي وردت به جاءت في مقام الإرشاد والموعظة لا في مقام البيان العلمي بمفهومه المحدد، وأن تلك الإشارات على كثرتها جاءت في أغلب الأحيان مجملة، وذلك بهدف توجيه الإنسان إلى التفكر والتدبر وإمعان النظر في خلق الله، لا بهدف الإخبار العلمي المباشر»[٢].

---

(١) الدسوقي، فاروق، الإسلام والعلم التجريبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة الخاني، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. (ص١٦٨)، وينظر: الشرقاوي، القرآن والكون (ص١٧،١٨،٢٢).

(٢) النجار، السماء في القرآن (ص٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسا: الآيات الكونية دليل على تكريم الله سبحانه للإنسان على المخلوقات:

صرحت الآيات القرآنية بتكريم الإنسان على غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ثم كرَّمه مرة أخرى بتسخير ما في هذا الكون له، وطلب منا أن نتأمله ونفقهه ونتفكر في حكمة خلقه يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، «فهذا الانتظام والاطراد في سنن الكون وظواهره هو من وسائل تسخير الكون للإنسان»[(١)]، وقد كرَّم الله الإنسان بالعقل لينتفع به، ولا انتفاع إلا بمعرفة فائدة كل مخلوق، ولا تتحقق الفائدة إلا بمعرفة حقائقها تفصيلا، فمعرفة الحقيقة ترشد إلى مواطن الانتفاع[(٢)].

والإنسان يتلمس هذا التكريم في أسمى معانيه عندما يرى عظمة هذا الكون ودقة صنعه، ثم يرى ضعفه وعجزه أمام هذا الكون الشاسع، وهو ذليل لا يمثل ذرة من عظمة هذا الخلق، فيزداد إيمانًا بمنة خالقه عليه؛ «فهو المحور الأساسي الذي ترتكز عليه الحياة بكل ما فيها من حركة ونشاط، وهو موضع الرسالات السماوية ودعوات الإصلاح على مر العصور والأزمان»[(٣)].

سابعا: الآيات الكونية باعث لبني آدم للتخلص من الخرافة:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، هذه الآية

---

(١) النجار، الأرض في القرآن الكريم (ص١٨).

(٢) ينظر: الشرقاوي، القرآن والكون (ص٢٤).

(٣) عطية، الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم (ص٦٢) بتصرف يسير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثيلاتها من الآيات الكونية حررت عقل الإنسان من سلطان الخرافة، فدعته في آيات القرآن الكريم إلى النظر والتأمل؛ كتسخير الكون بأرضه وسمائه وبحاره وأشجاره، على خلاف المجتمع الأوروبي الذي جمد على العلوم اليونانية، فمناهجهم العلمية العقيمة أدت بهم إلى الجمود والتخلف أكثر من عشرين قرناً حتى العصر الحديث، ففي ثلاثة قرون ونيف تقدموا علميًّا وتكنولوجيًّا بدرجة فائقة، ويمكن القول باطمئنان أن وصولهم إلى المنهج العلمي الصحيح المستقى من المنهج التجريبي الإسلامي قادهم إلى التفوق الحضاري التكنولوجي الحديث(١).

والمنهج التجريبي الإسلامي مستقىً من عقيدته الصافية التي هي ربانية التوجه، صحيحة الفكر، واضحة المعالم، فقادت الأمة إلى منهج صحيح في النظر للكون والمخلوقات، ويشهد لذلك كله تاريخ الحضارات، فكل أمة دانت بعقائد وثنية مادية كافرة سارت على منهج يحقق مآرب تلك العقيدة(٢)، فالفرد يكتسب أفكاره وتصوراته وتفسيراته للكون والحياة من دينه وبيئته واعتقاده، ويتغير هذا المفهوم من عقيدة لأخرى، وهذا بالضرورة يستتبع تغير المنهج تبعًا لذلك(٣).

---

(١) ينظر: الدسوقي، الإسلام والعلم التجريبي (ص٢٣-٢٤)، ورسل، برتراند، النظرة العلمية، ترجمة: عثمان نويه، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م. (ص١٦)، وشوشه، علي توفيق، القرآن والعلم، مجموعة مقالات لمجلة الرسالة تحت عنوان النظريات العلمية في القرآن (الرسالة الأولى)، القاهرة، ١٣٦١هـ، ١٩٤٢م، (ص٨)، والمبارك، محمد، الإسلام والفكر العلمي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م. (ص١٢٤).

(٢) كان اليونانيون أكبر صانعي الأسطورة، ومن خرافاتهم تعليلهم حمرة الشفق بالحرب بين الآلهة، ينظر: المبارك، الإسلام والفكر العلمي (ص١١١)، وكورتل، آرثر، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م. (ص١٢٧).

(٣) ينظر: الدسوقي، الإسلام والعلم التجريبي (ص١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المصنفات التي برز فيها الاتجاه الهدائي

وفيه تمهيد وسبعة مطالب:

تمهيد

المطلب الأول : الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي.

المطلب الثاني : تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

المطلب الثالث : مجالس التذكير لابن باديس.

المطلب الرابع : في ظلال القرآن لسيد قطب.

المطلب الخامس : خواطر حول القرآن الكريم للشعراوي.

المطلب السادس : التفسير المنير لوهبة لزحيلي.

المطلب السابع : أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

وقفتُ في هذا المبحث على نماذج متنوعة من التفاسير قديمًا وحديثًا لتلمس الهدايات القرآنية، وغني عن الذكر أنها لا تمثل الاتجاه الهدائي بشكل خالص، لكنني أنتقي منها ما يتوافق مع الاتجاه الهدائي، ومنهجي في ذلك هو التعريف بمؤلفيها، وما تميزت به تفاسيرهم من هدايات على اختلاف أنواعها، مع ضرب أمثلة عملية، وذلك كله من خلال إيضاحات مختصرة، وإشارات سريعة ولمحات خاطفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي

تتجلى معالم هذا المطلب من خلال الفروع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول: نبذة عن حياة المؤلف[١]:

هو عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي (٨٤٩هـ-٩١١هـ)، نشأ يتيمًا، فحفظ القرآن دون الثامنة، وشرع في الاشتغال بالعلم، وأجازه أكابر علماء عصره، بلغ مشايخه في الرواية سماعًا وإجازة مائة وخمسين، وتجاوزت مصنفاته الثلاثمئة مصنف، يقول عن نفسه: «رزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبلغاء»[٢].

الفرع الثاني: منهجه في تفسيره الإكليل:

منهج السيوطي في الإكليل هو أن ينتقي آية أو آيات ثم يستنبط الأحكام والفوائد منها، فلم يفسر سورة كاملة أو يستنبط من كل آياتها، وهناك سور لم يفسرها كالحاقة والنازعات[٣] ...

---

(١) ينظر في ترجمته: السيوطي، عبدالرحمن، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م، (٣٣٥/١) وما بعدها، والشوكاني، محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، (٣٢٨/١)، والقنوجي، محمد صديق، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، (٣٤٢/١).

(٢) السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (٣٣٨/١).

(٣) ينظر: الغامدي، رياض، منهج الإمام السيوطي في الاستنباط من خلال كتابه الإكليل في استنباط التنزيل دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير، إشراف خالد الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م، (ص٧٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغيرها، يفسر القرآن بالقرآن، وهو قليل[١]، ويفسر القرآن بالسنة النبوية، وهو كثير[٢]، ويفسر القرآن بأقوال الصحابة[٣]، والتابعين[٤]، ويحتج بأقوال المفسرين والعلماء، وينسب الأقوال إلى أصحابها[٥]، اعتمد مؤلفه فيه على الاستنباط كما يظهر من عنوان الكتاب، والاستنباط هو: «استخراج الدليل عن المدلول، بالنظر فيما يفيده من العموم أو الخصوص، أو الإطلاق أو التقييد، أو الإجمال أو التبيين في نفس النصوص، أو نحو ذلك مما يكون طريقًا إلى استخراج الدليل منه»[٦]، وقد اعتنى المفسرون بهذا التفسير، فاحتج به القاسمي بشكل لافت للنظر في تفسيره مما يدلل على أهمية هذا الكتاب، وعظيم فضله وأثره[٧].

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره هذا مع أمثلة عملية:

من خصائص تفسيره الهدائي:

الأول: تفسيره مختصر العبارة، ومهذب المقاصد، ومحرر المسالك، أورد فيه مؤلفه كل ما

---

(١) ينظر: السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ٢٧٣).

(٢) المصدر السابق (ص٤٢، ٢١٧).

(٣) المصدر السابق (ص١٨١، ٢٠٢).

(٤) المصدر السابق (١٨٦، ٢٣٢).

(٥) المصدر السابق (ص٩٩، ٢٠٣).

(٦) الشوكاني، محمد. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، (٢/ ٩٨). وينظر: الجصاص، أحمد. أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق قحماوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط بلا، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، (١٨٣/٣).

(٧) ينظر: الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٨٧/٧)، والقاسمي، محاسن التأويل (٣٠٨/٢)، والشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (٤٢٧/٢)، والزحيلي، التفسير المنير (٤٦/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استنبط من القرآن من مسئلة فقهية أو اعتقادية، أو سوى ذلك[١].

ومثاله على الاختصار: قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩]: «فيه ذم الهلع وتفسيره في الآية بعده»[٢].

الثاني: تنوعت استنباطات المؤلف بين الاستنباطات العقدية، والفقهية، والنحوية، والدعوية والتربوية، وغيرها.

ومثاله: – (هداية عقدية): قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]: «فيه إثبات المعاد»[٣].

– (هداية فقهية): قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]: «استدل به على طهارة لبن المأكول وإباحة شربه»[٤].

– (هداية نحوية): قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]: «فيه رد على من قال لا يستثنى من العدد عقد صحيح»[٥].

– (هداية دعوية): قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:

---

(١) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٠).
(٢) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٧٣).
(٣) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٥).
(٤) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٦٣).
(٥) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٠٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٢٥]: «فيه الحث على الانصاف في المناظرة وإتباع الحق»[١].

وألحظ مما سبق استخلاصه رحمه الله لمسائل علمية متعددة في العقيدة والفقه وغيرها دون إسهاب، وهذا ما يسعى إليه الاتجاه الهدائي.

الثالث: يستدل بأسباب النزول أو بعض القراءات القرآنية[٢]، كلما اقتضت الحاجة[٣].

ومثاله: - (احتجاجه بأسباب النزول): قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: «عن عائشة، أنها قالت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله؟ قال: «**لا ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف أن لا يقبل منه**»[٤]»[٥].

- (احتجاجه بالقراءات): قال السيوطي عند قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]: «قرئ بالنصب والجر؛ فالأولى للغسل، والثانية لمسح الخف؛ لأن تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات»[٦].

---

(١) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٦٥).

(٢) المصدر السابق (ص٥١، ١٠٩).

(٣) المصدر السابق (ص٧٤، ١٣٢).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب من سورة المؤمنون (٣٢٧/٥-٣٢٨) الحديث رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل (١٤٠٤/٢) الحديث رقم (٤١٩٨)، والإمام أحمد في مسنده (١٥٦/٤٢) الحديث رقم (٢٥٢٦٣)، والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المؤمنون (٤٢٧/٢) الحديث رقم (٣٤٨٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك.

(٥) السيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٨٦).

(٦) الإكليل في استنباط التنزيل (ص١٠٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وألحظ أنَّ السيوطي رحمه الله مع احتجاجه بالروايات والقراءات لم ينشغل عن الفكرة الرئيسة وهي الهداية، بل يأخذ منها ما يغذي المعنى ويقويه.

هذا التفسير مختصر يتناول هدايات القرآن بوضوح بين، وجاءت هذه الهدايات متنوعة ما بين هدايات عقدية وفقهية ولغوية ....، وهذا يدل على سعة اطلاعه وتبحره في العلوم من جهة أخرى، ومن جهة أخرى نتلمس فيه بعض سمات الاتجاه الهدائي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

تفسير المنار لمحمَّد رَشِيد رضا

أبين في هذا المطلب معالم هذا التفسير من خلال الفروع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول: نبذة عن المؤلف:

هو محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل، الحسيني النسب (١٨٦٥-١٩٣٥م)، ولد ونشأ وتعلم في القلمون ثم طرابلس وبيروت، نظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف. رحل إلى مصر، وتتلمذ على يد الشيخ محمد عبده، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، وأصدر مجلة المنار لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، توفي في مصر، ودفن بالقاهرة[١].

الفرع الثاني: بدايات هذا التفسير ومنهج مؤلفه فيه:

بدأت فكرة هذا التفسير؛ عندما اقترح محمد رشيد رضا على شيخه الشيخ محمد عبده أن يكتب تفسيرًا على غرار مقالاته في العروة الوثقى، فما زال يعاوده حتى أقنعه، فبدأ به من أول القرآن حتى بلغ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]، وهذا القسم الذي فسره الشيخ محمد عبده في دروسه أخذه عنه وصاغه بأسلوبه محمد رشيد، ثم بدأ بتفسير ما بقي من القرآن حتى وافاه الأجل[٢]، وبلغ في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(١) ينظر: عبدالوهاب، عبدالرحمن بن عبداللطيف. مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م. (٤٢٢/٢).

(٢) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٤٢٣/٢)، والخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين (ص٥٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية:

ومن خصائص تفسيره المتعلقة بالهدايات:

الأول: غايته من التفسير هو فهم القرآن، ومعرفة أهدافه وأغراضه والاهتداء بها[١].

الثاني: بُعْد التفسير عمَّا يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية، والهداية السامية، عن الخلافات الفقهية، والاستطرادات اللغوية، والبلاغية، ...وغيرها[٢].

الثالث: القرآن الكريم هو الميزان الذي توزن به العقائد لتعرف قيمتها، «فالقرآن أصل، تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين، لا أن تكون المذاهب أصلًا، والقرآن هو الذي يحمل عليها»[٣].

وهذا مثال يبين خصائص مدرسة المنار في تعزيز الاتجاه الهدائي؛ يقول تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومن ملامح الاتجاه الهدائي في تفسيره لهذه الآية ما يأتي:

---

(١) ينظر: منيع، مناهج المفسرين (ص٣١٧)، وكفافي، والشريف، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص٣٤٧).

(٢) ينظر: رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٨/١).

(٣) المصدر السابق (٥٩/١)، وينظر: كفافي، والشريف، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات (ص٣٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– عدم الخروج عن موضوع السحر وما يتعلق به، فقد ركز في تفسيره على الفكرة الرئيسة، وسخر شواهده كلها لإبراز ما في الآية من هدايات، لتزكية النفوس والعقول، وهو ما يعرف بالوحدة الموضوعية، مع ربطها بما سبقها.

– نقل الشيخ رشيد رضا افتراءات بني إسرائيل، وهي: زعمهم أن ملك سليمان قائم على السحر، ودفنه تحت كرسيه، وقد أضاع خاتم ملكه، فوقع في يد آخر، وأنه ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام ... إلى آخر دجلهم وافتراءاتهم، ثم نفاها بقوله: «ولا شك أن ما قالوه على سليمان وملكه من خبر السحر والكفر مكذوب، افتراه أهل الأهواء وقد قصه الله تعالى علينا؛ لنعتبر بما افتراه هؤلاء الناس على الأنبياء»[1].

– يعلق الشيخ رشيد رضا على مثل هذه الافتراءات بإسهاب، ويربطها بواقع المسلمين، فقال: «وإنك لترى دجاجلة المسلمين إلى اليوم يتلون أقساما وعزائم، ويخطون خطوطا وطلاسم، ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهوده، ويزعمون أنها تقي حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت، ولقد رأى كاتب هذا التفسير شيئا من ذلك، وكان في أيام حداثته يصدق به ويعتقد فائدته...»[2].

– ثم نقل رشيد رضا عن شيخه محمد عبده الفائدة من القصص القرآني، بقوله: «إن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين، وإنه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل، ومن تقاليدهم الصادق والكاذب، ومن عاداتهم النافع والضار، لأجل الموعظة والاعتبار، ...» [3].

– ثم يذكر معنى السحر لغة ويحتج بالآيات والأحاديث عليه وأقوال العلماء، ثم يستخلص

---

(١) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٢٩/١).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق (٣٣٠/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنَّ: «مجموع هذه النصوص يدل على أن السحر إما حيلة وشعوذة، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ويجهلها الأكثرون»، ومع احتجاجه باللغة والآيات والأحاديث نجد المفسر لم يخرج عن الوحدة الموضوعية، وبقي السياق متصلا، لا انقطاع فيه.

– من خصائص التفسير عند هذه المدرسة، عدم الإسهاب فيما أجمله القرآن، يقول محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ «فأجمل بهذه العبارة الوجيزة خبر قصة كانوا يتحدثون بها، كما أجمل في ذكر تعليم السحر، فلم يذكر ما هو، أشعوذة وتخييل، أم خواص طبيعية، وتأثيرات نفسية؟ وهذا ضرب من الإعجاز انفرد به القرآن...»[١].

– تعدد القراءات في الكلمة، وتوجيهها لخدمة الفكرة، يقول الشيخ رشيد رضا: «في (الملكين) قراءتان، فتح اللام وكسرها، فالأولى قراءة الجمهور، والثانية قراءة ابن عباس والحسن وأبي الأسود والضحاك[٢]، وحمل بعضهم قراءة الفتح على قراءة الكسر، ويؤيده ما قيل إن المراد بهما داود وسليمان عليهما السلام ...»[٣].

– أكد المفسر على الهدايات العقدية؛ بأنَّ السحر لا خير فيه؛ «ولو علم الله أن الخير لنا في بيان ذلك، لبينه كما قلناه في مثله مرارا»[٤]، لكنه سبحانه وتعالى «لم يهمل ما يتعلق بالعقائد وبيان الحق فيها؛ ولذلك قال بعد حكاية السحر عنهم: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أنهم ليس لهم قوة غيبية وراء الأسباب التي ربط الله بها المسببات، فهم يفعلون بها

---

(١) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٣١/١).

(٢) ينظر: الهُذَلي، يوسف بن علي، أبو القاسم (المتوفى: ٤٦٥هـ)، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، المحقق: جمال الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م. (ص٤٩٠).

(٣) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٣٢/١).

(٤) المصدر السابق (٣٣٤/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما يوهمون الناس أنه فوق استعداد البشر، ... وهذا الحكم التوحيدي هو المقصد الأول من مقاصد الدين، فالقرآن لا يترك بيانه عند الحاجة بل يبينه عند كل مناسبة»، ثم يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، يتابع الشيخ بقوله: «أي أنهم يعلمون أن من اختار هذا واستبدله بما آتاه الله من أصول الدين الحق وأحكام الشريعة العادلة الموصلين إلى سعادة الدنيا والآخرة، فليس له نصيب في نعيم الآخرة»[1].

– ثم يفصل الشيخ واقع الأمة من وحي الآية: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، بعد أن وقع فيها بنو إسرائيل، بقوله: «وإننا نرى كثيرا من الحرمات قد انتهكت في المسلمين بمثل التأويلات؛ حتى جوز بعض المشتغلين بالفقه هدم ركن من أعظم أركان الإسلام بالحيلة، وهو ركن الزكاة الذي يحارب تاركوه شرعا، وترى هذه الحيل قد أثرت في الأمة أسوأ التأثير، فقلما يوجد فيها غني يؤدي الزكاة، ولا يعتقد المتمسك بالدين من هؤلاء الأغنياء أنه متعرض لمقت الله وعقوبته، ...» [2]، وربط هذه المدرسة الهدايات القرآنية بواقع هذه الأمة من الأشياء المندوب لها شرعًا، فالقرآن كتاب هداية وبصيرة ونور لأدواء الأمة وآهاتها.

يعد تفسير المنار من رواد الاتجاه الهدائي، بغض النظر عن المآخذ التي أخذت عليهما، فالنقص يلازم بني البشر، والكمال لله وحده.

---

(١) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٣٤/١).

(٢) المصدر السابق (٣٣٥/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

مجالس التذكير لابن باديس

تتضح معالم هذا المطلب من خلال الفروع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول: نبذة عن المؤلف:

هو عبدالحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس (١٨٨٩م-١٩٤٠م): ولد في قسنطينة. حفظ القرآن الكريم ودرس علوم العربية والفقه والحديث، كان عفيفًا زاهدًا في الدنيا، مهيبًا، متواضعًا، عاش لقضايا أمته، وأقلقه حالها، واشتغل بالسياسة، وصارع الاستعمار الفرنسي. حارب طرق التصوف وانحرافاته العقدية والفكرية. أصدر مجلة (الشهاب) علمية دينية أدبية. وترأس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وهو الأب الروحى لحركة التحرير الجزائرية. وتوفي بقسنطينة. وجُمعت آثاره في أربعة مجلدات، باسم آثار ابن باديس[١].

الفرع الثاني: منهجه في التفسير:

تفسيره هو مجموع دروس ألقاها الشيخ على مريديه في قسنطينة، وللأسف لم يُدون هذا التفسير -كما يقول الشيخ محمد البشير الابراهيمى- إلا ما نشره الشيخ أحيانا في مجلة الشهاب، ويسميها: مجالس التذكير، وقد جمعت ونشرت بعنوان: تفسير ابن باديس، أو: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير[٢].

---

(١) ينظر: الزركلي، الأعلام (٢٨٩/٣)، وكحالة، معجم المؤلفين (١٠٥/٥)، ومطبقاني، مازن، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (ص٣٠) وما بعدها.

(٢) جمع وترتيب محمد الصالح رمضان الجزائرى، وتوفيق محمد شاهين المصرى الأزهرى، نشر دار الكتاب الجزائرى. فى مجلد يضم نحو ٥٠٠ صفحة، ينظر: النمر، عبدالمنعم، علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اعتمد في تفسيره رحمه الله على تفسير ابن جرير الطبري، والكشاف، تفسير أبي حيان الأندلسي، وتفسير الرازي[١]، ومنهجه هو الاعتماد على صحيح المنقول، وسديد المعقول؛ ففسَّر القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، وبأقوال الصحابة، وأقوال التابعين، وبلغة العرب[٢].

واشتمل تفسيره على ستة أقسام وهي: سورة الإسراء وسورة الفرقان وسورة النمل وسورة يس والمعوذتين، ثم آيات متفرقة من سور يوسف والنحل والمائدة والنور ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والذاريات، والقسم السابع يعتبر تفسيرًا موضوعيًّا عن العرب والقرآن، وهو يذكر آية أو عدة آيات، ثم يتكلم عن مناسبتها، ثم يتكلم عن معاني المفردات، ثم يشرحها مستخرجًا منها الآداب والإعجاز والنكات اللغوية وغير ذلك[٣].

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية:

كان هدفه من التفسير رحمه الله هدائيًّا إصلاحيًّا، وقد ارتضى منهج الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن[٤]، وقاعدته العامة في التعامل مع القرآن الكريم هي: «لا فلاح للمسلمين إلّا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته»[٥].

=

انتهى إلى عصرنا الحاضر، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، (ص١٣٧).

(١) ينظر: ابن باديس، عبد الحميد، تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، المحقق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، (ص٤١).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٤١، ٩١، ١١١، ١٢٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٤٤).

(٣) ينظر: طرهوني، محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ، (ص٧٢٤).

(٤) ينظر: منيع، مناهج المفسرين، (ص٣٢٥)، والنمر، علم التفسير كيف نشأ وتطور (ص١٣٧).

(٥) الإبراهيمي، محمد. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م. (٢٥٢/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأجمل منهجه التفسيري فيما يتعلق بالهدايات القرآنية؛ فهو يضع القارئ في جو النص، مع ربط الآيات بما قبلها، وبيان سبب النزول إن وجد، ثم يفسر الألفاظ لغويا وقد يحتج بالشعر أو يتعرض للإعراب أو النكات البلاغية، ويحلل التراكيب، ويحملها على أبلغ أساليبها البيانية، ثم يوضح المعنى العام للآيات دون إيجاز مخل أو إسهاب ملل، ثم يستخرج من الآية الأحكام والحقائق والقيم والهدايات، معرضًا في ذلك كله عن الإسرائيليات، ونادرًا ما يتعرض للقراءات[1]، هذا بشكل عام وربما قدَّم وأخر، وحذف وأسهب في آليات هذا المنهج كما تتبعتُهُ، وسببه والله أعلم عدم اكتمال التفسير تدويناً أثر بلا شك في الشكل العام للمنهجية المتبعة، وسأضرب أمثلة على منهجه الهدائي:

المثال الأول: الهداية القرآنية في المعاملات: يقول الشيخ رحمه عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٢]: «المال قوام الأعمال، وأداة الإحسان، وبه يمكن القيام بالحقوق: فصاحبه هو مالكه، ولكن الحقوق فيه تشاركه، ولا يقوم له بوجوه الحق إلاّ إذا أمسكه عن وجوه الباطل. ثم لا يقوم له بجميع تلك الوجوه إلاّ إذا أحسن التدبير في التفريق، وابتغى الحكمة في التوزيع»[2]، ثم يربط هذه الآية بما قبلها بما يحقق الوحدة الموضوعية، بقوله: «فلذا بعدما أمر الله تعالى بإعطائه الحقوق لأربابها.. نهى عن تبذير المال الذي هو أجملها، وبه يمكن إعطاؤها»، ثم يسترسل الشيخ في بيان الحقوق، وهذا يدل على تفهمه لواقع الناس، فيقول: «الانفاق في المطلوبات ليس بتبذير، ولو كان كثيرا، إلا إِذا أنفق في

---

(١) ينظر: ركيبي، سامية، جهود علماء الجزائر في التفسير من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، رسالة ماجستير، إشراف نبيل بوراس، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، (ص٦٦). وطرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (ص٧٢٥-٦٣٦).

(٢) ابن باديس، مجالس التذكير (ص٢٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مطلوب دون تقدير، فأضر بمطلوب آخر: كمن أعطى قريباً، وأضاع قريباً آخر، أو أنفق في وجوه البر، وترك أهله يتضورون بالجوع»[1]، ومع احتجاجه بقوله صلى الله عليه وسلم، لكنه بقي محافظًا على الوحدة الموضوعية لم يخرج عن الهدف الرئيس من الآية، ثم استغل اللغة لتعزيز مفهوم التبذير، بقوله: «وأفادت النكرة وهي قوله: (تبذيراً) بوقوعه بعد النهي العموم. فهو نهي عن كل نوع من أنواع التبذير: القليل منه والكثير، حتى لا يستخف بالقليل؛ لأن من تساهل في القليل وصلت به العادة إلى الكثير»[2]، ويتضح من كلام الشيخ ثباته على المعنى، لا يشغل قارئه عن الهدايات القرآنية المرادة من الآية.

المثال الثاني: قوله في الإسرائيليات: بيّن الشيخ آراءه في الإسرائيليات، وذلك في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد، عند قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل: ٢٠-٢١]، فقال: «رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير، مما تلقى من غير تثبت ولا تمحيص، من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه، وروى شيئاً من ذلك الحاكم في مستدركه، وصرح الذهبي ببطلانه[3]»[4]، وهذا يدل على انتهاجه طريقة الشيخ محمد عبده في الإعراض عن

---

(١) ابن باديس، مجالس التذكير (ص٨٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ينظر الحاكم، محمد. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١١هـ، ١٩٩٠م. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله سليمان وما آتاه الله من الملك صلى الله عليه وسلم (٦٤٣/٢-٦٤٥).

(٤) ابن باديس، مجالس التذكير (ص٢٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسرائيليات، والابتعاد عن كل ما يشغل القارئ عن الهاديات القرآنية.

المثال الثالث: الهدايات في الإعجاز العلمي: يقول الشيخ عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، «من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية، أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي، في بيان بديع جذاب، يشوقنا إلى التأمل فيها، والعمق في أسرارها، وهنا يذكر لنا ما خبأه في السموات والأرض لنشتاق إليه، وننبعث في البحث عنه، واستجلاء حقائقه، ومنافعه؛ بدافع غريزة حب الاستطلاع، ومعرفة المجهول، وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم، واستثمار ما في الكون، إلى أقصى ما استطاعوا، ومهدوا بذلك السبيل لمن جاء بعدهم. ولن نعز عزهم إلاّ إذا فهمنا الدين فهمهم وخدمنا العلم خدمتهم»[1]، وتأمل طريقة الشيخ في استغلال العلوم الكونية، بعبارات إيمانية موحية دون إيغال بتفاصيل غير مقصودة شرعًا، ثمَّ ربطها بأسلافنا السابقين الذين ملؤوا الدنيا علمًا، وحث أمته اليوم على السير على خطاهم، وهذا استقراء للواقع، ووصف العلاج الناجع له.

وأخيرًا يلحظ القارئ شخصية ابن باديس بادية في تفسيره، فهو يحلل ويناقش ويحتج ويرجح، يستخلص العبر، ويربط بالواقع، ويستخلص الهدايات، ويسوقها بعبارة موحية، وهو بذلك يعد ركنا من أركان الاتجاه الهدائي.

---

(١) ابن باديس، مجالس التذكير (ص٢٧٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

في ظلال القرآن لسيد قطب

الفرع الأول: نبذة عن المؤلف:

هو سيد بن قطب بن إبراهيم (١٩٠٦-١٩٦٦م)، كاتب، أديب، شاعر، ناقد، مفسر، ولد في قرية موشا في أسيوط. تعلم بالقاهرة، وتخرج بكلية دار العلوم سنة ١٩٣٤م، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة. اشتغل بالتدريس، انضم إلى الإخوان المسلمين، وترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم المسلمون (١٩٥٣-١٩٥٤م) وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه. وصدر الأمر بإعدامه، فأعدم رحمه الله عام ١٩٦٦م. ومن كتبه: في ظلال القرآن، والتصوير الفني في القرآن، وغيرها[١].

الفرع الثاني: منهجه في التفسير:

بدا تفسير القرآن عند سيد قطب فكرة تمخضت عنده بعد تأليف كتابه التصوير الفني في القرآن، فأراد أن يطبق فحوى كتابه على القرآن الكريم[٢]، ومن خصائص تفسيره أنه يقدم بين يدي السورة مقدمة عن مقاصد السورة العامة، ويحدد فيها المحور الأساس الذي يجمع كل أغراضها، ثم يقسمها إلى مقاطع كبيرة من الآيات يقوم بشرحها وتفسيرها آية آية[٣].

---

(١) ينظر: الزركلي، الأعلام (١٤٧/٣)، ونويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام (٢١٩/١).

(٢) ينظر: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، (ص٩)، والخالدي، صلاح، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، (ص٥٤٥).

(٣) ينظر: زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه (ص٤٣٤)، وأبو زيد، وصفي عاشور، التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجًا، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الدولي بعنوان: (فهم =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجمل الرومي خصائص تفسير سيد بقوله: «ترك الإطناب في كثير مما لا طائل تحته وليس له ثمرة، ولم يجهد نفسه في الكشف عما أبهمه القرآن، ولم يتوسع في التفسير العلمي بحيث يتجاوز واقع النص ومدلوله، وأعرض عن الخوض في الإسرائيليات، ولم يتناول الاختلافات الفقهية الدقيقة، ولم يتعمق في المفردات واشتقاقاتها وأصولها، ولم يعتن بإثارة المسائل اللغوية، وكان وقّافًا عند حدود علم الغيب فلم يسمح لنفسه أن يخوض فيه، وتلقى نصوصه بالقبول دون تأويل أو تحريف، كل هذا نراه أثرًا من التزامه للواقعية الجدية مما لا أثر له في بناء المجتمع المسلم، فكان أن أعرض عنها، وتناول ما له أثر جاد في واقع المسلمين»[١].

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية:

وفي تفسيره بعض معالم الاتجاه الهدائي، وهي كما يلي:

- التركيز على الجانب الفني الخالص دون التعرض للمباحث اللغوية أو الكلامية أو سواها من مباحث القرآن المطروقة[٢]، وهو بهذا يبتعد عمّا يُشغل القارئ عن الهدايات.

- التركيز على إبراز جمال التصوير الفني، ومدلوله هو جمال العرض، وتنسيق الأداء، وبراعة الإخراج[٣]، وهذا الجانب يمكن أن يشترك فيه مع الجانب الهدائي لولا الإسهاب اللغوي الذي يشتت الذهن أحيانًا، مع مشكلة التكرار.

=

القرآن بين النص والواقع) المنعقد في (٤-٥) ديسمبر ٢٠١٣م، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، (ص١٥).

(١) الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (١٠١٩/٢، ١٠٤٤).

(٢) ينظر: زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه (ص٤٢٨).

(٣) ينظر: قطب، التصوير الفني في القرآن (ص٢٥٥)، وعباس، فضل. التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ط١، سنة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. (ص٤٧٧) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– بيان المنهج الحركي الدعوي، فهو دليل عملي مكتوب[١]، يقول سيد قطب: «ونحن نؤكد على هذه السمة في هذا القرآن، سمة الواقعية الحركية؛ لأنها في نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب، وفهمه، وفقهه، وإدراك مراميه، وأهدافه»[٢]، والربط بالواقع وتلمس هموم الناس، ووضع الحلول المناسبة لمشاكلهم، من صميم الاتجاه الهدائي.

– «ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم، ألا نواجهه بقررات سابقة اطلاقًا، لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته»[٣]، والبعد عن تطويع آيات القرآن لمذهب هو لب الاتجاه الهدائي، مثال ذلك محاورته لأهل الكتاب في العصر الحديث، ومحاورته لدعاة الانحلال الأخلاقي وبيان أثره على سقوط الشعوب[٤].

– إبراز الوحدة الموضوعية في القرآن بشكل عملي مكتوب[٥]، وهذا من خصائص الاتجاه الهدائي، ومثاله مقدمة لسورة القصص[٦].

والذي يظهر لي أن سيد قطب وإن كان يحسب على الاتجاه الحركي أو غيره، لكن يمكننا إدراجه مع أتباع الاتجاه الهدائي، وذلك أنه عالج في تفسيره كثيرًا من هموم الأُمّة، ودعاها وأرشدها لما يعود عليه بالصلاح في الدنيا والآخرة، والله أعلم.

---

(١) ينظر: الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد (ص٥٤٧)، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (١٠١١/٢)، وزرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه (ص٤٢٥).

(٢) قطب، في ظلال القرآن (٢١٢١/٤).

(٣) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط١٥، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، (ص١٥).

(٤) قطب، في ظلال القرآن (٩٢٣/٢، ١٠٣٨).

(٥) ينظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (١٠٣٩/٢).

(٦) قطب، في ظلال القرآن (٢٦٧٤/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

خواطر حول القرآن الكريم للشعراوي

الفرع الأول: نبذة عن المؤلف:

هو محمد متولي الشعراوي (١٩١١م-١٩٩٨م)، ولد في قرية من قرى مصر، وحفظ القرآن في سن العاشرة. تخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤٠م، وحصل على العالمية (تعادل الدكتوراه) مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م. تقلد عدة مناصب في داخل مصر وخارجها. أحيل للتقاعد عام ١٩٧٦م. وتفرغ للدعوة والتدريس. توفى عام ١٩٩٨م. ومن مؤلفاته: معجزة القرآن، والآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى، وغيرها[١].

الفرع الثاني: منهجه في التفسير:

فسر القرآن في التلفزيون المصري، وجُمِع بإشراف دار أخبار اليوم المصرية من تسجيلاته الصوتية، ولم يضعه هو نفسه، وقام بعض علماء الأزهر بمراجعته وتخريج أحاديثه[٢]، يقول الشيخ الشعراوي عن خواطره في التفسير: «خواطري حول القرآن لا تعني تفسيرًا للقرآن، وإنما هي هبات صفائية، تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات»[٣].

ومن خصائص تفسيره أنه يبدأ الشيخ بمعنى إجمالي للآية، ثم يورد ما يفسرها من آيات القرآن والحديث والقصص والأخبار، مع ضرب الأمثلة البسيطة التي تقرب الفهم وتشعر بأن

---

(١) ينظر: زقزوق، محمود، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي (٣)، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص١٠٠٣)، وطرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٤٦٧/١).

(٢) ينظر: عبداللطيف، خالد. الداعية الشيخ محمد متولى الشعراوي، مقال منشور في جريدة دنيا الوطن، صحيفة إلكترونية فلسطينية، تاريخ ٢٠١٦/١٢/١٦م، (https://www.alwatanvoice.com).

(٣) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (تفسير الشعراوي) (٩/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن منهج حياة ملموس أثره في الواقع[١]، يعتمد الشيخ على التفسير بالمأثور من خلال الاستشهاد بالقرآن الكريم بربط الآيات التي تتحدث عن الموضوع الواحد في وحدة واحدة[٢]، أو الاستشهاد بالسنة النبوية في مواضع متعددة[٣] أو الاحتجاج بأقوال الصحابة والتابعين[٤].

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية:

ومن خصائصه التي يتوافق فيها مع الاتجاه الهدائي:

– مخاطبة العامة بسلاسة يفهمها كل أحد بغض النظر عن مستواه الثقافي؛ وأسلوب ممتع يلبي حاجات الخواص، لما يجد فيه من لفتات تهزّ العواطف وتثير الوجدان، فتدعو صاحبها إلي الإيمان والتفكر، وهذا التفسير مقروء ومسموع[٥]، وهذا من خصائص التفسير الهدائي.

– يراجع الشيخ الكلمة القرآنية في مختلف السور متى وردت لأول مرة في النص المشروح، فيبدو الموضوع متماسكًا[٦]، وهذا يتلاءم مع التفسير الهدائي، لكنه يطيل أحيانًا.

– خلت خواطر الشيخ من الاستشهاد بالإسرائيليات بشكل عام[٧]، وهذا يتوافق مع الاتجاه الهدائي.

---

(١) ينظر: عبدالسميع، التيسير في أصول واتجاهات التفسير (ص١١٩).

(٢) ينظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (١/ ٨٤، ٥٧٤ و١٦٨٨/٣ و١١٨٣٠/١٩).

(٣) المصدر السابق (١٦٧٦/٣، ١٨٧١/٣).

(٤) المصدر السابق (١٢٩٣/٢ و٣٩٦٨/٧ و٤٩٠٢/٨).

(٥) ينظر: طرهوني، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٤٦٨/١)، وعبد السميع، التيسير في أصول واتجاهات التفسير (ص١١٩).

(٦) هذا ما يراه البيومي، نقلا عن العيد، علاوي، التفكير اللغوي عند الشيخ محمد متولي الشعراوي، رسالة دكتوراه، إشراف محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، السنة الدراسية ٢٠١٤م، ٢٠١٥، (ص٦٨).

(٧) ينظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (٤٩٥/١، و٧٨٨٤/١٣، و١٠٧٩٣/١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الدفاع عن الإسلام، والرد على أقوال المستشرقين وأذنابهم من العلمانين[١].

- يرد كثيرا من شُبَه اليهود والنصارى ويبطل حججهم[٢].

- يستشهد بالشعر العربي قديمه وحديثه[٣].

- تلمس مشاكل المجتمع وحلها، وضرب الأمثلة الواقعية العملية[٤].

- يستخدم أسلوب الاستفهام[٥]، والحوار[٦]، ... إلى غير ذلك، لجذب السامعين إليه.

- له لفتات ممتعة ولطائف رائعة، بيانية ولغوية ودعوية ...، ومنها: استنتج من قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١] ما نصه: «وهنا مسألة رمزية ينبغي الالتفات إليها، فحين ترى عورة في المجتمع فاعلم أن منهجاً من مناهج الله قد عُطل»[٧].

- يربط بين الآيات القرآنية والاكتشافات الحديثة دونما تكلف؛ فكتابه (معجزة القرآن) تأملات قرآنية ممزوجة بلمسات علمية؛ حيث يقول: «أما آيات الله في الكون، فنلاحظ أنها لم تفسر تفسيرًا كاملًا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا تكون ملزمة للمسلمين، لماذا؟ لأن لها عطاء يتجدد في كل الأجيال»[٨].

---

(١) ينظر: الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (١/٧٦ و٣/١٥٧٤، و١٠/٥٩٧٥، و١٩/١١٨٥٥).

(٢) المصدر السابق (١/٥٨٩، ٦٠١، و٢/٩٦٨).

(٣) المصدر السابق (١/٢٥٠، ٢/٨٧٤).

(٤) المصدر السابق (٤/٢٠٤٣، ٢١٦٧ و١٥/٩٣٥٤).

(٥) المصدر السابق (١٥/٩٣٥٢، و١٩/١١٩١٤).

(٦) المصدر السابق (٥/٢٨٧٠، ١٠/٦٠٥٠).

(٧) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (١٥/٩٤٣١)، وكذلك (١/١٨٤ و٨/٥١٣٢).

(٨) الشعراوي، محمد، معجزة القرآن، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، (ص٤٠، ٤٢)، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٢/٥٧٢)، والشعراوي، =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يظهر لي أن تفسير الشيخ الشعراوي ما زال يحتاج إلى خدمة غير قليلة ليتبوأ مكانته المثلى اللائقة به بين التفاسير، وخاصة أن التفسير المسموع المرتجل يغاير المكتوب القائم على قواعد البحث العلمي الأكاديمي، وهو بصدق يحوي دررًا لغوية بلاغية وأخرى اجتماعية فكرية، وكأني به جمهرة معلومات اشتملت على أفنان كثيرة.

=

خواطر حول القرآن الكريم (١/٩-١٠-١٣-١٨-١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس

التفسير المنير لوهبة الزحيلي

وتتجلى معالم هذا المطلب من خلال الفروع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول: نبذة عن المؤلف:

وهبة بن مصطفى الزحيلي (١٩٣٢م-٢٠١٥م)، ولد في دمشق وتوفي فيها. درس في سوريا، ثم تابع تحصيله العلمي في الأزهر. حصل على شهاداته الجامعية كلها في القاهرة، تلقى العلم على أيدي مشايخ الشام ومصر. تقلد مناصب كثيرة. درّس في عدد من الجامعات العربية، وهو عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية الأردني، وخبير في مجمع الفقه الإسلامي بجدة، والمجمع الفقهي في مكة المكرمة، ... وغيرها. تجاوزت مؤلفاته الثمانين عنواناً بين دراسة وتحقيق، واتسمت بالنفس الموسوعي، وكتب الله لها القبول والانتشار، ومن أهمها: الفقه الإسلامي وأدلته، والتفسير المنير، ... وغيرها[١].

الفرع الثاني: منهجه في التفسير:

وللشيخ ثلاثة تفاسير[٢]، وربما تتطابق عبارات التفاسير الثلاثة، وقد تختلف بحسب

---

(١) ينظر: فارع، محمد عارف، منهج وهبة الزحيلي في تفسيره للقرآن الكريم التفسير المنير، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الرحيم الزقة، جامعة آل البيت، الأردن، السنة الدراسية ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، (ص١٦) وما بعدها، وهي ترجمة مهمة لأنها كتبت بيد الزحيلي نفسه عندما أرسل إليه الباحث، وقد أثبت نص جواب رسالته في ملحق الرسالة.

(٢) الأول: التفسير المنير، وكتبه للمختصيين. والثاني: التفسير الوجيز، وكتبه للعامة. والثالث: التفسير الوسيط، وكتبه لمتوسطي الثقافة. وتتفق التفاسير الثلاثة في بيان مدلول الآيات بأسلوب ميسّر، مع التزام أصول التفسير بالمأثور والمعقول معا، والاعتماد على أمهات كتب التفسير بمختلف مناهجها. ينظر: عبدالسميع، عماد علي، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، (ص١٢٠-١٢١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحاجة، وبما يقتضيه المقام[١]، وقد اعتمدتُ التفسير المنير والتفسير الوسيط، فهما الأقرب لاستخلاص الهدايات المرجوة.

وأما منهج الشيخ في التفسير فيبتدئ بمقدمة إجمالية، يذكر فيها أسماء السورة وصلتها بما قبلها وما بعدها، وما صح من فضائلها، ومناسبتها، وشيئًا من إعرابها وبلاغتها دون إغراق لمصطلحات تعوق الفهم، ثم يُقسِّم الآيات إلى وحدات موضوعية بعناوين موضحة، يتناول فيها: المفردات اللغوية، ثم التفسير والبيان، ثم فقه الحياة والأحكام بمعناه الواسع في العقيدة والعبادة والأخلاق والآداب والعبر والعظات ونظام الحياة والمعاملات وأصول الحياة الإسلامية وربما التنويه بالإعجاز العلمي للقرآن[٢].

وأما مصادر تفسيره فهي أغلب ما كتب في التفسير قديمًا وحديثًا، كالطبري والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيّان التوحيدي، ثم البيضاوي والنسفي وأبي السعود والجلالين، وغيرها من كتب القدماء، وأما المحدثون فقد استأنس ببعض عباراتهم، كتفسير المنار للشيخ رشيد رضا، ومحاسن التأويل للقاسمي، وتفسير المراغي، وفي ظلال القرآن، وصفوة التفاسير للصابوني وغيرها[٣].

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية:

وكشف الشيخ عن منهجه الهدائي في مقدمة تفسيره[٤]:

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (٧/١).

(٢) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٩/١)، وعبدالسميع، عماد علي، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، (ص١٢٠).

(٣) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٤٨٧/٣٠).

(٤) استقيت منهجه من مقدمة تفسيره، وما نقلته عن غيره أثبته، انظر، الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولًا: يربط الشيخ المسلم وغير المسلم بكتاب الله تعالى، فهو كتاب هداية إلهية، وتشريع ديني، وعقيدة صافية، ومنهج حياة، وخلق سام، وقيم إنسانية عليا، فهو البيان الإلهي الوحيد الثابت ثبوتا قطعيا بلا نظير، وخير مثال على ذلك ما اختتم به سورة الأنبياء[1]، حيث يقول: «يقوم شرع الله ودينه على عقيدة التوحيد الخالص من شوائب الشرك، وعلى العدل والقسط، فالله سبحانه يقضي بالحق، وينصر أهل الحق والإيمان بالله، ويخذل الظلمة والكفار، ويدحر الظلم وأهله، ويعين المظلوم، وينصر الضعيف، وينتصف للفقير من الغني، ويسوي بين الخصمين، ولو كان أحدهما مسلما والآخر كافرا، ويدعو إلى الرحمة والإحسان، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذه هي أصول الحضارة الصحيحة، ونواة (الديمقراطية) السديدة، فلا تعصب فيه، ولا ظلم، ولا جهل، ولا فوضى، وإنما العلم والمعرفة والوعي منهاج الحياة الإسلامية، وطريق الدعوة القرآنية، ومصباح العالم كله»، وهو بذلك يُعلي من القيم والأخلاق والمعاملات التي هي مقصد من مقاصد القرآن، التي تعنى به الهدايات القرآنية على اختلاف أنواعها من هدايات عقدية أو فقهية أو خلقية في إصلاح الواقع وإنشاء المجتمع المسلم الفريد[2].

ثانيا: تركيز الشيخ على الفقه كان متناسقًا مع السياق، لم يشتت ذهن القارئ، ومثاله: تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، يقول الشيخ: «وذكر بعضهم أن الآية تدل على

=

العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، (١/٥-١١)، والتفسير الوسيط (١/٧).

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (١٧/١٤٧).

(٢) انظر على سبيل المثال التركيز على مبادئ الإسلام العليا وربطها بالواقع: الزحيلي، التفسير المنير (٨/١١٧)، والتفسير الوسيط (١/٥١٠)، و(١/٦٣٧)، و(١/٨٣٣)، و(١/٨٥٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عدم جواز أخذ الأجر على التعليم؛ لأنّها تدل على لزوم إظهار العلم وترك كتمانه، ولا يستحق إنسان أجرا على عمل يلزمه أداؤه، ... لكن أفتى المتأخرون بجواز أخذ الأجور على تعليم العلوم الدينية، لتهاون الناس بها، وانصرافهم إلى الاشتغال بمتاع الحياة الدنيا، حتى لا تضيع العلوم، ولانقطاع مخصصات العلماء من بيت مال المسلمين، واضطرار العلماء إلى التزود بما يعينهم على شؤون الحياة. ودلت آية كتمان ما أنزل الله على شدة النكير على الكاتمين ووعيدهم، لما في الكتمان من الضرر الجسيم بالناس، وتعطيل الكتب السماوية، ووظيفة الرسالة النّبوية، ولأن العلم يحرم كتمه، ويجب نشره وتعميمه، فإن أقدم إنسان على حرمان الناس من علمه، استحق اللعنة الأبدية من الله ومن الناس أجمعين، لأنهم حرموا الخير والنور ومعرفة طريق الهدى والرشاد»[1]، وتلحظ بأن أسلوب الشيخ متناسق لا تكلف فيه، يدمج الفقه بالتفسير على صورة هداية قرآنية معبرة.

ثالثا: يتحرى الشيخ الصحيح المتوافق مع أحكام الدين، ويتقبله العلم، ويرتضيه العقل، مع تأييد الآيات بالأحاديث الصحيحة المخرجة إلا ما ندر، والبعد عن الدخيل في التفسير كالإسرائيليات التي أحدثت شرخا غير مقصود في عصمة بعض الأنبياء، ومثاله قصة الخصمين اللذين تسوروا المحراب على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ...﴾ الآيات[ص: الآيات ٢١-٢٤]، قال الشيخ: «روي في الإسرائيليات أن داود عليه السلام وقع بصره على امرأة تستحم، فأعجبته وعشقها، وكانت زوجة أحد قواده واسمه «أوريا الحثي» فأراد أن يتخلص منه ليتزوج بها، فأرسله في إحدى المعارك وحمّله الراية،

---

(١) الزحيلي، التفسير المنير (٥٥/٢)، و(٢٩٢/٨)، و(٥/)، و(١٨/).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمره بالتقدم فانتصر، فأرسله مرارا ليتخلص منه حتى قتل، فتزوجها ...»[1]، ثم نقل تكذيب العلماء لها، ثم علق قائلا: «إن القصة التي يرويها بعض المفسرين بما يتعارض مع مبدأ «عصمة الأنبياء» لا أصل لها، ولا مستند عليها، وإنما هي من الإسرائيليات الدخيلة»، وهذا يدل التزام الشيخ بالاتجاه الهدائي في هذه القضية.

رابعا: القرآن ليس كتاب علوم أو معارف كونية؛ وتكون الاستفادة من النظريات العلمية يقينية الثبوت، فدعوة القرآن تركزت على إعمال العقل وشحذ الفكر وتسخير المواهب في سبيل الخير، وقد احتجَّ الشيخ بالعلوم بأسلوب وعظي يراد منه الدعوة إلى الله تعالى، ففي سورة النحل عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩]، يقول الشيخ: «فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال العجيبة حق التدبر، علم قطعا أنه لا بد من وجود قادر حكيم يلهمها ذلك، ويحملها عليه»[2].

وخلاصة القول ... تفسير الشيخ لصيق بواقع الأمة وحاجاتها بأسلوب عصري مبسّط، وهو يقترب من الأسلوب الهدائي، بل أهم ما يميز تفسيره وقفاته التي عنون لها: (فقه الحياة أو الأحكام)، فهي بحق تكشف عن روعة هذا التشريع بعقائدة وأحكامه ومعاملاته وآدابه، مما يجعله قريبًا من العامة، يركز على الغايات والأهداف المنشودة من تنزيل القرآن المجيد.

---

(١) الزحيلي، التفسير المنير (٢٤/١٨٨-١٩٠).

(٢) الزحيلي، التفسير المنير (١٤/١٦٨)، و(١٤/١٧٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السابع

أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري

وتتجلى معالم هذا المطلب من خلال الفروع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول: نبذة عن المؤلف:

هو جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أبو بكر الجزائري (١٩٢١م)، ولد في الجزائر، تلقى علومه الأولية في بلدته، فبدأ بحفظ القرآن الكريم، ومتون اللغة والفقه المالكي، ارتحل إلى المدينة المنورة، وتعلم في حلقات علمائها ومشايخها، عمل في التعليم والصحافة، وأصبح مدرسًا في المسجد النبوي الشريف مدة خمسين عامًا، ومن مؤلفاته: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وحقوق المرأة في الإسلام، والدستور الإسلامي، ومنهاج المسلم، وهو أشهر كتبه منهاج، وما زال الشيخ حيًّا نفع الله به حتى كتابة هذه الأطروحة[١].

الفرع الثاني: منهجه في التفسير:

أبان الشيخ في مقدمة تفسيره عن مراده، فهو تفسير سهل ميسر، يبين المعنى المراد من كلام الله، يوضح العقيدة السليمة المنجية والأحكام الفقهية الضرورية، مع تربية النفوس على التقوى ببيان الفضائل والتحذير من الرذائل، ومنهجه تقسيم الآيات إلى دروس منظمة طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به، فيشرح كلماتها، ويبين معناها، ويذكر الهداية المقصودة منها[٢].

---

(١) ينظر: موقع ويكيبيديا العربية: (https://ar.wikipedia.org)، وموقع الجزيرة نت، موسوعة الجزيرة: (http://www.aljazeera.net)، بتاريخ ٢٠١٨/٧/١٧.

(٢) ينظر: أبو بكر الجزائري، جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، (٦/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر الشيخ مصادر تفسيره، كالطبري، والجلالين، والمراغي، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، كما اطلع على ما كتبه الشيخان: محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا، فقد ذكر أنه قرأ وطالع (المنار) أكثر من أربع مرات[١].

الفرع الثالث: الاتجاه الهدائي في تفسيره مع أمثلة عملية:

ومن خصائص تفسيره، كما أوردها في مقدمته[٢]:

أولا: اعتماد الوسطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل، مع إغفال الخلافات التفسيرية، والالتزام بالمعنى الراجح حتى لا يتشتت القارئ، فالمسلمون بحاجة إلى فكر إسلامي موحد صائب سليم، وهذا خير معين للبعد عن كل ما يشغل القارئ عن الهدايات الربانية، ومثاله: يقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣]، هدايات هذه الآية كما ذكرها الشيخ[٣]:

١- حرمة الميتة وما ذكر معها، وهي عشر من المحرمات.

٢- حرمة الاستقسام بالأزلام، ومثلها قرعة الأنبياء، وخط الرمل والكهانة وما أشبه ذلك.

٣- حرمة الذبح على القبور والقباب والنصب التذكارية، وهي من الشرك.

---

(١) ينظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٦٣٥/٥).

(٢) المصدر السابق (٦/١).

(٣) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٥٩٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- جواز أكل ما أدركه المسلم حياً من الحيوان المأكول فذكاه، وإن كان قد جرح أو كسر أو أشرف على الموت بأي سبب مميت.

٥- وجوب خشية الله تعالى وحرمة خشية الكفار.

٦- حرمة الابتداع في الدين وحرمة التشريع المنافي للشرع الإسلامي.

٧- جواز أكل الميتة للمضطر، وهو من لحقه ضرر من شدة الجوع، فخاف على نفسه الهلاك على شرط أن لا يكون قاصداً المعصية مائلاً إلى الإثم.

ونلحظ استعراض الشيخ لهدايات الآيات بأسلوب سلس، مختصر، لا يشتت الذهن، متسلسل، بعيدا عن الغموض، أو الإسهاب في الخلافات الفقهية التي لها مظانها في كتب الفقه، وهذه هي عين الهداية التي تخاطب بها الأمة عالمها وجاهلها.

ثانيا: خلوه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها؛ إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة، وكان مما تجوز روايته لحديث.. «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[(١)]، ومثاله: ما تكلم به الشيخ عن قصة داود -عليه السلام- مع الخصمين اللذين تسوروا المحراب، حيث يقول: «... أعرضنا عن هذه الأباطيل منزهين نبي الله عن هذه الأكاذيب الممجوجة التي لا يرتكبها أقل الناس إيماناً وشأناً، كما نسبوا إلى يوسف ما نسبوا، رواية عن اليهود، وهم أكذب خلق الله تعالى بعد أن لعنوا بظلمهم»[(٢)]، ولا يكاد الشيخ يحتج بهم مطلقاً، فكل ما يبعد الهداية عن سياقها

---

(١) جزء من حديث، أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، وهو صحيحه، ويُعرف باسم: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، سنة ١٤٢٢هـ. كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٧٠/٤) الحديث رقم (٣٤٦١)، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٤٤٣/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اللغوي والشرعي، فهي مرفوضة قطعًا.

ثالثا: خلو الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية، وعدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك، ومثاله: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ٤]، يقول الشيخ: «والذين قُتلوا في سبيل، الله: أي قتلهم العدو، وقرئ قاتلوا في سبيل الله»[1]، وألحظ أنّ الشيخ ينقل القراءة دون أن تكون عائقا على الفهم، وغالب ما نقله جعله في حواشي التفسير، وكذلك شواهد الشعر، فمع كثرة الاحتجاج بها، لكنه جعلها في الحواشي، وكذا مسائل اللغة، فإن أراد الشيخ توضيحها بزيادة بيان، جعلها في الحاشية، وهذا كله يدل على منهجية متعمدة من الشيخ حتى لا تكون تلك العلوم حجابًا على القارئ، فيستخلص الهدايات بيسر دون مشقة أو زلل.

لقد جعل المؤلف رحمه الله بعد تفسيره لمجموعة معينة من الآيات عنوانًا، وهو: (هدايات الآيات)، وبقيت طريقته هذه مطردة في القرآن الكريم كله، وهذا هو صميم فحوى هذه الدراسة، فاستوجب الاهتمام بتفسيره، وتقديمه على غيره، والله الموفق.

---

(١) ينظر: الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٥/٧٢)، و(٤/٣٨)، و(٤/٨١)، و(٤/٣٩١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

الضوابط الناظمة للاتجاه الهدائي، وطرائق التعبير عنه

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد.

المبحث الأول : الضوابط العامة والخاصة الناظمة للاتجاه الهدائي.

المبحث الثاني : الضوابط الناظمة لطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية في الاتجاه الهدائي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

إن الاتجاه الهدائي هو الغاية الرئيسة من التفسير، وهو محط عناية لدى المفسرين جميعًا مهما اختلفت اتجاهاتهم وتباينت مناهجهم، إذ تتعاضد اتجاهاتهم كلها للوصول إلى مرادات القرآن الكريم والوقوف على جوانب الهداية الربانية فيه، فكل يطمح لبلوغ تلك الرتبة وفق ما اعتمده من نهج وما أوتي من ملكة ذهنية وعارضة علمية، ولا يخفى على المتأمل أن هذا النهج لا يتأتَّى إلا وفق ضوابط هادية يستنير بها المفسر لكل ما من شأنه أن يبرز تلك الهدايات ويجليها للقارئ.

ولدى استقراء كثير من كتب أصول التفسير والتأمل فيها، لا سيما ما كان متعلقا بقواعد التفسير وضوابطه، ظهر لي من ذلك أن الضوابط المرشدة لهدايات القرآن تتجلى في نوعين: الأول: ما يتصل بوسائل البلوغ إلى الهدايات القرآنية، والثاني: ما يتصل بطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية، وفيما يلي بيانها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الضوابط العامة والخاصة الناظمة للاتجاه الهدائي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف القواعد والضوابط.

المطلب الثاني : الضوابط العامة الناظمة للاتجاه الهدائي.

المطلب الثالث : الضوابط الخاصة الناظمة لمفسر الاتجاه الهدائي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

تعريف القواعد والضوابط

تناول المفسرون وعلماء أصول القرآن قواعد عامة للتعامل مع كتاب الله تفسيرًا وفهمًا وترجيحًا، حتى لا يكون لمتعنت أو غافل سبيل إلى تحريف الكلم عن مواضعه بحجة الاجتهاد أو السياق، وفي هذا المبحث سأتناول بعض الضوابط العامة والخاصة التي تنظم عمل المفسر الهدائي، وطرائق التعبير عن الهدايات فيها؛ ليبقى المفسر الهدائي على ما كان عليه سلف الأمة من هدى وفهم وعلم، كما يتناول القواعد العامة والخاصة الناظمة لعمل المفسر الهدائي، ليبقى باغي التفسير على بينة واضحة ونهج سوي، وسنقف على معنى القاعدة والضابط قبل الولوج لتلك القواعد والضوابط، والله الموفق:

أولا: الضابط لغة واصطلاحا:

الضابط لغة: ضبط الرجل الشَّيء يضبطه ضَبْطا: إِذا أَخذه أخذًا شديدًا. والرجل الضَّابط: الشَّديد الأيد. ويقال: رجل أضبط. ولا نعلم له فعلا يتصرَّف وهو الَّذي يعمل بيديه جميعًا. وكان عمر رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه(١).

الضابط اصطلاحا: أمر كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامه منه(٢).

ثانيا: القاعدة لغة واصطلاحا:

القاعدة لغة: القاعد والقاعدة: أصل الأس. وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ

---

(١) ينظر: ابن دريد، محمد، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، (٣٥٢/١).

(٢) ينظر: الحموي، أحمد، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. (٥/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وفيه: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦].

قال الزجاج: القواعد: أساطين البناء التي تعمده. وقواعد الهودج: خشبات أربع، معترضة في أسفله، تركب عيدان الهودج فيها. قال أبو عبيد: قواعد السحاب أصولها المعترضة في آفاق السماء شبهت بقواعد البناء(١).

ويتضح أن المعنى الأصلي لها الثبات والرسوخ، والله أعلم.

القاعدة اصطلاحًا: القاعدة: قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها(٢).

ويلحظ أنَّ تعريف القاعدة مما اتفق عليه علماء اللغة والشريعة والأصول، وهي دلالة على اتساع مفهومها لتشمل علومًا مختلفة.

ثالثًا الفرق بين الضابط والقاعدة:

والفرق بين الضابط والقاعدة: أن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل، وعلى ذلك فالقاعدة أعمُّ، والضابط أخصُّ، والقاعدة قد تجمع أكثر من ضابط(٣).

مثال توضيحي: القاعدة تضم تحتها مسائلَ فقهية من أبواب شتى، لكن الضابط يضم مسائل فقهية من باب واحد.

---

(١) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٣٦١/٣)، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (١٧٢/١).

(٢) ينظر: الجرجاني، علي، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، (ص١٧١)، والمناوي، محمد، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، (ص٢٦٦)، والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (٢٤/٣٦)، وغيرهم.

(٣) ينظر: ابن نجيم المصري، زين الدين، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (ص١٣٧)، وحماد، مولاي عمر، علم أصول التفسير محاولة في البناء، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، (ص١٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمثال القاعدة: (اليقين لا يزول بالشك) أو (الشك يُدْرَأ باليقين)، حيث تدخل هذه القاعدة في كل مسألة فقهية اجتمع فيها شك ويقين، فتدخل في عدة أبواب فقهية: كالطهارة، والصلاة، والزكاة، وغير ذلك.

ومثال الضابط: (كل ما يُعتبر في سجود الصلاة؛ يُعتبر في سجود التلاوة) قاله بعض أصحاب مالك، فهذا الضابط يضم مسائل تخص ذينك السجودين، وكلاهما خاص بباب الصلاة، لا يتعداها إلى أبواب أخرى، واعلم –رحمك الله– أن التفريقَ السابق هو المُقَرَّر عند الفقهاء، ولكن قد يتسامحون في هذا التفريق، فيطلقون على الضابط قاعدة والعكس[1].

وعليه، فإن الضابط في التفسير ما تعلق بالاتجاه الهدائي بشكل خاص، وأما القاعدة فهي مضطردة في بقية المناهج التفسيرية، وبذلك يتوافق المعنى الفقهي والتفسيري، في مفهوم القاعدة والضابط كما قرره علماؤنا، وعلى كلٍّ فإن القاعدة والضابط في هذه الأطروحة لها نفس المفهوم لعدم توافر دواعي التفريق المنهجي، ولا مشاحة في الاصطلاح، وبه أخذ بعض العلماء قديمًا وحديثا[2]، والله تعالى أعلم.

---

(١) الأسمريّ، صالح، مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م. (ص٢٠)، بتصرف، والسبكي، عبدالوهاب، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١١هـ، ١٩٩١م، (١١/١)، والسبت، خالد، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار ابن عفان، ط١، ١٤٢١هـ، (٣١/١).

(٢) ينظر: ابن النجار الفتوحي، محمد. شرح الكوكب المنير، المسمى بمختصر التحرير، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط٢، سنة ١٤١٥هـ. (٣٠/١)، والحموي، غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر لزين العابدين ابن نجيم المصري (٥/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

الضوابط العامة الناظمة للاتجاه الهدائي

ثمة قدر مشترك بين قواعد وضوابط التفسير على وجه العموم، وضوابط التفسير الهدائي على وجه الخصوص، فبعض الهدايات يكون بالاستنباط، والاستنباط يخضع لقواعد متينة ينطلق منها المفسر للوصول إلى معاني الهدايات والكشف عنها، وبعض هذه القواعد يتعلق بالقراءات، وبعضها يتعلق باللغة ودلالاتها، وبعضها يتعلق بأصول الفقه وقواعده، وبعضها يتعلق بشؤون رواية الحديث ودرايته[1]، وهذه بعض هذه الضوابط المشتركة بين المفسرين جميعًا:

أولًا: التزام طرق الفهم الصحيح للقرآن الكريم.

انتقيتُ عنوانًا عامًا شاملا لتندرج تحته عدة أصول لا ينبغي للمفسر أن تغيب عن ناظريه، ومن هذه الأصول:

الأصل الأول: تستقى الهداية من كتاب الله تعالى والسنة النبوية الصحيحة، أو اجتهاد مبني عليهما مستمد من ضوابط علمية صحيحة[2]، فالقرآن الكريم من لدن حكيم خبير، فلا تُعارض نصوصه المحكمة بعقولنا القاصرة، يقول ابن تيمية: «من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله

---

(١) علم الحديث الخاص بالرواية: علم يشتمل على نقل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وروايتها، وضبطها، وتحرير ألفاظها. وعلم الحديث الخاص بالدراية: علم يعرف منه حقيقة الرواية؛ وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات، وما يتعلق بها. ينظر: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (١/٢٥-٢٦).

(٢) ينظر: الركيتي، مسعود، قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، الهجري (ص١٧٦)، والطيار، مساعد، فصول في أصول التفسير، تقديم: محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ، (ص٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا قياسه ولا وجده»[١].

الأصل الثاني: تؤخذ الهداية من كل قراءة صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢]،والقراءة الصحيحة تثبت بثلاثة أركان: صحة السند، وموافقة أحد المصاحف ولو احتمالاً، وموافقة العربية ولو بوجه[٣].

يقول أبو عمرو الداني: «كل قراءة منهما بمنزلة آية قائمة بنفسها لا يصحّ أن يجتمع مع آية أخرى تخالفها في شيء واحد لتضادهما وتنافيهما»[٤].

الأصل الثالث: تفسير القرآن بالقرآن؛ فما أجمله القرآن في موضع ربما فصله في موضع آخر، فهو يتكامل ولا يتناقض، وقد سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه تفسير القرآن بالقرآن في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رُوي في الصحيحين[٥]، وقد طبقه بعد ذلك

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط بلا، سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م. (٢٨/١٣).

(٢) ينظر: الحربي، حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، راجعه الشيخ: مناع القطان، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، (٨٩/١)، والسبت، قواعد التفسير جمعا ودراسة (٨٤/١)، وطه وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٦٠٩/٢).

(٣) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر (٩/١)، وله، منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص١٨).

(٤) الداني، جامع البيان في القراءات السبع (١٢٣/١).

(٥) فعن عبد الله رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٨٢] إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ﴾ [لقمان: ١٣] لظلم عظيم" أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، (١٨/٩) رقم (٦٩٣٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، (١١٤/١) رقم (١٢٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلماء ومشاهير المفسرين أمثال الطبري[١]، وابن كثير[٢]، وغيرهم.

وتفسير القرآن بالقرآن على نوعين:

الأول: مباشر، وهو أن يفسر القرآن اللفظة في آيات تليها، وهذا من أرفع أساليب التفسير بالمأثور، كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: ٣٧]، جاءت مجملة، ثم فسرت في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣][٣].

الثاني: غير مباشر، وهو تفسير آية بأخرى اجتهادًا من المفسر غير مأثور، فهذا من قبيل الرأي الذي قد يصيب فيه صاحبه أو يخطئ[٤].

الأصل الرابع: تفسير القرآن بالسنة؛ فالسنة شارحة للقرآن وموضحة له[٥]، فالرسول صلى الله عليه وسلم مكلف بالتبليغ عن ربه، ومأمور ببيانه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالرواية الثابتة عن رسول الله

---

(١) ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن عند الطبري؛ (٣٢١/٢) و(٢٣٩/٦) و(٤٩٢/٩).

(٢) ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن عند ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. (٣٨٤/٣) و(٢٢٩/٥) و(٢٥٠/٦).

(٣) ينظر: السيوطي، عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م، (٦٢/٣)، والدهلوي، أحمد، الفوز الكبير في أصول التفسير، عَرَّبَه: سلمان النَّدوي، دار الصحوة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، (ص١٨٠)، والذهبي، التفسير والمفسرون (٣١/١).

(٤) ينظر: الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص١٩) وما بعدها.

(٥) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٦٣/١٣)، والزركشي، محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، (١٧٥/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلى الله عليه وسلم مقدمة قطعًا على الدراية، فيلزم الأخذ بها، ولا مجال للعقل فيما صح سنده، ولكن ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفسير قليل[١]، «لكن حذار أن تعولوا فيه إلا على ما صح، ودعوا ما سُوّدت فيه الأوراق، فإنه سواد في القلوب والوجوه»[٢].

الأصل الخامس: تفسير القرآن بأقوال الصحابة؛ إذا لم نجد التفسير في القرآن والسّنّة، فهم أدري بذلك: لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، وعبد الله بن عباس، وغيرهم[٣].

ولتفسير الصحابة وجهان[٤]:

الأول: إذا كانت رواية الصحابة ثابتة، وهي من الألفاظ التي نقلها الشرع إلى معنى مغاير للمعنى اللغوي بوجه من الوجوه، فهو مقدم على غيره.

الثاني: رواية الصحابة لم ينقلها الشرع إلى معنى مغاير، فهي كواحد من أهل اللغة الموثوق بعربيتهم، فإذا خالف المشهور لم تقم الحجة بتفسيره الذي قاله على مقتضى لغة العرب، وتفاسير التابعين وتابعيهم وسائر الأئمة أولى بذلك، وفي هذه الحالة –وهي اقتصار الصحابي

---

(١) ينظر: الشوكاني، محمد، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، (١٤/١).

(٢) ينظر: ابن العربي، محمد، قَانون التَّأويْل، تحقيق: محمّد السّليماني، دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، ومؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، (ص٦٥٩).

(٣) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٦٨/١٣)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/١)، والشاطبي، إبراهيم، الموافقات، تحقيق: مشهور سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط١، سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، (١٢٨/٤).

(٤) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (١٤/١)، والشاطبي، الموافقات (١٢٧/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على وجه لغوي واحد- لا يستلزم إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ما دامت لا تناقض المعنى الشرعي؛ كعلم البيان مثلاً، فالتفسير به هو تفسير باللغة، لا تفسير بالرأي المنهي عنه شرعًا[١].

الأصل السادس: الرجوع إلى أقوال التابعين، فيما لم نجده في أقوال الصحابة؛ كمجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، والربيع بن أنس، وقتادة والضحاك بن مزاحم، وغيرهم[٢].

وإن اختلف التابعون لم يكن قولهم على بعضهم حجة، والحق ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله: (فإذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك)[٣].

الأصل السابع: الالتزام بأصول الدين وثوابته، فكما أنَّ في الإسلام آداب وفروع مختلف فيها، ففيه أصول وثوابت لا يجوز الخروج عليها؛ لأنها مصدر إجماع الأمة، ولا مجال للاجتهاد فيها أو تطويرها[٤]، يقول الإمام الشافعي: «كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه

---

(١) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (١٢/١)، والرومي، بحوث في أصول التفسير (ص١٤٥)، وطه وآخرون، الهدايات القرآنية (٦٥٤/٢).

(٢) ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص٣٤١)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٧٠/١٣)، والتكريتي، غانم، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، (ص٢٣٢).

(٣) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٧٠/١٣).

(٤) ينظر: الصاوي، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر (ص٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منصوصاً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه»[١].

ويتبين أنّ على المفسر أن يراعي آليات النظر الصحيح في تفسير كتاب الله، ابتداء بالتفسير المأثور، وانتهاء بالرأي المحمود، ولا يُعدل عن هذه الأصول.

ثانيًا: الالتزام بعلوم التفسير المساندة.

وأقصد بها تلك العلوم التي لا ينبغي أن يجهلها كل من دخل محراب التفسير، بل لا يسمى المفسر مفسراً، وهو يجهل تلك العلوم وقواعدها ومدلوتها، وهذه بعض القواعد التي تنطلق من العلوم التي ينبغي أن يفهمها المفسر:

القاعدة الأولى: الجمع بين الرواية والدراية، فمصادر الرواية الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وهي شرط رئيس في المفسر[٢]، وأما الدراية فهو ما اعتمد على لغة العرب وسننهم في الفهم بما لا يتعارض مع أصول الشريعة ومقاصدها، وعليه «ولا بد في التفسير من رواية ودراية، وإذا خلا التفسير من الدراية، فقد خلا من قيمته البيانية والتوضيحية، وإذا كانت الرواية كافية في مجال التفسير بالمأثور، فإن التفسير بالرأي لا بد فيه من دراية واسعة، ولا يحسن هذا النوع من التفسير إلا من أوتي سعة من علم ومعرفة»[٣].

القاعدة الثانية: النظر في أحوال النزول والمناسبات، فلهذا العلم فوائد جمة؛ «فمعرفة

---

(١) ينظر: الرسالة (ص٥٦٠).

(٢) ينظر: عبدالرحيم، التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط (ص٤٩)، والطيار، فصول في أصول التفسير (ص٢٢).

(٣) ينظر: النبهان، محمد، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. (ص٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»[١]، ومنها معرفة وجه الحكمة الباعثة على التشريع وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة، وتخصيص الحكم أو تعميمه به، والوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، ومنها بيان مجمل أو إيضاح خفي وموجز، ومنها ما يكون وحده تفسيرًا، ومنها ما يدل المفسر على طلب الأدلة التي بها تأويل الآية أو نحو ذلك، ولولا هذا العلم لزلت الأقدام وضلت الأفهام كالخوارج والشيعة وغيرها[٢]، قال الواحدي عن أهمية هذا العلم: «وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[٣].

القاعدة الثالثة: الالتزام بضوابط اللغة العربية في فهم النص القرآني، وقد دعا الصحابة والتابعون لتعلم اللغة وفنونها، قال مجاهد: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»[٤]، لذلك لم تحظ لغة كما حظيت به العربيّة جمعًا لمسائلها وتأليفًا لعلومها وتقعيدًا لأصولها، وتمجيداً لذكرها، وكيف لا، وقد اكتسبت خلودها من خلود كلام ربها جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فتضافرت جهود العلماء كشفًا عن وجه جمالها، وإعجاز لفظها، فلا عجب إذن أن تغدو العربية بعلومها شرطًا

---

(١) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٣٩/١٣).

(٢) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢٢/١)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١٠٧/١)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٧/١)، والقطان، مباحث في علوم القرآن (ص٧٩).

(٣) ينظر: الواحدي، علي، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، (ص٨).

(٤) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢٩٢/١)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢١٣/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رئيسًا من أدوات المفسر المجتهد[١].

القاعدة الرابعة: معرفة الناسخ والمنسوخ، فلا ينبغي لمفسر أن يُقدِم على تفسير كتاب الله دون إحاطة بالنسخ وشروطه ومواضعه في كتاب الله تعالى، ومن قواعد التفسير المتعلقة بالنسخ: «لا يصح دعوى النسخ في آية من كتاب الله إلا إذا صح التصريح بنسخها أو انتفى حكمها من كل وجه»[٢]، وهذه تقود المفسر إلى دقة المعنى وصواب الرأي، فيعرف النسخ كما يذكر علماء الأصول باللفظ الصريح، أو بتصريح الراوي بزمن النص، أو أن بنقله الناسخ والمنسوخ معًا، وغيرها من طرق ذكرها العلماء[٣]؛ ومثاله في كتاب الله مما ورد فيه الناسخ والمنسوخ في نفس الآية قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ذهب جمهور المفسِّرين أنَّه كان في أوّل شرعنا، إذا أفطر الصَّائم،

---

(١) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢١٣/٤)، وتفسير الآلوسي (٦/١).

(٢) ينظر: الركيتي، مسعود، قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي (ص٣٩٩)، والحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٧١/١).

(٣) انظرها: ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٦٢٠هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (٢٧٢/١)، والكَلْوَذَاني، محفوظ بن أحمد أَبُو الخطاب الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، التمهيد في أصول الفقه، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (ج١و٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (ج٣و٤)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى (٣٧)، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م. (٣٤٠/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حلَّ له الأكل والشُّرب والجماع، ما لم ينم أو يُصَلِّ العشاء الآخرة، فإذا فعل أحدهما، حرم عليه هذه الأشياء، ثم إنَّ الله تعالى، نسخ ذلك بهذه الآية الكريمة[١].

وألحظ أنَّ عملية البحث عن الهدايات محكومة بنظام أصولي وقواعد تفسيرية، ينتظم بها تفسير كتاب الله، فلا يشذ عما قرَّره علماء هذا الفن فيحذو حذوهم، ويستقي من علومهم، فإنَّ فهم الآيات يتعين على ما توفر للمفسر من تلك العلوم التي لا يُستغنى عنها لفهم دقيق وملكة تؤهله لتفسير محكم على مراد الله سبحانه وتعالى.

ثالثًا: التجرد عن هوى النفس.

على المفسّر قبل الإقدام على التفسير أن يحقق مفهوم العبودية لله وحده، ويتوجّه إلى اللَّه تعالى، ويستعين به، ويخلص له، لينير دربه، ويهديه طريق العلماء الراسخين من تجرد للحق، وبعد عن الهوى، وهذه خطوات عملية تحدد معالم التخلص من الهوى، وجب على المفسر انتهاجها، ليسلم من حظوظ النفس وأهوائها، وهي كما يلي:

الخطوة الأولى: الاعتقاد الصحيح، فصحة العقيدة تقيه من تحريف الكلم عن مواضعه، وتقيه من الزلل في فهم النصوص واستقرائها، «فصحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطِي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما»[٢]، فالأهواء تدفع صاحبها إلى مجانبة الصواب بتسخير العلوم نصرة لمذهبه، كدأب القدرية

---

(١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٢٦٧/٥)، والنعماني، عمر، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، (٣٠٥/٣).

(٢) ابن القيم، محمد. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ. (١٦٤/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرافضة والمعتزلة قديمًا، وما شطت به القاديانية حديثًا عنا ببعيد، لذلك فسر سفيان بن عيينة قوله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، بقوله: «أنزع عنهم فهم القرآن، فأصرفهم عن آياتي»[١]، أي: فلما تحكمت بهم أهواؤهم في فهم كتاب الله عاجلهم الله بنزع الفهم عنهم، «فاتّباع الأهواء في الديانات أعظم من اتّباع الأهواء في الشّهوات»[٢].

الخطوة الثانية: تقوى الله تعالى، هي عدة المفسر وعتاده، فلا «يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه»[٣]، فالتقوى مصدر إلهام لا يستغني عنه مؤمن، وضعفها ينخر القلب، فيحيد به عن الحق، ويتنازعه الهوى: «وأعظم غلطًا من هؤلاء وهؤلاء من لا يكون قصده معرفة مراد الله؛ بل قصده تأويل الآية بما يدفع خصمه عن الاحتجاج بها، وهؤلاء يقعون في أنواع من التحريف، ولهذا جوّز من جوّز منهم أن تتأول الآية بخلاف تأويل السلف»[٤].

الخطوة الثالثة: هجر البدع والمحدثات، وقد حذر الزركشي من شوائب البدع ومزالق الهوى والزيغ مبيناً ما ينبغي للمفسر أن يتحلى به: «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب أو في قلبه كبر أو هوى أو حب الدنيا أو يكون غير متحقق الإيمان أو ضعيف التحقيق أو معتمدًا على قول مفسر ليس عنده إلا علم بظاهر أو يكون راجعا إلى معقوله، وهذه كلها حجب

---

(١) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (١٥٦٧/٥)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٧٥/٣).

(٢) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٣٢/٢٨).

(٣) ينظر: الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت. (١٨٤/١).

(٤) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩٤/١٥-٩٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وموانع، وبعضها آكد من بعض، إذا كان العبد مصغيا إلى كلام ربه، ملقي السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه، ناظرا إلى قدرته، تاركا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئا من حوله وقوته، معظما للمتكلم، مفتقرا إلى التفهم بحال مستقيم وقلب سليم وقوة علم، .... وهذا هو الراسخ في العلم جعلنا الله من هذا الصنف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»[1].

الخطوة الرابعة: البعد عن التقليد الأعمى، فإنه يحجب فهم معاني القرآن كما يقول الإمام الغزالي: «أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد، وجمد عليه، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفاً على مسموعه»[2].

والحاصل، أنَّ التجرد من الهوى–شبهات وشهوات– والتزام التقوى لا يكون إلا بالإخلاص لله والاستعانة به مع العلم النّافع الموصل لخشيته سبحانه وتعالى، فإن من عمل بما علم زالت عنه الغيوب المانعة من إدراك حقائق التّنزيل بفضل من الله تعالى وتوفيق منه.

رابعًا: ضوابط التفسير بالرأي.

أحببتُ إفراد هذه القاعدة وحدها، لما لها من أهمية كبرى في ضبط التفسير بالرأي، فالرواية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمة قطعًا على الدراية كما مر سابقًا، يقول الإمام الشافعي –رحمه الله–: «كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه»[3]، فالقرآن كلام الله تعالى، لا تجد فيها تناقضًا أو قصورًا، فلا نعارض نصوصه المحكمة بما تزينه عقولنا، ولكن للتفسير بالرأي ضوابط مهمة،

---

(١) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢/١٨٠-١٨١).

(٢) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (١/١٨٤).

(٣) الرسالة (ص٥٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ندرجها فيما يلي:

الضابط الأول: الالتزام بالتفسير المأثور إن وجد، فلا يحل لأحد أن يعدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، وإلا كان مخطئًا بل مبتدعًا، وإن كان مجتهدًا مغفورًا له خطؤه، فالقرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وهم أعلم بتفسيره ومعانيه، فمن فسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول(١).

وقد وقعت المدرسة الإصلاحية العقلية لعدم التزامها بالتفسير المأثور في بعض آرائها في دائرة الرأي المذموم الذي لا يتفق وقواعد الشرع، لمخالفة أتباعها طرق الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى، فالإسلام جعل للعقل مجالًا محدودًا، يتجول في أرجاء الكون تأملًا وتوظيفًا، فهذه هي مهمته الرئيسة التي ندبه القرآن لها، وقد أفرط بعض المفسرين في تقديم العقل على النقل، فمدرسة محمد عبده وتلاميذه أنكرت الملائكة والجن والسحر وأوَّلت المعجزات والخوارق بما يبطلها(٢).

الضابط الثاني: موافقة الخواطر والاستنتاجات للغة العرب، شرط موافقتها إجماع الأمة(٣)، فكما للإسلام آداب وفروع مختلف فيها، ففيها أيضًا أصول وثوابت مصدر إجماع الأمة، ولا مجال للاجتهاد فيها أو تطويرها(٤)، ويدخل في ذلك الخواطر والاستنتاجات البعيدة المجانبة للصواب(٥)، أو كل نزعة أو نحلة يُتأوَّل القرآن من أجلها، فيصرفه ذلك عن المعنى المراد،

---

(١) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٦٢/١٣).

(٢) ينظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٧٣٧/٢).

(٣) ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان (٨٣/٢)، وعبدالرحيم، التجديد في التفسير (ص٥٢).

(٤) ينظر: الصاوي، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر (ص٣٣).

(٥) ومثاله تفسير القشيري لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ

=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمنعه من فهم القرآن بما قيد به عقله من تعصب وفق رأيه وهواه[١]، فالخواطر والاجتهادات التفسيرية على مقتضى لسان العرب، ولا يكون الاجتهاد فيها بعيدًا غير مراد[٢]، يقول البيهقي: «الرأي الذي يغلب على القلب من غير دليل قام عليه، فمثل هذا الذي لا يجوز الحكم به في النوازل، فكذلك لا يجوز تفسير القرآن به، وأما الرأي الذي يشده برهان، فالحكم به في النوازل جائز، وكذلك تفسير القرآن به جائز»[٣].

الضابط الثالث: الالتزام بمطلق اللغة؛ فالقرآن عربي، فكل تفسير لا يوافق دلالة اللغة والسياق التي وضعت فيه فهو مردود[٤]، يقول الشاطبي: «كان للعرب في لسانهم عرف مستمر،

=

مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [غافر: ٢١]: «... أولم يسيروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق ...» وما احتج به بعيد عن مفهوم الآية. ينظر: القشيري، لطائف الإشارات (٣٠٤/٣)، وانظر فيه أيضًا (٢٨٣/١ و٤٠٩/٢).

(١) ولبعض الفرق شطحات لا يوافقها عقل أو منطق، لم ترد على لسان العرب، ابتداء من التشيع ومرورًا بالفرق الباطنية وانتهاء بتفسيرات بعض المتصوفة، انظر أمثلة على ذلك؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢١٢/٤). والطيار، مساعد، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٢هـ. (ص٤٢-٥٠). والحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٧٦/٢) وما بعدها، والذهبي، التفسير والمفسرون (٤١٧/٢).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣١/١)، وعبدالرحيم، التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط (ص٥٠)، والصالح، صبحي، مباحث علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م، (ص٢٩٢) و(ص٣٤١)، وعتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، (ص٨٧)، والرومي، بحوث في أصول التفسير(ص٧٩).

(٣) شعب الإيمان (٥٤٠/٣) رقم الحديث (٢٠٨١).

(٤) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢٠٩/٤)، والحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٤٩/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة»[١]، وقد أدرجت مسائل اللغة في ضوابط التفسير بالرأي؛ لأنَّ معظم أهل الأهواء والبدع يتكؤون عليها في تبرير شطحاتهم، يقول الإمام الغزالي رحمه الله: «وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل، فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به، فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح»[٢].

وهذه بعض التفاصيل المتعلقة باللغة:

– إذا اختلفت الحقيقة الشرعية مع الحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الحقيقة الشرعية؛ لأنها مقصود الشارع من الأحكام[٣]، يقول الماوردي: «أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في اللغة، والآخر مستعملاً في الشرع، فيكون حملُه على المعنى الشرعيِّ أولى من حملِهِ على المعنى اللُّغَويِّ، لأن الشرع ناقل»[٤]، «إلا أن يكون هناك دليل يترجَّح به المعنى اللغوي فيؤخذ به»[٥]، فيصبح هذا المعنى اللغوي –والحالة تلك– معنى شرعيًّا؛ لأنه انتقل إلى الحقيقية الشرعية، فهو يماثل غيره من الحقائق الشرعية، وللأسف تُعدّ الطريقة اللغوية عند المعتزلة هي المبدأ الأعلى لتفسير القرآن مهما صادمت الحقيقة الشرعية[٦]، وتابعهم القرآنيون

---

(١) ينظر: الشاطبي، الموافقات (١٣١/٢).

(٢) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين (٢٩١/١).

(٣) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٤٠١/٢). والرومي، بحوث في أصول التفسير (ص١٤٥)، وطه وآخرون، الهدايات القرآنية (٦٥٤/٢).

(٤) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (تفسير الماوردي) (٣٩/١).

(٥) ابن عثيمين، أصول في التفسير (ص٢٧).

(٦) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (٢٦٧/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في العصر الحديث[١].

– إذا كان أحد المعنيين مستعملاً في اللغة، والآخر مستعملاً في العرف، فيكون حمله على المعنى العرفي أولى من حمله على معنى اللغة؛ لأنه أقرب معهود، وإذا كان أحد المعنيين مستعملاً في الشرع، والآخر مستعملاً في العرف، فحمله على معنى الشرع أولى من حمله على معنى العرف؛ لأن الشرع ألزم[٢].

– إذا اقتصر الصحابي أو السلف على وجه واحد مما يقتضيه النظم القرآني باعتبار المعنى اللغوي، فلا يستلزم ذلك إهمال سائر المعاني التي تفيدها اللغة العربية ما دامت لا تناقض المعنى الشرعي كعلم البيان مثلاً، فالتفسير بها هو تفسير باللغة، لا تفسير بالرأي المنهي عنه شرعًا[٣].

وخلاصة القول، يكون التفسير بالرأي محمودًا إذا أبرز القيم الجمالية واللغوية والبيانية للقرآن الكريم، شرط ألا يخرج عن قانون اللغة، ولا يتخطى حدود الشريعة، وأن لا يخالف ما هو مشهور من تفسير الآيات، لا سيما المأثور منه، بل يحتفظ بصبغته العقلية والدينية المرتكزة على العلم والاعتدال.

خامسًا: الضوابط المتعلقة بقواعد الترجيح.

تتداخل المسائل العلمية أحيانًا فيما بينها، فلا يتميز الراجح منها، لذا استقرأ علماء التفسير قواعد ترجيحية بناء على مقاصد الشريعة، تنضبط بها المسائل، ليتوصل بها إلى معرفة الراجح

---

(١) ينظر: بخش، خادم حسين إلهي، دراسات في الفرق، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م. (ص٢٧٥) وما بعدها.

(٢) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (٣٩/١).

(٣) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (١٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من المسائل المختلف فيها، وربما تعارضت قاعدتان فيما بينهما، فنستقي الدليل في غيرهما، ونُعمِل هذه القواعد في حالة «ترجيح أحد الأقوال على غيره، أو ردها»[١]، وهذه القواعد بعضها يتعلق بالسياق القرآني، وبعضها بالأحاديث والآثار، وبعضها بلغة العرب، وسنتناول فيما يأتي على كل مسألة منها مثالا، ليتضح به المقال:

المسألة الأولى: قواعد ترجيحية تتعلق بالسياق القرآني؛ ومن هذه القواعد: «كل تفسير ليس مأخــوذا من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله»[٢]، يجب على المفسر تفعيل السياق القرآني، يقول الشاطبي: «... فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرَّق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض ...»[٣].

وضرب الزركشي مثالا على أهمية دلالة السياق في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فسياق الآية يدل على أنه الذليل الحقير، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته[٤].

ومن أمثلة هذه القاعدة قول الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ

---

(١) الطيار، فصول في أصول التفسير (١٢/١) بتصرف.

(٢) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٤٩/١)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٧/٢)، والسيوطي، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ٢٢٩).

(٣) ينظر: الشاطبي، الموافقات (٢٦٦/٤).

(٤) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٢٠١/٢)، وانظر تفعيل السياق عند الشيخ محمد عبده في تفسير المنار (٢٥٤/١)، و(٢٦٧/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠]، واختلف المفسرون في شرح قوله تعالى: (فارغا)، على عدة أقوال، نقف منها على قولين:

الأول: فارغا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو عبيدة، والضحاك، والحسن البصري، وقتادة، وغيرهم[١].

الثاني: فارغا من الحزن، لعلمها بصدق وعد الله تعالى، قاله أبو عبيدة[٢].

ورجح كثير من المفسرين القول الأول لدلالة السياق[٣]، يقول ابن قتيبة: «وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها؟ وهل يُرْبَطُ إِلاّ على قلب الجازع المحزون؟»[٤].

ومن الأمثلة على الترجيح من خلال السياق قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٣-٨٥]، والمعنى وجب عليهم العذاب على ألسنة رسلنا إن استمروا على تكذيبهم بآياتنا، فهم لا يستطيعون النطق بما يدفع حجتنا عليهم، يوم القيامة حين يحشر الخلائق كلهم، فالآيات اختصت ببيان حشر المكذبين بآيات الله ومساءلتهم ومصيرهم؛ لأن السياق واللحاق يقتضي ذلك الاختصاص[٥].

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٢٣/٦).

(٢) ينظر: البغوي، معالم التزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) (١٩٤/٦).

(٣) كالطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٥٢٩/١٩)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (٨٠/٢٠).

(٤) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٠١/٢)، وبه علل القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، (٢٥٥/١٣).

(٥) ينظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدَّعي الشيعة أن لفظ (منْ) في قوله تعالى: ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ للتبعيض، وليس للبيان، والمعنى أن بعض المكذبين سيُحشرون في الدنيا، وليس يوم القيامة؛ فالحشر عندهم جزئي، يكون في الدنيا لبعض أعداءِ الله، لينتقم منهم على أيدى أوليائه وشيعته عند ظهور المهدي آخر الزمان، فيعاقب المخالفين لأئمة أهل البيت بالإذلال والتوبيخ والقتل، فهذه الآية من أشهر ما استدل به الشيعة على رجعة أئمتهم.

ولا شك بأنّ رجعة أئمتهم أمر خيالي، والاستدلال عليه بهذه الآية رأى فاسد؛ فهذا حشر للكافرين جميعًا يوم القيامة، وحرف (من) لبيان الفوج الذين يوبخهم الله ويعاقبهم بعد الحشر، وقد رد العلماء عليهم بفحوى هذه القاعدة، فالآيات الثلاث مسوقة لبيان حال المكذبين للرسل كما يقتضيه سياق الآيات[1]، فكل تفسير لم يؤخذ من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله.

المسألة الثانية: قواعد ترجيحية تتعلق بالحديث؛ فكل قول سانده حديث صحيح فهو أولى من غيره، ونص القاعدة: «إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه»[2]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، فالانشقاق الواقع في أيام النبوة معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف، قال الواحدي: وجماعة المفسرين على هذا إلا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: المعنى

=

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، (١٧١٩/٧).

(١) نقلته بتصرف من المصدر السابق (١٧١٩/٧).

(٢) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٠٦/١)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٦٠/٨)، و(٥٥٦/١٣)، و(٤٠٠/٢٠)، وابن عطية، عبدالحق. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـ. (٣٣٩/١)، و(٣٦٥/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سينشق القمر، والعلماء كلهم على خلافه[١].

واحتج ابن كثير على انشقاق القمر بالحديث النبوي الصحيح[٢]، وهو بذلك يرجح بين أقوال متعددة اعتمادًا على القاعدة، بقوله: «قد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة»[٣]، ورد الزجاج بقوله: «وزعم قوم عَنَدُوا عن القَصْد، وما عليه أهل العلم: أنَّ تاوِيله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين في اللفظ وإجماع أهل العلم؛ لأن قوله: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، فكيف يكون هذا في القيامة»[٤]، ثم ساق الأحاديث برهانا على ذلك، لذا يشدد الشوكاني النكير على من خالف بقوله: «والحاصل أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله، فقد أخبرنا بأنه انشق، ولم يخبرنا بأنه سينشق، وإن نظرنا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوة، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم فقد اتفقوا على هذا، ولا يلتفت إلى شذوذ من شذ، واستبعاد من استبعد»[٥].

المسألة الثالثة: قواعد ترجيحية تتعلق بالإجماع؛ ومن هذه القواعد: «تفسير جمهور

---

(١) ينظر: الواحدي، علي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وأحمد صيرة، وأحمد الجمل، وعبد الرحمن عويس، قدمه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، (٢٠٧/٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر (٤٩/٥) رقم (٣٨٦٩)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان (٢١٥٨/٤) رقم (٢٨٠٠).

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٧٢/٧).

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٧٢/٧).

(٥) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (٤٧٢/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلف مقدم على كل تفسير شاذ»[1]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧].

وقرأه بعض متأخري القراء: (قِطْعًا) بسكون الطاء[2]، ثم يعلق الطبري مقدمًا جمهور السلف على من خالفهم، بقوله: «والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي، قراءةُ من قرأ ذلك بفتح الطاء، لإجماع الحجة من قراء الأمصار على تصويبها، وشذوذ ما عداها، وحسبُ الأخرى دلالةً على فسادها، خروج قارئها عما عليه قراء أهل أمصار الإسلام»[3].

ومن شذوذ بعض آراء المفسرين بخروجهم عن منهج السلف قول الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]: «وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة، سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير، مما يرسله الله مع الريح، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح، فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم، وتساقط لحمه، ...»[4]،

---

(١) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٨٨/١)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٢٧٦/٥)، وابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٧٠/١٣).

(٢) ينظر: ابن زنجلة، عبدالرحمن (ت٤٠٣هـ). حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني. دار الرسالة، دون طبعة، دون تاريخ. (ص٣٣٠).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٧٦/١٥).

(٤) ينظر: عبده، تفسير القرآن الكريم، جزء عم (ص١٥٨) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى آخر ما قال، وهو بلا شك من التكلف الذي خالف جمهور العلماء، وهو مردود.

المسألة الرابعة: قواعد ترجيحية تتعلق باللغة العربية؛ ومن هذه القواعد: «حمل نصوص الوحي على مدلولاتها اللغوية واجب، إلا لدليل يدل على تخصيصها أو صرفها عن ظاهرها المتبادر»[1]، ومثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩]، استدل به على أنّ الله عز وجل أشار إلى اتّصال بين أهل السّماء والأرض، واحتج بقول الله كما زعموا أنَّ الله حفظها من كل شيطان فقط، لا من بني آدم، لقوله سبحانه: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ [الحجر: ١٧]، وقد أسهب الشيخ الشنقيطي في إبطال هذه الفرية محتجًّا بربط آيات القرآن بعضها ببعض، وبأقوال العلماء، وبين أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾، يوم القيامة في المحشر، كما أطبق عليه المفسّرون، واحتج أيضًا بأن الحفظ من شياطين الجن والدلالة اللغوية تشمل شياطين الإنس، واستدلَّ بالقاعدة اللغوية: حمل النصوص على مدلولاتها اللغوية واجب، إلا لدليل، ثم قال رحمه الله: «واعلم وفقني الله وإياك أن التلاعب بكتاب الله جل وعلا وتفسيره بغير معناه لمحاولة توفيقه مع آراء كفرة الإفرنج، ليس فيه شيء ألبتة من مصلحة الدنيا ولا الآخرة، وإنما فيه فساد الدارين»[2].

---

(١) ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، عام النشر: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (٢٦٦/٢)، والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٢/١)، والقاسمي، محاسن التأويل (٤٨/١)، والشاطبي، الموافقات (٣٩/١).

(٢) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان (٢٦٥/٢)، وتفصيل المسألة من (٢٦٠/٢-٢٦٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومثله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود: ٤٠]، فقد اختلف أهل التفسير في كلمة: (فار التنور) على أقوال: التنور: وجه الأرض، أو فلق الصبح، التنور الذي يخبز فيه، ثم رجح الطبري أنه التنور الذي يخبز فيه بقوله: «لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجَّة على شيء منه بخلاف ذلك، فيسلم لها؛ وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى مَا خاطبهم به»[1].

المسألة الخامسة: ما تنازعت فيه قاعدتان آية واحدة، ففي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠]، ينقل الطبري خلاف المفسرين في كلمتين في هذا الآية:

الأولى: (مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) اختلف أهل التأويل في التسبيح الذي أمر به من الليل، قال ابن زيد، في قوله (وَمِنَ اللَّيْلِ) قال: العَتَمة وقال مجاهد (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) قال: من الليل كله.

يعلق الطبري بقوله: «والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب، وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) فلم يَحُدَّ وقتا من الليل دون وقت. وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل»[2]، وترجيحه لقول مجاهد إعمالا لقاعدة: «يجب حمل نصوص الوحي على العموم».

الثانية: (وأدبار السجود) نقل الطبري جمهرة من أقوال المفسرين بأنها: ركعتان بعد المغرب، قال ابن زيد: النوافل.

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣١٩/١٥).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٧٧/٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهاهنا تتنازع قاعدتان، الأولى: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم)[١]، فيكون قول ابن زيد أولى بالترجيح، والثانية: (تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ)[٢]، وجمهور المفسرين على أنها ركعتان بعد المغرب، فرجح الطبري القاعدة الثانية، حيث يقول رحمه الله: «وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: هما الركعتان بعد المغرب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ولولا ما ذكرت من إجماعها عليه، لرأيت أن القول في ذلك ما قاله ابن زيد، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بذلك صلاة دون صلاة، بل عمّ أدبار الصلوات كلها، فقال: وأدبار السجود، ولم تقم بأنه معنيّ به: دبر صلاة دون صلاة، حجة يجب التسليم لها من خبر ولا عقل»[٣]، وهكذا نلحظ أهمية هذه القواعد في ترجيح الأقوال بين المفسرين، ولا يملكه إلا جهابذة المفسرين.

مما تقدم يتبين أن هناك ضوابط كثيرة مشتركة بين اتجاهات التفسير المختلفة على المفسر الهدائي أن يلتزم بها في تفسير كتاب الله، فلا يشذ عما قرَّره علماء هذا الفن فيحذو حذوهم، ويستقي من علومهم، فإنَّ فهم الآيات يتعين على ما يتوفر للمفسر من تلك العلوم التي لا يُستغنى عنها لفهم دقيق، وملكة تؤهله لتفسير محكم على مراد الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٥١/١٠)، والشاطبي، الموافقات (٤١٢/٢)، والشوكاني، فتح القدير (٣١٢/٢)، وانظر مثالا على تطبيق هذه القاعدة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٣٧٧/٢٢).

(٢) ينظر: الطيار، فصول في أصول التفسير (ص٦٤).

(٣) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٨١/٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

الضوابط الخاصة الناظمة لمفسر الاتجاه الهدائي

سأقف في هذا المطلب على ضوابط خاصة ينبغي أن يُعْنى بها أصحاب الاتجاه الهدائي[1]؛ لأنها من خصائص اتجاههم، وإلا اختلط بغيره من المناهج التفسيرية، وقد حاولت أن أجلي هذه الضوابط وأحددها، لتتماشى مع معالم هذا الاتجاه، ونجملها بعد التأمل فيما يلي:

أولا: استحضار حِكم ومقاصد التشريع وأسراره.

لما كان غرض المفسر الهدائي استخلاص الهدايات الربانية من كتاب الله تعالى كانت مقاصد التشريع الإسلامي هي سبيله الأمثل لتحقيق غايته تلك، وتحقيق هذه المقاصد لها غايات حميدة، تعود بالنفع على دنيا الناس ومعاشهم، قال ابن القيم: «الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه»[2].

فالمفسر الهدائي لا يُعنى بالأمور الغيبية والمسائل التي لا يتعلق بها عمل، بل من العبث البحث عنها، فهي ليست من مقاصد القرآن العليا؛ لأنَّ حقيقتها لا تعرف إلا توقيف من كتاب وسنة، كماهية الروح وبدء الخلق، وتفاصيل الأمم البائدة، والملاحم والبعث ... وغيرها، وسكوت القرآن عنها دليل قاطع على إهمالها؛ فلا ينبغي الاجتهاد فيما لا دليل عليه، أو الاعتماد

---

(١) وبعض هذه الضوابط قد يتفق ويشترك مع أتجاهات أخرى في التفسير غير الاتجاه الهدائي.

(٢) ينظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (١١/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على نقلة أهل الكتاب[١].

ومن مقاصد القرآن العامة «الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها»[٢]. بمعنى آخر القصد من إنزال القرآن هو: «تعليم الحلال والحرام وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان»[٣]، وهذه المقاصد عُني بها المفسرون قديمًا وحديثًا، إن لم يكن لفظًا صريحا، فهو تطبيق عملي واقعي، فنجد الغزالي والرازي والطيبي والخفاجي المصري ومحمد رشيد رضا وابن عاشور وغيرهم يضعون تلك المقاصد أمام أعينهم، لتأتي هداياتهم وتقريراتهم واستنتاجاتهم وفق تلك المقاصد، وفيما يلي نجمل بعضًا من تلك المقاصد[٤]:

١- تصحيح العقيدة والتصورات للألوهية وتطهيرها من أوهام الشرك.

٢- معجزة القرآن الكريم دالة على صدقه صلى الله عليه وسلم بما يحويه من إعجاز.

٣- تزكية النفوس البشرية بمبادئ الإسلام وأحكامه وآدابه.

---

(١) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١).

(٢) ينظر: عزالدين ابن عبدالسلام، عبدالعزيز، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤هـ، ١٩٩١م، (٨/١).

(٣) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٣١٢/١).

(٤) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، جواهر القرآن، المحقق: محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، (ص٢٣)، والرازي، مفاتيح الغيب (١٥٦/١)، والخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، دار صادر، بيروت، (٤٠٥/٨)، ورضا، تفسير المنار (١٧١/١١) وما بعدها، والآلوسي، روح المعاني (٤٨٥/١٥)، والزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١٢٤/٢)، والقرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ (ص٧١) وما بعدها، شحاته، علوم القرآن (ص٢٥٥)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٠/١)، والخالدي، صلاح، مدخل إلى ظلال القرآن، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ص٩٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- إحياء القيم الإنسانية العليا وما يكتنفها من مكارم الأخلاق.

٥- سياسة الأمة وسن التشريعات لها لتنظيم حياة الفرد والمجتمع.

٦- هداية البشر إلى رسالة الإسلام في كل زمان ومكان.

٧- عمارة الأرض بما يتوافق مع رسالة الإسلام السمحة.

وغيرها كثير من هدايات قرآنية، هدفها حمل مشعل الهداية للعالمين في العقائد والأخلاق والسلوك والمعاملات.

وعُرضت تلك المقاصد بأساليب شتى كأسلوب الترغيب والترهيب، أو الأسلوب القصص، أو أسلوب الحوار ونقض الحجة بالحجة ...، وكلها عرضت بأسلوب بياني بديع؛ اشتمل على الاستفهام والنفي والتعجب والقسم ...، وهذا كله لتحقيق مقاصد القرآن الكريم التي ينبغي على المفسر الهدائي أن تكون نصب عينيه، وهو يستخلص الهدايات القرآنية الربانية للبشرية جمعاء.

ولهذه المقاصد القرآنية مهمة أخرى؛ فمنها التدبر وهو لا يتحصل إلا لمن التفت إلى مقاصد القرآن، فمن أعرض عنها، فلا يحصل منهم أي تدبر[١]، ومنها الوقوف على مقصد الشارع، فدلالات الألفاظ على المعاني قد تحتمل عدة وجوه، كما أن بعض النصوص نتوهم أنها تتعارض، والذي يرفع هذا التعارض ويوفق بينها أو يرجح أحدهما على الآخر هو الوقوف على مقصد الشارع، وكذلك بعض الوقائع لا تتناولها دلالات النصوص بوضوح، وتمس الحاجة لمعرفة أحكامها بأي دليل من أدلة الشرع، والهادي في هذا الاستدلال الوقوف على مقصد الشرع[٢].

---

(١) الشاطبي، الموافقات (٢٠٩/٤).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٢/١)، وخلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمقاصد القرآنية تعين على دقة الاستنباط وصولًا إلى تعيين مراد الله تعالى في كتابه ببيان واضح جلي، لا يحتمل التأويل، فعلى المفسر الهدائي خاصة أن يرتكز عليها في استخلاص هداياته؛ لتقيه من الزلل والخطأ، وليبقى على خطى من سلفه من المفسرين الربانيين.

ثانيًا: جمع الآيات في الموضوع الواحد وفهمها مجتمعة.

القرآن وحدة واحدة لا تتجزأ، وتعاليمه وأحكامه مترابطة يتكامل بعضها مع بعض، فالحكم في بعضها يؤثر في الآخر، فلا يجوز فصل جزء أو أكثر عن بقية الأجزاء، فالعقيدة تغذي العبادة، والعبادة تغذي الأخلاق، وكلها تمد الجانب العملي التشريعي في الحياة، فلا يسوغ عقل ولا منطق أن يفهم حكم من القرآن بمعزل عن بقية الأحكام(١).

وقد عُرف هذا في الدراسات القرآنية بالتفسير الموضوعي أو الوحدة الموضوعية(٢)، وهو على ثلاثة أنواع(٣)، ومن أهمها نوعين:

=

الإسلامية، ط٨، د.ت، (ص١٩٨). والحسن، خليفة بابكر، فلسفة مقاصد التشريع في الفقه الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ص٣٨).

(١) القرضاوي، يوسف، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ص٤٤٦).

(٢) والتفسير الموضوعي: هو «علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر»، ينظر: مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، (ص١٦)، وفتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص٢٠).

(٣) وزاد بعض الدارسين أنواعها على الثلاثة، لكنهم اتفقوا على النوعين المدرجين أعلاه، واختلفوا فيما سواهما، انظر: الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، (ص٥٩)، والحميضي، إبراهيم، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٣٨هـ. (ص٢٦)، وعلوان، توفيق، فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م. (ص٢٨٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: يبحث المفسر عن موضوع معين، ثم يتتبعه في آيات القرآن كلها، فيستخرج منها دلالات مختلفة من آداب أو أحكام أو آفاق تربوية تمس حاجات الأمة.

الثاني: «يختار الباحث في هذا اللون من التفسير الموضوعي سورة من القرآن الكريم، وينظر فيها نظرة موضوعية متدبرة، ويقف مع آياتها وقفة مطولة، ويتعرف على موضع السورة ومقاصدها وأهدافها وعلى الخطوط الرئيسة التي تجمع مختلف موضوعاتها الفرعية، ويخرج من ذلك بتحليل موضوعي موسع ودراسة موضوعية متكاملة، تبدو معها تلك السورة وحدة موضوعية متناسقة»[(١)].

فالوحدة الموضوعية تسوقنا لترابط الآيات وتكاملها في بوتقة واحدة، إما على مستوى السورة نفسها أو على مستوى الموضوع كله في كتاب الله سبحانه وتعالى، وهذا مدعاة لدلالة أوضح وفهم أشمل، وهما طِلبة المفسر وغايته المثلى، وقد تداعى المفسرون المحدثون على هذا النوع من التفسير، فأورثهم حسن العرض وترابط الموضوع، وهذه من ملامح التجديد عندهم، ومع أن مصنفات علمائنا القدماء تناولت غريب القرآن وكتب الأشباه والنظائر، وهي عمدة هذه الدراسات؛ لكنها بقيت في إطار دلالة الكلمة لم تتجاوزها للربط الشامل، لتبدو الآيات القرآنية وحدة واحدة متكاملة في المعنى أو محكمة في التناسق والبناء[(٢)].

وهذه القاعدة من بدهيات البحث العلمي وأصوله، فاستقصاء المسألة من جميع جوانبها والبحث عن دقيق مسائلها هو أول مراحل البحث العلمي الرصين، فلا يعقل أن يتأمل المفسر كتاب الله دون الوقوف على مجموع ما ورد في الكتاب والسنة في عين المسألة المبحوثة، لأنَّ

---

(١) الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص٦٤ و٦١). وينظر: فتح الله سعيد، المدخل إلى التفسير الموضوعي (ص٢٤).

(٢) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجاهل الجمع بين آيات الكتاب هو ضرب لكلام الله تعالى بعضه ببعض، وقصور في الفهم، وسبيل من سبل الجهل، ومنزع من منازع الهوى، تخالف شروط المفسر الحجة المتقن[١].

وقد عاب الله على أهل الكتاب انتقاءهم ما يوافق أهواءهم، فعن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩٠-٩١]، قال: «هم أهل الكتاب، جزّؤوه فجعلوه أعضاء أعضاء، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه»[٢]، وهذا الداء وإن أصاب أهل الكتاب من قبلنا، فخصوص السبب لا يمنع من عموم اللفظ، فقد بليت أمتنا به، يقول محمد رشيد رضا عن هذا الداء: «وفهم القرآن لا يكون صحيحا إلا بالجمع بين الآيات المتقابلة في الموضوع الواحد، الذي يختلف التعبير فيها باختلاف الوجوه والاعتبارات، التي ضلت الفرق بنظر كل منها إلى إحداها دون الأخرى مطلقا، أو جعلها ما وافق مذهبها أصلا يرد غيره إليه بالتأويل قريبا كان أو بعيدا، ومثل الجبرية مع القدرية هنا كمثل المرجئة مع الوعيدية من الخوارج وغيرهم من آيات الوعد والوعيد، فهؤلاء كلهم من: الذين جعلوا القرآن عضين، وضربوا بعضه ببعض»[٣].

ومن الأمثلة على التفريق بين نصوص الوحيين عند بعض الفرق الضالة[٤]:

---

(١) تنظر مسألة وجوب الجمع بين الأدلة وتدارسها لبيان الراجح منها عند علماء الأصول، عند: الشوكاني، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول (٢/٢٢٤-٢٢٥)، والآمدي، علي. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت. (٣/٢٢١)، والزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/٩٢).

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) (١٧/١٤٢).

(٣) رضا، تفسير المنار (١٠/١٧٩).

(٤) ينظر: الرشيدي، عميرة، تحريف معاني الألفاظ القرآنية دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، (ص١٩٧-١٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- الأخذ بنصوص الوعيد وطرح نصوص الوعد نتج عنها بدعة تخليد الموحدين من أهل الكبائر في النار ونفي الشفاعة عنهم[١].

٢- بعض المتصوفة عبَدَ الله بالحب وحده دون الخوف والرجاء، وهذا تفريق بين نصوص الشرع التي جعلت مدار العبادة بين الخوف والرجاء.

٣- ومنهم القرآنيون في العصر الحديث الذين فرقوا بين نصوص الكتاب والسنة، وأقاموا ضلالهم على الإيمان بالقرآن وحده دون السنة النبوية الشريفة[٢].

لذلك نجد علماءنا المفسرين سلفًا وخلفًا يجمعون الأدلة من الكتاب والسنة عند تفسير آية مستخلصين حكم الله من مجموع الأدلة، وربما دفعوا فيما يبدو تعارضًا لبادي الرأي، معتمدين على العام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك من أساليب الترجيح[٣]، ومن هؤلاء على سبيل المثال: القرطبي[٤]، وابن كثير[٥]، ورشيد رضا[٦]، والقاسمي[٧]، والشنقيطي[٨]، وغيرهم.

وللمفسرين المحدثين اهتمام بالوحدة الموضوعية على اختلاف مناهجهم التفسيرية بين مقل

---

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (١٢٢/٥).

(٢) ينظر: بخش، خادم، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة (ص٢٠٩)، وإسماعيل، شعبان محمد، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار الأنصار، مصر، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، (٤٧/٢).

(٣) ينظر: الشاطبي، الموافقات (٣٤٢/٥).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٥٨/٧).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٦٥٥/١).

(٦) ينظر: تفسير المنار (٣٤٣/٨).

(٧) ينظر: محاسن التأويل (٣٤٨/٥).

(٨) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨١/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومكثر، أمثال محمد رشيد رضا، في تفسير المنار وفي كتابه كتاب الوحي المحمدي[١]، ومحمد عبدالله دراز[٢]، والطاهر بن عاشور في تفسير التحرير والتنوير، وسعيد حوى في الأساس في التفسير[٣]، وسأقف مع اثنين من هؤلاء الرواد:

الأول: عبدالحميد الفراهي في كتابه (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، فقد اهتم رحمه الله بذلك، ومراده «أن تكون السورة كلًّا واحدًا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة .... وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدً ذا مناسبة وترتيب في إجزائه من الأول إلى الآخر ... تكون لكل سورة صورة مشخصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض، وجرت إلى عمود واحد، ... رأيت ما فيه من الجمال والإتقان»[٤].

فالفراهي يرى أن السورة وحدة واحدة مهما تعددت قضاياها، فمصبها إلى غرض واحد، لذلك من فاته النظم فقــد حرم حظًّا وافــرًا من الكلام، لم يتبين وجــه الرأي عند تضارب الأقوال[٥].

الثاني: سيد قطب في تفسير في ظلال القرآن، فقد عرض «أهداف وأساسيات كل سورة

---

(١) ينظر: الألمعي، زاهر، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د.ن، ط٤، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م. (ص١٨)، عباس، عباس عوض الله، محاضرات في التفسير الموضوعي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، (ص٢٤).

(٢) ينظر: دراز، محمد، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، عناية: أحمد مصطفى، تقديم: عبد العظيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص١٥٥).

(٣) ينظر: حوّى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ، (٩/١) وما بعدها.

(٤) الفراهي، عبدالحميد، دلائل النظام، المطبعة الحميدية، د.ط، ١٣٨٨هـ، (ص٧٥).

(٥) ينظر: راوي، محمد ، الإمام عبدالحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن، دار الشاكر، ماليزيا، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م، (ص٦٣). والفراهي، تفسير نظام القرآن، وتأويل الفرقان بالفرقان (ص١٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبل البدء بتفسيرها، وبيان شخصية كل سورة وملامحها المتميزة عن بقية السور»[١]، وتفسيره يشهد بذلك، ولنأخذ مثلا سورة القصص فقد أبدع في ربط أجزائها أولها وآخرها[٢]، ثم توالت الدراسات وتكاثرت حول هذا النوع من التفسير[٣].

لقد اهتم علماؤنا بجمع الأدلة والنظر فيها للترجيح بين الأدلة ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد ...، بل تتبّعوا أول ما نزل من الآيات وآخر ما نزل منها، مما لا مجال فيه للاجتهاد لمعرفة أولية التشريع الرباني[٤]، وهذا كله لاستزادة الفهم، والوقوف على مراد الله، ومعرفة تدرج نزول أحكام الله تعالى، والمفسر الهدائي معنيٌّ بهذا الضابط الحيوي؛ لرسم معالم الطريق الصحيح للناس وعلاج واقعهم وتقويم معايشهم.

ثالثًا: عدم الإغراق والتكلف للهدايات القرآنية، كحمل الآيات على تفسيرات وتفصيلات لأمور غيبية لا دليل عليها[٥].

إذا جمعنا ثقافة المفسر وقراءاته وإلمامه بعلوم عصره، مع اتساع ألفاظ اللغة ودلالاتها، نجد أن قراءة النص تتعدد تبعًا لذلك، ولما كان كتاب الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجب على المفسر الهدائي خاصة الالتزام بمقاصد القرآن الكريم، فلا تستهويه غرائب الإسرائيليات، والتعليلات الغريبة عن تلك المقاصد، وسنتناول فيما يلي بعض الضوابط التي

---

(١) ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص٢٩).

(٢) ينظر: قطب، في ظلال القرآن (٢٦٧١/٥).

(٣) ينظر: الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق (ص٦٥). وراوي، الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده في التفسير وعلوم القرآن (ص٦٣).

(٤) وقد ألف الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني تفسيرا حسب ترتيب نزول آيات الذكر الحكيم، ووسمه: (معارج التفكر ودقائق التدبر) دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٥) ينظر: الركيتي، قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري (ص١٨٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يجب على المفسر أن يتجنبها مما يتعارض مع الهدايات القرآنية:

الضابط الأول: عدم تفسير الآية بالإسرائيليات التي تناقض في غالبها عصمة الأنبياء، أو تناقض مقاصد الشريعة الإسلامية؛ وقد خالف بعض المفسرين هذا الضابط باحتجاجه بروايات أهل الكتاب ظنًّا منه أنه يزيل لبس فهم أو يوضِّح معنى آية[١]، وإذ بهم يقعون في وزر أكبر من ثلب مقام النبوة، فضلا عن تفسير كتاب الله بروايات إسرائيلية لا يسعها قوله صلى الله عليه وسلم: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[٢]، فلم يقل صلى الله عليه وسلم فسروا[٣]، فلا يعقل أن تساق الإسرائيليات بيانًا وتفسيرًا لكتاب الله، «فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها فيه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفرا»[٤]، وجنح لهذا الرأي جمع كبير من الباحثين المعاصرين[٥].

ومن أمثلة ذلك:

- ما نقله المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

---

(١) انظر رأي ابن كثير في الرواية عن أهل الكتاب، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٢٧/٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٧٠/٤) رقم (٣٤٦١).

(٣) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١).

(٤) شاكر، أحمد، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم)، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص١٥).

(٥) منهم على سبيل المثال: أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، (ص٤٠٣)، والذهبي، التفسير والمفسرون (١٣٣/١)، والرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٣١٦/١)، وغيرهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[الأعراف: ١٨٩- ١٩٠].

فقد روي عن ابن عباس وغيره في تفسير هذه الآية أنه قال: كانت حواء تلد لآدم، عليه السلام، أولادا فيعبدهم لله ويسميه: "عبد الله" و"عبيد الله"، ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس وآدم فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش، قال: فولدت له رجلا، فسماه عبد الحارث، ففيه نزلت هذه الآيات[١].

قال ابن كثير بعد نقله هذه الروايات: «وهذه الآثار يظهر عليها -والله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ...**»[٢]»[٣]، وقد تعقبه الشيخ محمد رشيد رضا بقوله: «وقد أصاب كنه الحقيقة في قوله: إن هذه الآثار مأخوذة من الإسرائيليات، ولما كانت طعنا في عقيدة أبوينا آدم وحواء عليهما السلام بما تبطله عقائد الإسلام، وجب الجزم ببطلانها وتكذيبهم فيها»[٤].

الضابط الثاني: البعد عن مذهبة القرآن بما لا يتوافق مع دلالة ظاهره، أو تحميله ما

---

(١) ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (١٦٣٣/٥)، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣٠١/٣)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٢٧/٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، المسند (٤٦٠/٢٨) الحديث رقم (١٧٢٢٥)، وأبو داود، السنن، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب (٣١٨/٣) الحديث رقم (٣٦٤٤)، من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٢٧/٣).

(٤) ينظر: رضا، تفسير المنار (٤٣٨/٩)، وأنكرها أيضًا الأرمي، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف: هاشم محمد مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، (٢٨٥/١٠)، وقد ضعف هذه الرواية محقق تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣١٢/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحتمل، فإنَّ استبطان النص القرآني وتحميله أكثر مما يحتمل فيه ما فيه من الإثم والبهتان، وهذه بعض الفرق الذي وقعت فيما يخالف هذه القاعدة:

الفرقة الأولى: الفرق الكلامية، ويذكر دروزة أنهم: «تكلفوا وتمحلوا في كثير مما تجاذبوا وتشادوا فيه على غير طائل ولا ضرورة، وإنهم حملوا العبارات القرآنية ما لا .... يقتضيه السياق الذي جاءت فيه، .... وإن محاولات أهل المذاهب الكلامية والخلافية هذه تجعل القرآن يناقض بعضه بعضا، مما يجب تنزيهه عنه، ومما هو منزه عنه فعلا بنصّ القرآن»[1].

ومن أمثلة ذلك: تفسير المعتزلة لكتاب الله سبحانه وتعالى على ما يوافق معتقدهم، فمن معتقداتهم: لا يجوز لله سبحانه وتعالى أن يخلق أفعال العباد، ويعذبهم على قبيحها، وهو ما يسمى عندهم بالعدل، يقول الشهرستاني: «واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا»[2]، لذلك يفسر الزمخشري المعتزلي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩]: «من يشأ الله يضلله أى يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به، لأنه ليس من أهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم أى يلطف به لأن اللطف يجدى عليه»[3]، ويهدف الزمخشري من تفسير هذه الآية وما ماثلها من

---

(١) ينظر: دروزة، التفسير الحديث (٢٣٧/١).

(٢) ينظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، (٤٥/١).

(٣) ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، (٢١/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آيات في كتاب الله، هو نسبة خلق أفعال العباد، فالله لا يخلق الهدى ولا الضلال، وأنهما من جملة مخلوقات العباد، وهو بذلك ينكر الدلالات الواضحة من مجموع الآيات في إثبات هذا الشأن، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وهذا من الانتصار للمذهب الذي ينبغي أن يترفع عنه المفسر(١).

الفرقة الثانية: المتصوفة، فقد وقع بعضهم بأخطاء منهجية في التفسير، كالتأملات الصوفية البعيدة عن هدي الآية الكريمة.

ومن أمثلة ذلك:

– تفسير عبد الكريم القشيري لقوله الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: آية ٢١]: «أولم يسيروا في أقطار الأرض بنفوسهم، ويطوفوا مشارقها ومغاربها ليعتبروا بها فيزهدوا فيها؟ أولم يسيروا بقلوبهم في الملكوت بجولان الفكر ليشهدوا أنوار التجلّى فيستبصروا بها؟ أولم يسيروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق، وليتخلّصوا من جميع المخلوقات قاصيها ودانيها؟»(٢)، وتتضح مصطلحات التصوف الغالي ومفاهيمه في كلام القشيري، وهي بعيدة عن مفهوم الآية، وفي إشاراته كثير من ذلك.

– تفسير الشيخ علوان النخجواني لقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:

---

(١) وانظر أمثلة على ذلك: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، الناشر: عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ، (٣٠٠/١)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (٣١/١)، والذهبي، التفسير والمفسرون (٢٢٧/٢).

(٢) ينظر: القشيري، لطائف الإشارات (٣٠٤/٣)، وانظر فيه أيضًا (٢٨٣/١ و٤٠٩/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٩]: «واعبد ربّك واجتهد في سلوك طريق المعرفة حتّى يأتيك اليقين ويحصل لك مرتبة الكشف والشهود ويرتفع عن بصرك وبصيرتك حجب الأنانية والوجود جعلنا الله من الموقنين المنكشفين بمنه وجوده»[١]، وهو بذلك يخالف تفسير السلف، بإيحاءات صوفية غير مرادة.

الفرقة الثالثة: التشيع، ويظهر ذلك جليًّا في مصنفات الشيعة؛ حيث يصف محمد الذهبي بعض مصنفات الشيعة في التفسير بأنها تحمل «ألفاظ القرآن الكريم على معان، تتفق وأصول المذهب وتعاليمه، مع شئ من التعصب والغلو فى التنويه بشأن أهل البيت، والحط من قدر الصحابة الذين يعتبرهم غير موالين لعلىّ وذُرِّيته، ...»[٢].

ومن أمثلة ذلك: ما استدل به الشيعة على إمامة علي رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة: ٥٦][٣]، وقد ردَّ عليهم محمد رشيد رضا بقوله: «وقد استدلت الشيعة بالآية على ثبوت إمامة علي بالنص، بناء على ما روي من نزول الآية فيه، وجعلوا الولي فيها بمعنى المتصرف في أمور الأمة، وقد بينا ضعف كون المؤمنين في الآية يراد به شخص واحد. وعلمنا من السياق أن الولاية هاهنا ولاية النصر، لا ولاية التصرف والحكم؛ إذ لا مناسبة له في هذا السياق، وقد رد عليهم الرازي، وغيره بوجوه، وهذه المجادلات ضارة غير نافعة، فهي التي فرقت الأمة وأضعفتها، فلا نخوض فيها، ولو كان في القرآن نص على الإمامة لما اختلف الصحابة فيها؛ أو لاحتج به بعضهم على بعض، ولم

---

(١) ينظر: علوان النخجواني، نعمة الله بن محمود (المتوفى: ٩٢٠هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي للنشر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (٤١٩/١).

(٢) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (١٤٠/٢).

(٣) ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ). مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، بيروت، دار المرتضى، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م. (٢٩٨/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينقل ذلك»[1].

ومن احتجاجات الشيعة أيضًا: تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣]: بالمهدي المنتظر، وعلق الفخر الرازي على احتجاجهم بقوله: «واعلم أن تخصيص المطلق من غير الدليل باطل»[2].

ومن أجمل ما وصف به الشيعة أنه لا يكاد الواحد منهم «يمر بآية يلمح منها حُجَّة لمذهبه أو دفعاً لمذهب مخالفيه إلا فسَّرها[3]، كما يحب ويهوى»[4].

الضابط الثالث: قطع الإياس من تفسير ما أجمله القرآن أو أعرض عن بيانه، أو ما لا يُدرك بالنظر والاجتهاد، بل يعرف عن طريق الوحي من الكتاب والسنة، واجب ينبغي الالتزام به، فمن علوم القرآن علم لم يطَّلع عليه أحد من الخلق، بل استأثر الله به وحده، كمعرفة حقيقة

---

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (٢٤٨/٥)، وانظر في الرد عليهم الصرصري، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الحنبلي (المتوفى ٧١٦ هـ)، الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص٢٢٠)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٢/٢)، والعليمي، مجير الدين بن محمد المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (٣١٣/٢)، ودروزة، التفسير الحديث (١٦٣/٩).

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٢٧٤/٢).

(٣) وانظر أمثلة على ذلك مع الرد عليهم: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (المتوفى: ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، (٦٠٦/٢)، و(١٧٤/٥)، والإستانبولي، إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (المتوفى: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (١٧١/٧)، ورضا، تفسير المنار (٢٣٣/١٠)، و(٤٦/١٢)، (١٧٤/١٢)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦/٢٢)، وغيرها كثير.

(٤) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (١٤٠/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذاته وصفاته وغيوبه، وهذا لا يجوز الكلام فيه لأحد إجماعًا[١]، لقوله سبحانه تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن هذه الغيبيات مغيبات العقائد؛ كقيام الساعة وحقيقة الروح، وخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وقيام الساعة وفناء الدنيا، وبعضها مغيبات لا يترتب عليها عمل، وتتعلق فيما مضى من الأمم[٢]، يقول ابن جرير الطبري: «وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم له تأويلَه بنصٍّ منه عليه، ... وأنّ منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار. وذلك ما فيه من الخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية، كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ونزول عيسى بن مريم»[٣].

ومنها أيضًا ما أجمله القرآن دون تفصيل، أو لم نقف على وجه الحكمة فيه؛ كقصص الأمم السابقة، وعدد الزبانية، ورمي الجمار، والحروف المقطّعة في أوائل بعض سور القرآن... وغيرها[٤].

---

(١) ينظر: الزرقاني، محمد، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، (٥٠/٢)، والذهبي، التفسير والمفسرون (٤٢/١).

(٢) ينظر: الحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٢٥/١)، والركيتي، قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري (ص١٨٤).

(٣) ينظر: الطبري، محمد، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، (٧٤/١)، والقرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، (٣١/١)، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤١/١).

(٤) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٣٦/١)، والبغوي، معالم التزيل في تفسير القرآن (٥٩/١)، والخازن، علي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ، (٢٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخالف هذه القاعدة أيضًا «من يطلب الآجال والمُدد من الحروف المقطَّعة في أوائل السُّور، ويزعم أنَّ سرّ المغيَّبات مندرج تحتها، وأنَّه يمكن معرفة شيء من الغيب عن طريق تفكيكها وتفسيرها، أو من يطلب المغيَّبات بواسطة الأعداد المذكورة في القرآن، ويزعم أنَّه يؤخذ منها علمًا غيبيًّا؛ كبعض مَن كتب في ما يُسمّى بالإعجاز العدديّ في القرآن الكريم»[1].

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، يقول الطبري: «... وجائز أن يكون تلك البقية: العصا، وكسر الألواح، والتوراة، أو بعضها، والنعلين، والثياب، والجهاد في سبيل الله، وجائز أن يكون بعض ذلك، وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة، ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم، ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا، وإذ كان كذلك، فغير جائز فيه تصويب قول وتضعيف آخر غيره، إذ كان جائزا فيه ما قلنا من القول»[2]، ويتضح من كلام الطبري أن تحديد البقية التي ذكرها القرآن لا دليل عليها، ولذلك لم يجزم هو بها.

المثال الثاني: ومثله قوله الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ

---

(١) ينظر: الطيار، مساعد، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ، (٢٢٥/١).

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٣٤/٥)، وانظر أيضًا (١٩/ ٥٦٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٩/٩) و(١٠٢/١٥)، و(١٣٨/٢٠)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٢٩/٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، ينكر ابن العربي على من ادعى أنَّ ضيافة إبراهيم قليلة دون برهان من أثر، فيقول: «قال بعض علمائنا: (كانت ضيافة قليلة فشكرها الحبيب من الحبيب)، وهذا تحكم بالظن في موضع القطع وبالقياس في موضع النقل، من أين علم أنه قليل؟ بل قد نقل المفسرون أن الملائكة كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعجل لثلاثة عظيم، فما هذا التفسير في كتاب الله بالرأي؟ هذا بأمانة الله هو التفسير المذموم، فاجتنبوه فقد علمتموه»(١).

المثال الثالث: هناك قضايا لم يفصلها القرآن، وأجمل ذكرها، فلا فائدة تذكر في تتبع تفاصيلها، ومما تعرض له المفسرون؛ عدد أصحاب الكهف، وخصائص كلبهم، مما لا فائدة منه، يقول ابن حيان الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]: «ونقل المفسرون الخلاف في أوقات تقليبهم وفي عدد التقليبات، عن ابن عباس، وأبي هريرة، وقتادة، ومجاهد، وابن عياض بأقوال متعارضة متناقضة، ضربنا عن نقلها صفحا، وكذلك لم نتعرض لاسم كلبهم، ولا لكونه كلب زرع أو غيره؛ لأن مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل، وإنما يدرك بالسمع، والسمع لا يكون في مثل هذا إلا عن الأنبياء أو الكتب الإلهية، ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها»(٢).

---

(١) ينظر: ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، علَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م، (٢٢/٣).

(٢) أبو حيان التوحيدي الأندلسي، محمد، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ، (١٥٣/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المثال الرابع: ما ذكره الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٤٩-٥٠]، فقال: «وذلك أنه لما دنا هلاك فرعون، أمر الله موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني إسرائيل من مصر بالليل، ....، ثم خرج فرعون في طلبهم في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات، وقيل: كان معهن مائة ألف حصان أدهم، وكان فرعون في الدهم، وكان على مقدمة عسكر هامان، وكان فرعون في سبعة آلاف ألف، وكان بين يديه مائة ألف ألف ناشب، ومائة ألف ألف حراب، ومائة في ألف ألف، معهم الأعمدة، وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا البحر...، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ...، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقا، لكل سبط منهم طريق، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل، وأرسل الله الريح والشمس على قعر البحر، حتى صار يبسا، وخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم، لا يرى بعضهم بعضا، فخافوا، وقال: كل سبط منهم قد هلك إخواننا فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي، فصار الماء كالشباك يرى بعضهم بعضا، ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين ...»[1].

والخازن -غفر الله لنا وله-؛ لم ينقل الإسرائيليات فحسب، بل نقل ما لا يصدقه عقل ولا منطق، فمثل هذه المبالغات تحتاج لدليل قاطع من كتاب وسنة، وهذا ما لا يمكن الحصول عليه، والأصل الوقوف حيث وقف القرآن، واستقاء العظات والعبر بعيدا عما لا يدرك خبره.

---

(١) ينظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٤٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضابط الرابع: البعد عن القصص والحكايات والمنامات التي لا مسند لها في الشريعة من كتاب وسنة[١]، وقد عرفت جماعة القصاصين في تاريخنا الإسلامي الذين اتخذوا القصص مهنتهم، فهان عليهم الكذب، وأمالوا وجوه الناس إليهم بالمناكير، حتى ألف بعض العلماء فيهم كتابًا يحذرون منهم، ومن صنيعهم[٢]، وقد تسربت للأسف بعض هذه القصص والمنامات لكتب التفسير، فلا ينبغي والحالة تلك الاعتماد عليها أو الاستشهاد بها.

ومن أمثلة ذلك:

- نقل الثعلبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، قصة تماثل قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، ولم يعلق عليها: «وعن مصعب بن عبد الله قال: حدّثني مصعب بن عثمان قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجها، فدخلت عليه امرأة تستفتيه: [فتأمنته] بنفسه، فامتنع عليها، وذكّرها، فقالت له: إن لم تفعل لأشهّرنّ بك، ولأصيحنّ بك، قال: فخرج وتركها، فرأى في منامه يوسف النبي (عليه السلام)، فقال له: أنت يوسف؟ قال: أنا يوسف النبي هممت، وأنت سليمان الذي لم تهمّ»[٣]، وقد أنكرها القرطبي بقوله: «فإن

---

(١) ينظر: يعقوب، طاهر محمود محمد، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٥هـ، (ص١٩٤).

(٢) منها: «القصاص والمذكرين» لابن الجوزي، و«أحاديث القصاص» لابن تيمية، و«تحذير الخواص من أكاذيب القصاص» للسيوطي، و«الباعث على الخلاص من حوادث القصاص» للحافظ العراقي، وكلها من تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، وانظر مقدمة تحقيقه لكتاب ابن تيمية أحاديث القصاص (ص٩).

(٣) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن(٢١١/٥)، ونقلها الطيبي أيضًا دون تعليق، الطيبي، الحسين بن عبدالله (ت٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب:
=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا يقتضي أن تكون درجة الولاية أرفع من درجة النبوة وهو محال، ولو قدرنا يوسف غير نبي فدرجته الولاية، فيكون محفوظا كهو، ولو غلقت على سليمان الأبواب، وروجع في المقال والخطاب، والكلام والجواب مع طول الصحبة لخيف عليه الفتنة، وعظيم المحنة، والله أعلم»[1].

– ومن أمثلته أيضًا ما نقله إسماعيل حقي صاحب تفسير روح البيان: «حُكي أنَّ أبا منصور بن ذكير كان رجلا زاهدا صالحا، فلما دنت وفاته أكثر البكاء، فقيل له: لم تبكي عند الموت؟ قال: أسلك طريقا لم أسلكه قط، فلما تُوفي رآه ابنه في المنام في الليلة الرابعة، فقال: يا أبت، ما فعل الله بك؟ فقال: يا بني، إنّ الأمر أصعب مما تعد أي تظن، لقيت مَلِكًا عادلًا، أعدل العادلين، ورأيت خصماء مناقشين، فقال لي ربي: يا أبا منصور، قد عمرتك سبعين سنة، فما معك اليوم؟ فقلت: يا ربي: حججت ثلاثين حجة. فقال الله تعالى: لم أقبل منك. فقلت: يا رب، تصدقت بأربعين ألف درهم بيدي. فقال: لم أقبل منك. فقلت: ستون سنة، صمت نهارها، وقمت ليلها. فقال: لم أقبل منك. فقلت: إلهي، غزوت أربعين غزوة. فقال: لم أقبل منك. فقلت: إذا قد هلكت. فقال الله: تعالى ليس من كرمي أن أعذب مثل هذا، يا أبا منصور، أما تذكر اليوم الفلاني نحيت الذرة عن الطريق كيلا يعثر بها مسلم، فإني قد رحمتك بذلك، فإني لا أضيع أجر المحسنين»[2].

وهذه القصة توحي للسامع الزهد في العبادات، وتشكك العُبّاد برحمة الله تعالى، فالله جل

=

محمد عبدالرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، سنة ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م. (٣٢٨/٨).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦٩/٩).

(٢) الإستانبولي، روح البيان (٢٩٨/٢)، وانظر قصصًا أخرى: (١٤٣/٣)، و(١٦٦/٨)، وانظر تفسير التستري (ص٢١)، وتفسير القرطبي (٢٦٥/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شأنه لم يقبل من أبي منصور لا حجه، ولا صدقته، ولا صيامه، ولا صلاته، ولا جهاده، ورحمه فقط بإماطة الأذى عن الطريق، وقد علق المفسر إسماعيل حقي: «فظهر من هذه الحكاية أن دفع الأذى عن الطريق إذا كان سببا للرحمة والمغفرة؛ فلأن يكون دفع الأذى عن الناس نافعا للدافع يوم الحشر خصوصا عدم الأذية للمؤمنين، وخصوصًا للأهل والعيال، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]، والصواب أن هذه القصص لا ينبغي نقلها في التفاسير، فلا مستند لها من كتاب أو سنة.

الضابط الخامس: البعد عن التفسير الحر؛ لأنه أقرب إلى الزندقة، وهو ما تحتج به الفرق الباطنية، أو بعض المستغربين من ذوي النفوس الضعيفة اليوم، وهو مردود في وجه صاحبه؛ لأنه تحرر من القواعد والأصول، والتفسير كلام مقدس، لا مجرد مساجلات فكرية نزقة أو نزوات عقلية طائشة، بل للتفسير قواعد علمية رصينة؛ كالأخذ بمطلق اللغة، مع مراعاة السياق، وملاحظة أسباب النزول، واعتبار القرآن أصلًا يرجع إليه، وتقديم المعنى الشرعي على اللغوي عند النزاع، وغير ذلك ذلك من قواعد ناظمة[2].

ومن أمثلة ذلك:

- احتجاج القرآنيين بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، على أن القرآن وحده كاف لبيان أحكام والتشريع، فالله بين كل شيء في كتابه ولم يفرط في القرآن من شيء، ولم يدع أمرا مما يحتاج الناس إليه في العقائد أو العبادات والمعاملات إلا بينه، فإذا كان

---

(١) الإستانبولي، روح البيان (٢٩٨/٢).

(٢) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (١٨٨/١) و(٢٥٨/١)، والزرقاني، مناهل العرفان (٣٤/٢) و(٨١/٢)، وعبدالرحيم، التجديد في التفسير (ص٥٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك، فما حاجتنا إلى مصدر آخر[1].

وهؤلاء يناقضون كتاب الله أولًا، ثم ما اجتمعت عليه الأمة، فالسنة جاءت مبينة ومفصلة لما في كتاب الله تعالى، يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وهذا الفصل بين القرآن والسنة لا يدخل من باب الاجتهاد، بل هو من باب الكفر والزندقة، والعياذ بالله تعالى.

– واحتجاجات غلام أحمد برويز العقلية في القرآن الكريم[2]؛ ومن آرائه في التفسير قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]: أخرجت الأشياء المدفونة في الأرض كالبترول والمعادن وغيرها، ويفسر قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]: من في القبور كناية على الذين فقدوا نضارة الحياة أو تباروا في الجهالة والتعصب...، ويطلق ألفاظ يوم القيامة على الحياة الدنيا، وكأنه ينكر البعث، ويؤول لفظة الدين بمعنى الثورة والإنقلاب، ويؤول الجبل بمعنى الرجال الأقوياء، ووادي النمل في قصة سليمان قبيلة من القبائل، والنملة اسم امرأة ... [3]، وغير ذلك من الترهات التي هي زندقة وكفر بالله جلت

---

(١) ينظر: مزروعة، محمود بن محمد، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (ص٤٥٥).

(٢) وهو غلام أحمد برويز (١٩٠٣هـ–١٩٨٥م)، أحد أبرز العقلانيين المحدثين في شبه القارة الهندية، ينكر حجية السنة النبوية، وقد بث فكره في مجلته (طلوع الإسلام)، وأتباعه قلة، وقد رد عليه المودودي في مجلة (ترجمان القرآن)، ومن كتبه مطالب القرآن سبع مجلدات، حيث يفسر القرآن بمنهجه العقلي، انظر: أبو بكر، الاستشهاد اللغوي عند برويز في لغات القرآن، دراسة نقدية، مجلة القسم العربي، جامعة البنجاب، لاهور، باكستان، العدد الثالث والعشرون، ٢٠١٦م، (ص٨٤).

(٣) ينظر: أبو بكر، الاستشهاد اللغوي عند برويز في لغات القرآن (ص٩١) وما بعدها، ويعقوب، أسباب الخطأ في التفسير دراسة تأصيلية (ص١٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عظمته تحت ستار التجديد والإبداع، ومازالت الأيام حبلى بمثل هؤلاء[1]، ومن نعمة الله على هذه الأمة أنه تكفل بحفظ كتابه، وخلق لذلك رجالا يبذلون الغالي والنفيس، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يضرهم من خالفهم، والله المستعان.

وعليه فإن الهدايات القرآنية هي نتاج إعمال فكر عامر بالإيمان، وقلبٍ مُعظِّمٍ للنصوص، يتقرب إلى الله تعالى بفهمها، وصياغتها، وتبليغها للناس، معتمدا على القواعد والأصول، لا مكان فيها للأهواء والنزوات، لا يُحتجّ لها إلا بما يؤيدها من استدلال صحيح من كتاب الله تعالى، أو نقل ثابت عن رسول الله أو ما يؤيده النظر الصحيح، فالمفسر الهدائي الرباني لا ينزلق في أتون مزالق الفرق الضالة التي تنكبت هدي السلف فهمًا وقصدًا وتطبيقًا.

رابعًا: البعد عن الاستطراد المخل.

الاستطراد فن بديع من فنون البيان، عرفته العرب؛ وهو «أن يشرع المتكلم فى شىء من فنون الكلام، ثم يستمر عليه فيخرج إلى غيره، ثم يرجع إلى ما كان عليه من قبل»[2]، وللاستطراد في القرآن الكريم فوائد عدة، منها توكيد المعنى، وتجديد نشاط الذهن للحفظ والفهم إن وقع في موقعه المناسب، وهو من خصائص القرآن كما يرى ذلك جمع من المفسرين[3]،

---

(١) ومنهم: محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، وخليل عبد الكريم، ومحمد شحرور، وهشام جعيط، ... وغيرهم، انظر في بيان شذوذاتهم: الشدّي، عادل بن علي، الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، مدار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، (ص١٨٨، و٢١٣، و٢٥٠، و٢٧٩ و٣٢٠).

(٢) ينظر: المؤيد باللَّه، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، (٨/٣)، والعسكري، الحسن، الصناعتين، المحقق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، بيروت، ط٢، د.ت. (ص٤١٤).

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٩٧/٢)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن =

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه بعض الأمثلة على الاستطراد في القرآن الكريم، ومن فوائدها:

- التذكير بنعم الله[1] أو التأكيد على حق من الحقوق، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥]، وقد جاءت هاتان الآيتان معترضتان في سورة لقمان، يقول الزمخشري: «هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد، تأكيدا لما في وصية لقمان من النهى عن الشرك»[2]، وهو بلا شك من الاستطراد المحمود.

- الترهيب والترغيب؛ بذم الكافرين، ومدح المؤمنين، ومثاله قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٥]، يقول ابن عاشور: «المقصود من التشبيه الاستطراد بذم ثمود لأنهم كانوا أشد جرأة في مناوأة رسل الله، فلما تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدها كفرا وعنادا فشبه هلك مدين بهلكهم»[3].

وقد «يذهب المفسر مذاهب شتى في الاستطراد توجيهًا لشرحه أو تنويرًا لمن يفسر لهم

=

(٧٦/٢٠)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٣/٢)، والزركشي، البرهان في علوم القرآن (٤٩/١)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣١٠/١)، والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٤٥/٢)، ورضا، تفسير المنار (١٩٣/٩)، والجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٢٠٥/٤).

(١) انظر مثاله في تفسير النسفي (٤٩٨/٣) عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

(٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٩٤/٣)، وانظر أيضًا: تفسير أبي السعود (٧١/٧).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥٤/١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على مقدار حاجتهم إلى استطراده ويظهر ذلك في شرح الألفاظ اللغوية خصوصا إذا أريد بها غير ما وضعت له وفي المواضع التي يتوقف فهمها أو الاقتناع بها على ذكر مصطلحات أو سوق أدلة أو بيان حكمة، وهذا هو السر في أن أكثر تفاسير القرآن الكريم تشتمل على استطرادات متنوعة في علوم اللغة وفي العقائد وفي الفقه وأصوله وفي أسباب النزول وفي الناسخ والمنسوخ وفي العلوم الكونية والاجتماعية وغير ذلك»[1]، لذا ربما تدعو الحاجة – اللفظية كشرح غريب الألفاظ، أو المعنوية كتوكيد المعنى– المفسر إلى الاستطراد، لكنه استطراد مدروس، يوصل الهداية الربانية.

وهذه أمثلة لاستطرادات حسنة، لا تتناقض مع بيان الهدايات الربانية:

– ومنها: ما فسر به دروزة قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] حيث يقول: «لا يقصد بالإشارة إلى خلق الإنسان من علق تقرير حقيقة تشريحية، ولا تخصيص الإنسان وحده بالخلق من علق دون غيره من الحيوان، وإنما قصد التنبيه على مظهر من مظاهر قدرة الله في نواميسه على إخراج إنسان كامل في صورته وأعضائه وحواسه من شيء تافه في مظهره المادي، وقد اختص الإنسان بالذكر لأنه موضوع الخطاب في الآيات، وهذا أسلوب قرآني عام. وهو الأسلوب التنبيهي الموجه إلى مختلف الطبقات في المناسبات الملائمة بما تتناوله عقولهم وحواسهم، وبقصد الموعظة والهداية، وبناء على هذا فلا نرى محلا ولا ضرورة إلى الاستطراد إلى حقائق تشريحية عن خلق الإنسان وتكوينه لأن ذلك ليس من أهداف الجملة القرآنية ...»[2].

– ومنها تفسير قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: ١]، يقول الشيخ الصابوني:

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١١٥/٢).

(٢) دروزة، التفسير الحديث (٣١٨/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

«اللغَة: (هُمَزَةٍ) الهَّماز: الذي يغتاب الناس ويطعن في أعراضهم، وبناء (فُعلة) يدل على الاعتياد فلا يقال: لُعنة وضُحكة إلا للمكثر المعتاد (لُّمَزَةٍ) اللماز: الذي يعيب الناس وينال منهم بالحاجب والعين.

- التفسير: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾؛ أي: عذاب شديد وهلاك ودمار، لكل من يعيب الناس ويغتابهم ويطعن في أعراضهم، أو يلمزهم سراً بعينه أو حاجبه قال المفسرون: نزلت السورة في الأخنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، يلمزهم ويعيبهم مقبلين ومدبرين، والحكم عامٌ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[1].

ونلحظ بأنَّ الشيخ الصابوني استطرد في المعنى اللغوي ليستعين به على فهم المعنى، كما تناول سبب نزول الآية، وهذا كله دون إفراط أو تفريط عن الهدف الرئيس للآية، وهو هداية القرآن بالبعد عن ذكر عيوب الناس ومثالبهم.

- ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، يقول وهبة الزحيلي: «سبب نزول الآية: هو ما روى البخاري ومسلم[2]، عن أبي مسعود البدري قال: «**لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل، وهو أبو عقيل واسمه الحبحاب بشيء كثير، فقالوا: مرائي، فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل قوله تعالى:**

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير (٥٧٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (١٠٩/٢) الحديث رقم (١٤١٥)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل (٧٠٦/٢) الحديث رقم (١٠١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ ...﴾ الآية»، أي يعيبونهم.

هذا لون من ألوان طبائع المنافقين وأعمالهم القبيحة، وهو لمزهم؛ أي: عيبهم، المتطوعين الذين يأتون بالصدقات طوعا واختيارا، وهو موقف غريب يدل على تأصل النفاق في قلوبهم، وأنه لا يرجى منهم الخير أبدا، فهم لا يكتفون بالامتناع عن الإنفاق في سبيل الله، بل ويعيبون من ينفق من المسلمين المتطوعين بسخاء في الصدقات، بل والذين يبذلون أقصى جهدهم، فلا يجدون عندهم ما ينفقونه في سبيل الله إلا القليل، وتراهم لا همّ لهم إلا الطعن والهزء والسخرية، فيهزؤون من جميع المتطوعين في الصدقات بالقدر القليل أو الكثير، وخصص الله تعالى المقلّين بعد المكثرين، من قبيل عطف الخاص على العام لأن السخرية منهم كانت أشد وأوقع.

فكان جزاؤهم المحقق أن الله جازاهم على سخريتهم وهزئهم بمثل ذنبهم، حيث صاروا إلى النار، وتعرضوا للعذاب المؤلم الشديد الإيلام»[1].

نلحظ أن المؤلف استطرد بتوضيح الهداية اعتمادًا على التفسير بالمأثور دون أن ينساق خلف تنوع الروايات، فتحجب الهدف الرئيس منها، وهو هداية الناس وإرشادهم.

ولكنَّنا نجد المفسر أحيانًا يقوده شغفه بالعلم إلى استطراد مخلّ وتطويل ممل وخروج عن الموضوع الرئيس فهذا ما لا يرتضيه رواد الاتجاه الهدائي، الذين يرون عدم الخروج عن الغرض الرئيس، فيقتصر على الاستطراد الذي يختص بالعبرة من سياق التفسير[2]، ولا يخفى ما في تلك الاستطرادات الطويلة على جميع أنواعها من أثر سيئ في تشتيت ذهن القارئ، وصرفه عن الهدف الأساس من الهداية القرآنية، كالاستطراد في جمع الروايات، ومكانها علم

---

(١) الزحيلي، التفسير الوسيط (٨٩٤/١).

(٢) ينظر: رضا، تفسير المنار (٣١٠/١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحديث، أو بيان مذاهب علماء النحو في مسألة نحوية، ومكانها كتب النحو، أو الاستطرادات الفلسفية، أو الردود العقيدية، وغيرها.

ومن هذه الاستطرادات الطويلة ما وقع به محمد رشيد رضا، وهو من رواد الاتجاه الهدائي؛ فقد توسع بعد وفاة شيخه بالرواية، وتحقيق المفردات اللغوية، كما تناول المسائل الخلافية بين العلماء، وأكثر من الشواهد، وتحدث عن مسائل تشتد حاجة المسلمين إليها، ونقل مقالات وبحوث[1]، إلى غير ذلك كما سنرى، وهذا بلا شك يلهي القارئ عن مقاصد التفسير.

وهذه أمثلة على استطرادات تتناقض مع الاتجاه الهدائي:

أولا: الاستطرادات الفلسفية الكونية: ومثالها ما ذكره الرازي في بيان أفضلية الملائكة على البشر: «واعلم أن الفلاسفة اتفقوا على أن الأرواح السماوية المسماة بالملائكة أفضل من الأرواح الناطقة البشرية واعتمدوا في هذا الباب على وجوه عقلية نحن نذكرها إن شاء الله تعالى ...»[2]، وقد أطال النفس في التدليل على ذلك بوجوه فلسفية، وهذا فيه ما فيه من تكلف وبعد عن مهمة القرآن الرئيسة من جهة، ومن جهة أخرى فإن تلك النظريات الفلسفية قابلة للنقض والتغيير، وهو ما لا يتناسب بحال مع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

ثانيًا: الاستطرادات العلمية: ومثاله ما قام به محمد رشيد رضا في شرح قول الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فقد تكلم أولا عن نعم الله تعالى على العباد، ومنها نعمة الهواء والرياح؛ ثم استطرد بعد ذلك في تعريف الهواء عند أهل الكيمياء؟ وذكر خصائصه؟ ومم يتكون؟ وأثره على

---

(١) ينظر: رضا، تفسير المنار (١٦/١).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (٤٤٠/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكائنات ومنافعه عليها؟ وتحدث عن طبقة الأوزون، وأثرها، وتناول السموم التي تنتقل عن طريق الهواء، وتكلم عن النيتروجين وأثره، والشموع والمصباح، والكربون، والشمس، وخط الاستواء، والطبيعة الجغرافية، في ست صفحات، كثير منها علمي بحت[1]، وهذا بلا شك خروج عن الاتجاه الهدائي الذي تنصب أهدافه على هداية الناس بلغة سهلة، بعيدة عن العلوم الأخرى المتخصصة.

ثالثًا: الاستطرادات الأدبية: وقد دافع الخطيب عن القصص القرآني باعتراض بعض المتفلسفين، فأطال في ذلك فتحدث عن ظاهرة التكرار القصصي، ثم قال في نهاية المبحث: «وأحسب أننا بعدنا بهذا الاستطراد عن موضوعنا: التكرار في القصص القرآنى؛ ولكنه كان استطرادا لا بدّ منه، ... ثم كانت تلك المعرفة لازمة أيضا لدفع تلك المفتريات التي يفتريها السفهاء والجهلاء من الأعداء والأصدقاء، على القرآن الكريم، .... ورأينا في هذا الردّ على إيجازه ما يخرس تلك الألسنة التي نطقت الزور، وجاءت بهذا البهتان العظيم...»[2].

فعلى المفسر الهدائي أن يلتزم الاستطراد المحمود الذي يقوي الفكرة، ويحفز الناس ويرغبهم في كل خير، وينفرهم من كل شر، وهذا لب الهداية، مع الابتعاد عن كل استطراد زائد لا اثر له في تفسير الآية، ولا يقوي معناها، أو يكشف نواحي الجمال فيها، فالاتجاه الهدائي يخاطب الناس ليقودهم إلى الله تعالى، ويبعدهم عما حذرهم منه، وكفى بذلك ضابطًا.

خامسًا: تأمل الآيات من خلال ربطها بالواقع ومكتشفات العلوم الكونية.

تنوعت معارف المفسرين وأدواتهم قديمًا ليحيطوا بكتاب الله فهمًا لمسائله وإدراكًا لحقائقه،

---

(١) ينظر: تفسير المنار (٨/٤٢٩-٤٣٥)، وانظر أيضًا (٩/٣٠٣)، و(١٠/٣٦).

(٢) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١٠/١١١)، وقد استطرد في موضوع التكرار من (١٠/٩٦-١١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تنوعت أيضًا طرقهم ومناهجهم تبعًا لاختلاف مشاربهم، فمن غلبت عليه النزعة العقائدية أو الفقهية، أو غلبت عليه الرواية أو علوم اللغة تجده يتوسع بما حباه الله تعالى من تلك المعاني المتصلة بتلك العلوم[١]، وفي عصرنا الحاضر ازدادت ثقافة المفسر بما فتحه الله عليه من علوم طبيعية معاصرة، وحقائق علمية غير مسبوقة في عالم الأنفس والآفاق، فضلا عن التكنولوجيا الرقمية، ووسائل الاتصال بين الأمم، والرخاء الاقتصادي والامتداد العمراني، فبات هذا كله معينًا لا ينضب يأخذ منه المفسر الهدائي –دون إسراف– ما يجده من تلميحات قرآنية أشارت لمفاهيم علمية وحقائق كشف عنها الواقع المعاصر، أو على الأقل لا تتعارض معها، وما أضافه المفسرون من تلك الوقائع العلمية لتثبت من جديد بأن القرآن هو دين الله الخالد، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٢].

ومع اختلاف العلماء في مشروعية ربط هذه المكتشفات العلمية بكتاب الله[٣]، لكنني وجدتُ لزامًا أن أدرج تلك المكتشفات في ضوابط المفسر الهدائي؛ لأنها من العلوم الواقعة التي لا يمكن تغافلها، كما أنها لا تتعارض مع كتاب الله، فضلا عما لها من أثر واقعي كبير لا ينكر فضله، وكان الأحرى بالمانعين تلمس ضوابط ناظمة لهذه العلوم المستحدثة بدلا من إنكارها، وهذا ما سأحاول الوقوف عليه، فقد باتت تلك العلوم –شئنا أم أبينا– من ثقافة الباحث، يستقي منها بطريق مباشر أو غير مباشر من المهد إلى اللحد.

---

(١) ينظر: محمود، مناهج المفسرين (ص٨)، والذهبي، التفسير والمفسرون (٣٦٣/٢).

(٢) ينظر: الشرقاوي، أحمد، اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه، بحث محكم بجامعة الأزهر، المجلة العلمية بكلية أصول الدين والدعوة، العدد السابع عشر، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص٢٧٨).

(٣) بين رافض مطلقا، وغال في اعتمدها، والصواب هو القول الوسط الذي لا يبالغ في النفي، ولا يبالغ في الإثبات، ضمن شروط وقواعد منهجية، انظر: القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ (ص٣٧٩) وما بعدها، والرومي، بحوث في أصول التفسير (ص٩٦)، وعباس، التفسير أساسياته واتجاهاته (ص٥٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومهما يكن من اختلاف في وجهات النظر، ولكن لا ينبغي لنا أن نختلف على قضايا جوهرية تتعلق بالعلوم الطبيعية والكونية، وأثرها على تفسير القرآن، ونجمل هذه القضايا بما يلي:

الأولى: مهمة هذه العلوم تنحصر في تعميق دلالة النص؛ فمراحل تشكل الجنين في بطن أمه، والجبال أوتاد، وحركة الكواكب، وغيرها، كنا نفهمها فهمًا إجماليا نظريا كأسلافنا المفسرين، لكن العلم الحديث أبهرنا في رصد هذا الكون بدقائقه، فأنار القلوب والأبصار معًا[١]، ليكشف عن واسع علمه سبحانه، وبالغ حكمته، وعظيم قدرته، وحسن تدبيره.

الثانية: تصحيح بعض معلومات المفسرين القدامى أو ترجيحها؛ فقد فسروا بعض الآيات الكونية على ظاهرها بما يتوافق مع معارفهم[٢]، وبعض التصويبات العلمية لا يعني بحال أن تكون تلك العلوم مهيمنة على التفسير، خاصة بما يعارض تفسير السلف المتعلق بالجانب الشرعي، أما الجانب العلمي فالأمر فيه هين

الثالثة: أبهر انسجام القرآن مع الحقائق العلمية المعاصرة الغربيين بدقة عباراته وعظيم إيحاءاته[٣]، وليس هذا فحسب، بل باتت جميع الاكتشافات العلمية منسجمة مع القرآن الكريم، وكأنهما من مشكاة واحدة، فلا بد والحالة تلك من تفعيل الدعوة إلى الله بتقريب القرآن إلى غير المؤمنين به، خاصة أنّ تنوع تلك الاكتشافات وتعدد مجالاتها تكشف يوما بعد يوم عن صدق

---

(١) ينظر: القرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ (ص٣٨٦) وما بعدها، وشحاته، علوم القرآن (ص١٢٥).

(٢) انظر أمثلة على ذلك، شحاته، علوم القرآن (ص١٢٥)، والقرضاوي، كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟ (ص٣٨٩) وما بعدها.

(٣) ينظر: زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه (ص٣٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إشارات كتاب الله تعالى، وحكمة تشريعاته[1].

الرابعة: الإشارات العلمية في القرآن الكريم حث للعقل البشري على التفكير وتسريح النظر في الآفاق وإجالة العقل لاستكناه حقائقه وأسراره[2]، ونحن وإن كنا لا نحب أن نفقد بريق هذا الإعجاز من جهة، فإننا ندعو أيضًا إلى عدم تحميل القرآن ما لا يحتمل.

وأما موقع الاتجاه الهدائي من هذا كله فهو الإقرار بهذا النوع من التفسير ضمن شروط وقواعد منهجية[3]، فمادام هذا الاتجاه أقر التفسير اللغوي والبلاغي والنحوي ...وغيرها من علوم، فلا مانع من أن يقر بهذا النوع من التفسير شرط أن يكون ملائمًا متناسقا مع السياق، دون إيغال بالنظريات العلمية، بل يقتنص منها ما يقوي دلالة الآية ويوضحها، فالهدف الرئيس هو سوق الهدايات القرآنية بوضوح دون الإسهاب فيما يلهي القارئ عن تلك الهدايات.

وهذه أمثلة لبعض الإشارات التفسيرية العلمية المتوافقة مع الاتجاه الهدائي:

- **المثال الأول:** يقول محمد رشيد رضا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحِجر: ١٩]: «إن هذه الآية هي أكبر مثال للعجب

---

(١) ينظر: شحاته، علوم القرآن (ص١٢٢).

(٢) ينظر: البغا، مصطفى، وديب مستو، محي الدين، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، ودار العلوم الإنسانية، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، (ص١٦١).

(٣) اكتفيت بالإشارة إليها، لأنها باتت من باب تحصيل الحاصل عند علماء الإعجاز العلمي، انظر: شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن (ص٤٧٦) وما بعدها، والرومي، بحوث في أصول التفسير (ص٩٩). وسقا، مرهف، منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، كلية الشريعة بجامعة الشارقة، (١١-١٢) جمادى الأولى ١٤٣١هـ، (٢٥-٢٦) نيسان٢٠١٠م، (ص١٧). وزرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه (ص٣٩٥). وعباس، التفسير أساسياته واتجاهاته (ص٦٢٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بهذا التعبير (موزون)، فإن علماء الكون الأخصائيين في علوم الكيمياء والنبات قد أثبتوا أن العناصر التي يتكون منها النبات مؤلفة من مقادير معينة في كل نوع من أنواعه بدقة غريبة، لا يمكن ضبطها إلا بأدق الموازين المقدرة من أعشار الغرام والمليغرام، وكذلك نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات. أعني أن هذا التعبير –بلفظ (كل) المضاف إلى لفظ (شيء) الذي هو أعم الألفاظ العربية الموصوف بالموزون– تحقيق لمسائل علمية فنية لم يكن شيء منها يخطر ببال بشر قبل هذا العصر، ولا يمكن بيان معناها بالتفصيل إلا بتصنيف كتاب مستقل»[1]، ونلحظ دقة الاستدلال في استخراج الهداية دون تكلف مع اتكائه على العلوم الطبيعية المعاصرة.

– **المثال الثاني:** يستدل ابن باديس بحقائق علمية هادية دالة على الله تعالى حيث يقول: «مسألة تلاقح النباتات بواسطة الرياح التي تنقل مادة التكوين من الذكر إلى الأنثى، جاءت في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، فهذه حقائق علمية كونية، أجمع عليها علماء العصر أنها من المكتشفات الحديثة، ولم تكن معلومة عند أحد من الخلق قبل اكتشافها، ولا كانت عندهم الآلات الموصلة إلى معرفتها، وكفى بهذا القلّ من الكثر دليلاً على أن هذا القرآن ما كان إلاّ من عند الله الذي خلق الأشياء، ويعلم حقائقها»[2].

ولا شك أن ضرب الأمثلة العلمية والتوسع في النظريات، لا يتوافق مع الاتجاه الهدائي حتى لو كان الاستدلال صحيحًا لا تشوبه شائبة؛ لأن مقصود الاتجاه الهدائي إيصال رسالة الله للعالمين، ولا يمكن لها أن تصل للناس كافة على اختلاف مستوياتهم إلا بما تدركه العقول، وسنضرب أمثلة تظهر فيها الإشارات العلمية متكلفة غير متوافقة مع الاتجاه الهدائي:

---

(١) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (١/١٧٧)، وقد ضرب عدة أمثلة في نفس الصفحة.

(٢) تفسير ابن باديس (ص٢٩٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المثال الأول:** يفرق المراغي بين الاختراعات ومعجزات الأنبياء، وذلك عند تفسيره ما وقع لعيسى عليه السلام من معجزات، وذلك عند قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فقال: «كل الاختراعات العلمية تبنى على السنن الطبيعية، وكلها مبنية على قواعد علمية لا تتغير، ... وكل ما يظهر مدهشا في نتيجته من المخترعات مثل الكهرباء والتليفون والراديو وما سيظهر هو من الاستعانة بهذه القواعد ...، أما المعجزة فهى أن تضع الإنسان كما هو جسما ولحما في النار فلا يحترق، فيكون عدم احتراقه حينئذ هو المعجزة، وهى خرق للسنة الطبيعية التي تقضى باحتراق الجسم متى وضع في النار...»[(١)]، إلى آخر ما قال، وهو يصلح مقال علمي لا تفسير لآية؛ لأنه استطراد يعيق وصول الهداية القرآنية المقصودة.

- **المثال الثاني:** والأمثلة من تفسير الجواهر كثيرة، فقد أغرق في المسائل العلمية، وأقحمها دون دلالة واضحة؛ فتكلم عن الفحم الحجري وأنواعه عند تفسيره لبدايات سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١]، حيث يقول: «والخلاصة إن دخان الفحم الحجري المضغوط ...، إذا وضع في بطارية، وقرن بقطعة من الزنك، وجيء معها بماء مذاب فيه ملح النوشادر، فإن الله عز وجل يولد بين تلك الأشياء الآنفة كهرباء»[(٢)]، ثم تناول معنى الكهرباء ...، وهذا في

---

(١) تفسير المراغي (٣/١٦١-١٦٤).

(٢) ينظر: طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٤هـ، (٤/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة مكانه الكتب العلمية، لا رسالة الله الخالدة للبشرية جمعاء.

وعليه فإن التفسير العلمي للقرآن الكريم هو نوع من أنواع التفاسير المقبولة عند أصحاب الاتجاه الهدائي، إن حافظت على نسق الهداية وأسلوبها، وابتعدت عن التكلف، وإدخال كتاب الله في النظريات العلمية التي لا مكان لها في تفسير كتاب الله تعالى.

إنَّ هذه القواعد من عمل المفسر الهدائي التي ينبغي أن يستحضرها لتغدو الهدايات المستنبطة على وفق مقاصد الشريعة هذا من جهة، وتحقق مضامين الاتجاه الهدائي من جهة أخرى، والمفسر الهدائي يستقرئ كتاب الله ليهتدي بنور إرشاداته ويسقطها على واقع الأمة ومشاكلها محاولًا تسليط أضواء قرآنية عليها، فيخرجهم من ظلمات الجهل والتردد إلى نور العلم واليقين، فيغدو القرآن وآثاره –كما كان أبدًا– واقعًا معاشًا في حياة الناس في كل وقت، فنشاهد أثره في قلوبهم صفاء وخشوعًا وعلى جوارحهم خضوعًا وانقيادًا للحق مع استقامة عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الضوابط الناظمة لطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية في الاتجاه الهدائي

ينبغي على المفسر الهدائي النظر لطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية الموصلة إلى مقاصد الشريعة، فينتقي لها أدق العبارات وأكثرها وقعًا في النفوس لما لها من أثر فاعل في نفوس المدعوين، وفيما يلي بعض تلك الطرائق:

أولا: تحديد الهداية الكلية والجزئية والتفرقة بينها.

مما لا شك فيه أنَّ الآيات تشتمل على معان جزئية، تتكامل لتكون صورًا كلية، فتكشف عن الوحدة الموضوعية لدقائق إعجاز الأسلوب القرآني، يقول دراز: «السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضعية بين جُزءٍ جُزءٍ منه –وهي تلك الصلات المبثوثة في مثاني الآيات ومقاطعها– إلا بعد أن يُحكِم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة»[1].

وقد أشار إلى هذا العلم القدماء كأبي بكر النيسابوري، وفخر الدين الرازي، وأبي بكر بن العربي، وبرهان الدين البقاعي، وأبي إسحاق الشاطبي وغيرهم[2].

ومن تأمل في بعض التفاسير أو دراسات التفسير الموضوعي، يجدها تقف على مقاصد القرآن الكبرى وهداياته في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، ومنها الجمع بين مصالح

---

(١) دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم (ص١٩٢).

(٢) ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (١٠٦/٧)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣٧٦/٣)، ورشواني، سامر، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، دار الملتقي، حلب، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م. (ص٣٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البشر في العاجلة والآجلة، وتنظيم علاقة الإنسان بربه تعالى، وعلاقته بالكون، والموازنة بين مطالب الروح والجسد، وغيرها[١]، ثم تجد المفسرين يقفون على تفاصيل تلك المقاصد وجزئياتها[٢]، يقول سعيد حوى رادًّا على شبه المستشرقين ومن سار سيرهم بأنه لا يجمع آيات القرآن أو سوره جامع: «لقد أقمت على هذا الاتجاه الذي اتجهته في موضوع الوحدة القرآنية من الحجج الكثير، بحيث لا يرتاب عالم منصف بعد الاطلاع عليها بأن اتجاهي في ذلك كان صحيحا. ولكني تعمدت ألا أذكر حججي كلها في مكان واحد بل وزعتها في الكتاب كله عندما تأتي مناسبتها، ولولا ذلك لاقتضى إبراز كل الحجج مجلدا كاملا من مجلدات هذا التفسير»[٣].

ويعد عمود السورة كما يراه الفراهي هو جوهر البحث في الوحدة الموضوعية، لذا ينبغي التدقيق فيه، فبه تنتظم جزئيات السورة في بوتقة واحدة متناسقة، وهي من أصعب مراحل التفسير الموضوعي لما يحتاجه من تأمل ونظر[٤]، يقول محمد دراز: «والواقع أنه قد يصعب في بعض السور التمييز بين الفكرة الرئيسة أو الأفكار الثانوية، أو اكتشاف العلاقة بين هذه الأفكار بعضها ببعض أو بينها وبين النواة المركزية للسورة»[٥]، «ولا يتهيأ لمن أراد فهمه والوقوف على أسراره، واستخلاص أحكام الشريعة الجزئية، وقواعدها الكلية، ومقاصدها العامة،

---

(١) ينظر: الألمعي، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ص٥٣).

(٢) وقد حدد شحاته في مقاصد السور في القرآن الكريم في كتابه (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

(٣) ينظر: حوّى، الأساس في التفسير (٢٨/١).

(٤) ينظر: الفراهي، دلائل النظام (ص٧٧) وما بعدها، ورشواني، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية (ص٣٤٧).

(٥) ينظر: دراز، محمد، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، ترجمة: محمد عبد العظيم، مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، (ص١٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا بأن يجعله موضوع درسه ونظره، وأن يتدبر آياته، ويطيل النظر في معانيه، ويشد الرحال في اقتناص إشاراته وإدراك تلويحاته»[1]، وقبل ذلك كله إخلاص النية لله تعالى، فهي خير معين للمرء.

ويرى الفراهي –رحمه الله– أن القرآن نفسه يهديك إلى نظامه بأساليب متنوعة؛ ففي الآية الواحدة ربما جمعت أفكارًا مختلفة، لكن مع أدنى تأمل تجدها منتظمة متناسقة، ومثلها مجموعة الآيات ستجدها تنتظم في وحدة واحدة، وكذلك ربط الكلمات بعضها ببعض؛ فقد قرن القرآن بين الصلاة والزكاة، وبين الصلاة والصبر أو الجهاد، وبين الصيام والتقوى، وهكذا، وهذا يدلك على النظام ومواضع الحكمة، أضف إلى ذلك ذكر بعض الأمور الظاهرة في موضع وتفصيلها في موضع آخر، فيمكن الوقوف على عمود السورة من خلال الموازنة بينها[2]، وهذا يدل –فيما يبدو لي– على دقة الفراهي رحمه الله، وتفننه في تحديد المحور الرئيس في السورة.

مثال ذلك: سورة الأنفال محورها الرئيسي هو: الجهاد في سبيل الله، وعناصرها الفرعية تصب كلها في الجهاد ومتعلقاته، وهي:

- أحداث قصة بدر، وما اختلاف المسلمين حول الغنائم.
- بيان أسباب النصر والهزيمة.
- علاقة المسلمين بغيرهم سلمًا وحربًا[3].

---

(١) ينظر: أبو عاصي، محمد سالم، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، (ص١٣٣).

(٢) ينظر: الفراهي، دلائل النظام (ص٢٨).

(٣) ينظر: الذيابي، بدر، التناسق الموضوعي في سورة الأنفال، رسالة ماجستير، إشراف: طه عابدين طه حمد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، للعام الدراسي ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، (ص٨٤) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجمل سعيد حوى مضامين هذه السورة، فقد تضمنت: «دستور السلم والحرب والغنائم والأسرى، والمعاهدات والمواثيق، وعوامل النصر وعوامل الهزيمة كلها مصنوعة في أسلوب التوجيه المربي، الذي ينشئ التصور الاعتقادي ويجعله هو المحرك الأول والأكبر في النشاط الإنساني».

ولا شك بأن دراسة السورة من منطلق تحديد الكليات والجزئيات، يسهل على المفسر استخلاص الهاديات المتنوعة، وصياغتها بشكل متناسق أقرب ما يكون للنفس القرآني الفريد، الذي يصنع الرجال روحيا وماديا، فضلا عن الدقة في صياغة الهدايات القرآنية.

وعليه، فعلى المفسر الهدائي أن يُحكم الجزئيات ليصل إلى استخلاص الكليات، كي يصوغها صياغة معبرة دالة على الهدايات.

ثانيا: الاعتماد على دلالات الألفاظ ومقتضياتها.

ينبغي على المفسر مراعاة دلالة المطابقة والتضمن والالتزام عند استخراج الهداية(١).

يراعى عند استخراج الهداية مراعاة ما دلَّت عليه ألفاظ الآية مطابقة، وما دخل في ضمنها من لوازم تلك المعاني، وما لا تحصل بدونها، وما يقتضيه النص اقتضاء، وما يشترط له

---

(١) وقد ضرب العلماء مثالا للتفريق بين مفهوم التضمن والمطابقة والالتزام، فقالوا: المطابقة: كدلالة لفظ (البيت) على معنى البيت. والتضمن: كدلالته على السقف، واللزوم: كدلالة لفظ (السقف) على الحائط؛ لأنه لا ينفك عنه، فهو كالرفيق الملازم. ومثاله من كتاب الله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨] فإذا فهمت أن الله أمر بأداء الأمانات إلى أهلها: استدللت بذلك على وجوب حفظ الأمانات، وعدم إضاعتها أو التفريط والتعدي فيها، وأنه لا يتم الأداء لأهلها إلا بذلك. ينظر: الغزالي، المستصفى (ص٢٥)، وابن قدامة، روضة الناظر (٧١/١)، والسعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من معنى، وما يترتب عليها، وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرج في اللفظ على ذكرها[١].

ويذكر ابن تيمية رحمه الله قيدًا مهمًا لا غنى عنه للمفسر الهدائي ؛ فاللفظ قد يفهم على مراد المتكلم وعلى مراد غيره؛ لذلك ينبغي أن نفهم اللفظ على: «مراد المتكلم ومقصوده بلفظه»[٢]، وهذا يرد على من فسر كتاب الله بشطحات بعيدة محتجًّا بالمطابقة والتضمن والالتزام دون العودة إلى قصد المتكلم -وهو رب العالمين- ومراده باللفظ، «فجميع آيات القرآن، أو الكثير منها، دالة بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين، ومعرفة الله، ومعرفة أحكام الله»[٣].

يقول الشيخ ابن سعدي في شرح هذه القاعدة، وهي: «تستدعي قوة فكر، وحسن تدبر، وصحة قصد، .... والطريق إلى سلوك هذا الأصل النافع: أن تفهم ما دل عليه اللفظ من المعاني فإذا فهمتها فهماً جيداً، ففكر في الأمور التي تتوقف عليها، ولا تحصل بدونها، وما يشترط لها، وكذلك فكر فيما يترتب عليها، وما يتفرع عنها، وينبني عليها، ... فإن القرآن حق، ولازم الحق حق، وما يتوقف على الحق حق، وما يتفرع عن الحق حق، ذلك كله حق ولابد»[٤].

وعليه فلا ينبغي للمفسر أن يخرج التفسير عن دلالات الألفاظ ومقتضياتها مع مراعاة قصد المتكلم، فدلالات الألفاظ تعني أن يُراعى ما دلَّت عليه ألفاظ الآية مطابقة، وما دخل في ضمنها من لوازم تلك المعاني، وما لا تحصل بدونها، وما يقتضيه النص اقتضاء، وما يشترط له

---

(١) ينظر: السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص٣٣). وطه وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٦٢١/٢).

(٢) ينظر: ابن تيمية، أحمد، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، (٤٥٣/٥).

(٣) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل (٣٥٣/٤).

(٤) ينظر: السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من معنى، وما يترتب عليها، وما تستدعيه من المعاني التي لم يعرج في اللفظ على ذكرها[1].

وهذا كله ينقض أي تفسير للقرآن، لا ينطلق من هذه القاعدة، فمع تقدم العلم الحديث، بقيت دلالات القرآن وإشاراته، ولوازمه، وما تضمنه من معان حقًا، لا مرية فيه، وهذا مثال على التزام هذه القاعدة عند العلماء:

- يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، فاسم «الخالق» من أسماء الله؛ دال على ذاته سبحانه، وعلى صفة الخلق: دلالة مطابقة؛ ويدل على الذات وحدها، أو على الخلق وحده: دلالة تضمن؛ ودلالته على العلم، والقدرة: دلالة التزام؛ فلا يمكن أن يكون خالقاً إلا أن يكون عالماً قادراً؛ لذلك قال سبحانه: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا﴾؛ لأنه لا يخلق إلا من يقدر ويعلم، لذلك ذكر سبحانه وتعالى العلم، والقدرة بعد أن ذكر أنه خلق[2].

وهذا مثال آخر على من خالفها من الفرق الضالة:

ففي تفسير الرافضة لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، «هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا

---

(١) ينظر: طه وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٦٢١/٢)، والحربي، قواعد الترجيح عند المفسرين (٣٤٩/٢).

(٢) ينظر: ابن عثيمين محمد، تفسير الفاتحة والبقرة، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، (١٦٥/٣)، وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المحقق: إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠ه، (ص٣٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤]، فهو أمير المؤمنين في أم الكتاب»[١].

وهذا التفسير لا يتضمن أيَّ دلالة من دلالات المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام، بل مناقض لإجماع الأمة،

ثالثًا: تحديد أنواع الهدايات تعين على إصابة المعنى ودقة الوصف.

فالقرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة لإصلاح البشر سواء أكانت عقدية أم شرعية أم سلوكية أم أسلوبية وغيرها، فالهداية العقدية هي طريق إلى إرشاد الخلق إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه، وإرشادهم إلى الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر، كما اشتمل على هدايات لإصلاح العبادات عن طريق إرشاد الخلق إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح، كالعبادات البدنية واللسانية والقلبية؛ كالصلاة والصيام الحج والذكر وصلاح النية، كما اشتمل على هدايات أخلاقية سلوكية لإصلاحها عن طريق إرشاد العباد معاليها، وتنفيرهم من رذائلها، كالعفو والصبر والحلم وغيرها، كما اشتمل أيضًا على هدايات في مجال المعاملات؛ لإصلاح المجتمع عن طريق تحريم الربا، وأكل مال اليتيم، وتطفيف الميزان وغيرها[٢].

كما أنَّ الهدايات تنقسم إلى أنواع متعددة، كذلك الوصول إليها أحياناً ينتهج أساليب خاصة في كل هداية، فبعض الهدايات يجليها الأثر الصحيح، أو المعنى اللغوي أو سبب النزول، أو الحكم الفقهي، أو القرينة المصاحبة في السياق، فمعرفة المفسر لنوع الهداية والطريقة التي يتوصل بها إلى فهمها يعينه –بلا ريب– على إصابة المعنى ودقة الوصف دون تكلف أو تعقيد،

---

(١) ينظر: القمي، علي بن إبراهيم، مؤسسة الإمام المهدي، إيران، ط١، ١٤٣٥هـ، (٥٣/١).

(٢) وانظر أقوال العلماء على ما يحتويه القرآن من علوم عند: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (١٤٠/٤)، والزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٥٢/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذا المعنى يقول الدريني: «إن من القرآن الكريم ما لا يمكن تحقيق معناه، أو إدراك أبعاد كليه، أو تفصيل مجمله، أو كيفية أداء تكاليفه على الوجه المراد منه إلا توقيفًا ووحيًا، بما اختص به الله تعالى رسوله ببيانه، ولم يتركه لتعدد النظر الاجتهادي التفسيري»[١].

وعلى هذا فإنَّ المفسر الهدائي يدقق النظر في نوع الهداية ليصوغها صياغة واضحة لا لبس فيها، ويستجلي معناها من أقرب الطرق وأصحها ليتوصل بها إلى الهداية القرآنية، فيحتج بها على الوجه الأمثل دون إسهاب يحجبه عما تتضمنه من هداية وإرشاد.

رابعا: صياغة الهداية بلغة سهلة معبرة مؤثرة.

ينبغي أن تجمع صياغة الهداية بين فصاحة اللفظ ودقة المعنى، لا خفاء فيها ولا غموض، يقول الزرقاني: «وأما وضوح هذه الهداية فلعرضها عرضًا رائعًا مؤثرًا، توافرت فيه كل وسائل الإيضاح وعوامل الإقناع؛ أسلوب فذ معجز في بلاغته وبيانه، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق»[٢]، ولمَّا كانت هذه الهدايات هي رسالة الله إلى الخلق؛ تشمل عربهم وعجمهم وإنسهم وجنهم، كان لا بد أن تكون واضحة كلغة القرآن مثلًا بمثل؛ فقد أنزلها الله سبحانه وتعالى بلسان عربي مبين تبيانًا لكل شيء؛ فالقرآن مبارك «يعم نواحي الخير كلها؛ لأن البركة زيادة الخير، فالقرآن كله خير من جهة بلاغة ألفاظه وحسنها وسرعة حفظه وسهولة تلاوته، وهو أيضًا خير لما اشتمل عليه من أفنان الكلام والحكمة والشريعة واللطائف البلاغية»[٣].

ومن جهة أخرى فالقرآن هداية للنفوس الظمأى لنور الله سبحانه وتعالى، وتعقيد اللفظ،

---

(١) الدريني، دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، من مقدمة الكتاب.

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (١٢٥/٢).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩٠/١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغموض المعنى، وصعوبة الألفاظ، كلها عوامل تحجب الهداية، فـ«فائدة التفسير هي التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة»[1].

والحاصل أنَّ طرائق التعبير متعددة ومتنوعة، وجب أن ينتقي المفسر الهدائي منها أكثرها وضوحًا، وأدقها عبارة، وأفصحها لفظًا، فهو مبلغ عن رب الكون سبحانه وتعالى، وجنته التي هي مبتغى كل ساع للصراط المستقيم.

---

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (٩/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أنواع الهدايات القرآنية ومجالاتها، وأساليب عرضها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد.

المبحث الأول : أنواع الهدايات القرآنية.

المبحث الثاني : مجالات الهدايات القرآنية.

المبحث الثالث : أساليب القرآن الكريم في عرض الهدايات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

يمكن النظر للهدايات من عدة زوايا: أنواعها ومجالاتها وأساليبها، فنقسمها طلبا للدراسة حسب زاوية النظر إليها، فمن حيث أنواعها تنقسم إلى هدايات دنيوية وهدايات أخروية، وأما مجالاتها فبعضها يتعلق بالعقيدة، وآخر يتعلق بالعبادة، وهدايات تتعلق بالمعاملات، وأخرى بالأخلاق والسلوك، وهدايات لها تعلق بالعلوم الطبيعية والكونية، أما الأساليب التي تتعلق بالهدايات فهي كثيرة، وانتقيت منها: أسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب التحدي والإعجاز، ... وغيرها، وسأتناول هذه التقسيمات في المباحث الثلاثة الآتية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

أنواع الهدايات القرآنية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : الهداية المتعلقة بالحياة الدنيا.

المطلب الثاني : الهداية المتعلقة بالحياة الآخرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الهداية المتعلقة بالحياة الدنيا

تنقسم الهداية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم باعتبار تعلقها بالدنيا أو الآخرة إلى نوعين، أولهما متعلق بشؤون الحياة الدنيا، والآخر متعلق بشؤون الحياة الآخرة.

ولما كان القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم المنزل على خاتم الأنبياء المرسلين، كان لا بد له أن يحتوي على الهدايات المتنوعة للأمة جمعاء حتى قيام الساعة، لذلك امتازت تلك الهدايات بخصال تضمن لها أن تؤدي رسالتها على الوجه الأمثل، وقد امتازت الهدايات القرآنية بأن[1]:

- الهدايات عامة، فأما عمومها؛ فلأنها تنتظم الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان. فأما الإنس فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وأما الجن فقوله سبحانه: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣١-٣٢].

- هدايات تامة، وأما تمامها؛ فلأنها احتوت أرقى وأوفى ما عرفت البشرية، فانتظم في عقدها كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها، وصدق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) ينظر: سبتان، محمد حسن محمد، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د.ط، د.ت. (ص٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– هدايات واضحة؛ وأما وضوحها فهو كلام الله جل شأنه المعجز في بلاغته، والمعجز في تشريعاته، ينبهر به ذوي الألباب، ويعجز عن محاكاته أهل الزيغ والعناد.

– تنوع أساليب العرض؛ «وقد جاءت هذه الهدايات والدعوة إليها بأساليب متنوعة، فمن مخاطبة للفطرة الإنسانية، ومن استدلال بواقع الأشياء المحسوسة، إلى مجادلة عقلية، إلى تذكير بعاقبة الأمم السابقة...»[(١)].

ويرى البيضاوي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أنَّ هداية الله تعالى تتنوع أنواعاً لا يحصيها عد[(٢)]، ولكن حصرها العلماء في القرآن الكريم على ثلاثة وجوه، وكلها تتعلق بالحياة الدنيا[(٣)]:

الوجه الأول: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، وقد عمَّت كل مكلّف، فأعطاه الله جل شأنه العقل وبعث له الرسل وأنزل الكتب ووفقه للنظر في الآفاق والأنفس... وغيره، يقول تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: هداه لجلب ما ينفع ودفع ما يضر، فهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا محكمة الصنعة، ومن تأمل بعض هدايته في العالم شهد له بأنَّه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم[(٤)]، فالفطرة المركوزة في النفس لو تركت لاختارت الإيمان على الكفر، يقول ابن تيمية: «في الفطرة قوة يميل بها إلى المعرفة

---

(١) ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص١٥٧).

(٢) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٠/١).

(٣) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في ألفاظ القرآن، (ص٨٣٥)، وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ). بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. (٣٥/٢)، والطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٦٢/٢)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٣١٢/٥).

(٤) ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسيره (٦٩٤/٢)، وابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (٣٥/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإيمان، كما في البدن السليم قوة يحب بها الأغذية النافعة، وبهذا كانت محمودة، وذم من أفسدها»[١].

ويبين ابن القيم رحمه الله سعة هذه الهداية وشمولها لما لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى، فأعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، ومنها على سبيل المثال:

– هداية الحيوان كله –ناطقه وبهيمه طيره ودوابه فصيحه وأعجمه– إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ولكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختلفت أنواعها وصورها[٢].

– كل عضو له هداية تليق به؛ فهدى الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له[٣].

الوجه الثاني: هداية البيان والدلالة من الله لخلقه على ألسنة أنبيائه وتعاليم كتبه، وهذه الهداية تنسب تارة إلى الله عز وجل أو إلى كتابه المبين، وتارة أخرى إلى النبيّ عليه السّلام[٤]، وهي لا تستلزم الهدى التام، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾

---

(١) ينظر: ابن تيمية، أحمد، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م. (٤٤٦/٨). وابن قيم الجوزية، محمد، أحكام أهل الذمة، المحقق: يوسف البكري وشاكر العاروري، رمادى للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م. (١٠٦٣/٢).

(٢) ينظر: ابن قيم الجوزية، ابن قيم الجوزية، محمد، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المحقق: علي بن محمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، (٧٧٥/٢)، وابن قيم الجوزية، محمد، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، (ص٦٦) وما بعدها.

(٣) ينظر: ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (٣٥/٢-٣٦)، والصواعق المرسلة (٧٧٥/٢)، وشفاء العليل (ص٦٦).

(٤) ينظر: القاسمي، محاسن التأويل (٢٣١/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[فصلت: ١٧]، أي: أرشدناهم ودللناهم لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك فلم يهتدوا، والدعاة المصلحون عاجزون عن تقديم الهدايات كافة عدا هداية البيان، لكنهم مطالبون بدعوة الناس إلى مشاعل الخير والنور(١).

وقد حمل هداية البيان بعد موته صلى الله عليه وسلم صحابته رضوان الله عليهم، ثم العلماء من بعدهم، وهو «من حق القرآن على كل مسلم أن يبلغ دعوة الإيمان بالقرآن إلى العالم امتثالا للواجب، وعملا بالفريضة: فريضة الدعوة إلى الله التي جاء بها كتاب الله، والتي حمّلها القرآن للمسلمين عامة وللعرب خاصة، وجعل بها عزّهم وشرفهم، واحترامهم في العالم: قال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٤٤]»(٢).

ويدخل في ذلك تسخير السماوات والأرض، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]. فما سخره للإنسان من كونيات سماوية أو أرضية غرضها هداية الخلق ودلالتهم على توحيد الخالق وأحقيته بالعباده، يقول مصطفى مسلم: «إن سنة الله سبحانه وتعالى في الكون أن خلق المخلوقات ووفر لها نظم حياتها ووسائل معايشها، وسخر بعضهم لبعض، ووضع في الكون طاقات وقوى ورسم سبل الهداية إليها»(٣).

الوجه الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي تختصّ بمن اهتدى، وهي تستلزم الاهتداء، فلا يُتخلَّف عنها، ومنها قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، «وكلّ هداية ذكر الله

---

(١) ينظر: القصاب، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام (٤١١/١).

(٢) ينظر: عتر، علوم القرآن الكريم (ص٢٩٠).

(٣) ينظر: مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص٢٣٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عزّ وجلّ أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التّوفيق الذي يختصّ به المهتدون»[1]، فهذه الهداية هي هبة الله وتوفيقه، يؤتيها من يشاء، فهي للعبد المؤمن دليل كرامة لوقوعها عليه، وهي دليل مهانة لمن حرم منها.

ويدخل فيها هداية الله سبحانه الخاصة لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الآلوسي في شرح قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، «وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين، وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس أجمعين»[2].

ولمَّا كانت هداية التوفيق بيد الله وحده، ولا يُتحصَّل ما عند الله إلا بالدعاء[3]، لذا كان دعاء المؤمنين في صلواتهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، يقول ابن كثير: «إن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله؛ فإنّه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار»[4].

وعليه يجب على الداعية معرفة هذه الهدايات الدنيوية للعبد ليعرف واجباته التي وكلت إليه من طلب الهداية لنفسه أولا ثم هداية غيره إلى صراط الله المستقيم.

---

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص٨٣٦). وابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد (٣٧/٢)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٣١٤/٥)، ورضا، تفسير المنار (٥٤/١).

(٢) ينظر: الآلوسي، روح المعاني (٤٠٦/١٠).

(٣) ينظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٣١٤/٥).

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٣٩/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

الهداية المتعلقة بالحياة الآخرة

ذكرنا فيما مضى الهدايات المتعلقة بالحياة الدنيا، وأما التي تتعلق بالآخرة فهي هداية واحدة؛ وهي الهداية إلى ثواب الآخرة؛ وهي الجنَّة إذا سيق أهلها إليها أو النار إذا سيق أصحابها إليها، يقول أهل الجنَّة بعد أن يأخذوا منازلهم في الجنة، وما أعده الله لهم فيها: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَاۖ وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، يقول ابن القيم: «فيحتمل أن يكونوا أرادوا الهداية إلى طريق الجنة وأن يكونوا أرادوا الهداية في الدنيا التي أوصلتهم إلى دار النعيم، ولو قيل: إن كلا الأمرين مراد لهم؛ وأنهم حمدوا الله على هدايته لهم في الدنيا، وهدايتهم إلى طريق الجنة كان أحسن وأبلغ»[(١)]، ومثله قوله تعالى: ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ [محمد: ٥]، وهذه الهداية لا تكون للكافر[(٢)]، وتستعمل في الخير، وأما قوله تعالى: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، فهو وارد على سبيل التهكم[(٣)].

وقد ذكر الراغب الأصفهاني وغيره، أن هداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه؛ الأول: الهداية التي عمّت بجنسها كل مُكلف؛ والثاني: الهداية بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء

---

(١) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت. (٨٤/١).

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، تفسيره (٥٥٧/١).

(٣) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٠/١)، والشربيني، محمد، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥هـ. (١١/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنزال الكتب، والثالث: هداية التوفيق التي يُخصّ بها من اهتدى، الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة، وهذه الهدايات سواء منها ما تعلق بالحياة الدنيا أو بالحياة الآخرة، فهي مترتبة على بعضها بعض؛ فمن لم تحصل له الأولى فلن تحصل له الثانية، بل لا يصحّ تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرّابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللّذان قبله هذا من جهة، ومن جهة أخرى فبعض هذه الهدايات مختصَّة بالله لا يقدر عليها بشر كالهداية الأولى والثالثة والرابعة، لذا يقول سبحانه مخاطبًا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، فمهمة الأنبياء تنحصر في الهداية الثانية، وهي هداية البيان لتوضيح معالم طريق الخير والشر، يقول تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].[١]

إن الهدى والإضلال بيد الله تعالى، ولا يملك العباد من ذلك شيئاً، والله تعالى يمنحها من طلبها بإخلاص، وأخذ بأسبابها الموصلة إليها، وأسباب الهداية مقدور عليها؛ فمن أخذ بها كان من المهتدين، ومن أعرض عنها فتصيبه الغواية والضلال، وهذا من فعل العبد وكسبه، فالهداية والإضلال فعل الله، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه[٢].

---

(١) ينظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص٨٣٦)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز (٣١٤/٥).

(٢) ينظر: الشيخ، ناصر بن علي. مباحث العقيدة في سورة الزمر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م. (ص٥٤٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

مجالات الهدايات القرآنية

وفيه تمهيد وخمسة مطالب:

تمهيد

المطلب الأول : هدايات في العقيدة.

المطلب الثاني : هدايات في العبادة.

المطلب الثالث : هدايات في المعاملات.

المطلب الرابع : هدايات في الأخلاق والسلوك.

المطلب الخامس : هدايات العلوم الطبيعية والكونية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

تعد هداية العباد من مقاصد القرآن الرئيسة؛ فقد اشتمل في مجال العقيدة على عبادة الله وحده وترك سواه، واشتمل في مجال العبادات على عبادات بدنية ولسانية وقلبية؛ كما اشتمل على هدايات أخلاقية سلوكية وهدايات في مجال المعاملات، وسأتناول في هذا المبحث تلك المجالات وأثرها في إصلاح البشرية والله الموفق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

هدايات في العقيدة

أتى القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر لإصلاح البشرية، لا يدانيه في ذلك ما سبقه من ديانات أهل الكتاب أو قانون أرضي جاهلي، ويتجلى ذلك في مقاصده النبيلة التي رامها القرآن.

ومن هذه الهدايات تصحيح عقيدة الإنسان عن طريق إرشاده إلى حقائق الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وإثبات الأسماء الحسنى والصفات العليا لله سبحانه المتفرد بها، والإيمان بوجود الملائكة جملة، وما ثبت من أوصافهم تفصيلًا في القرآن والسنة، ونفي ما نفاه عنهم من ادعاءات المشركين، والإيمان بالرسل، والكتب السماوية التي أنزلت عليهم، والإيمان بأن القرآن ناسخ لها ومهيمن عليها، ومن الهدايات العقدية أيضًا الإيمان باليوم الآخر وما يتبعه من عذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار، والعرض والحساب، الميزان، مما ثبت في الكتاب والسنة، والإيمان بالقدر، فهذه بعض الهدايات العقدية المجملة التي ورد تفصيلها في الكتاب والسنة، فوجب الإيمان بها.

وقد سلك القرآن أساليب عدة في بيان الهدايات العقدية، ومن هذه الأساليب:

١- محاورة العقل بالحجة القاطعة والأدلة الدامغة على وجود الله الخالق المدبر لهذا الكون[١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(١) ينظر: الشيخ، ناصر، مباحث العقيدة في سورة الزمر، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (ص٣٦١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- الإرشاد الصريح المباشر للخلق إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سواه، ومن ذلك إرشادهم إلى الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر(١)، فرسالة القرآن هي دعوة لتوحيد الله وبيان لطريق الأنبياء في سبيل تحقيق العبادة لله وحده، وبيان جزاء المؤمنين، وتحذير من سبيل المشركين، وبيان جزائهم(٢).

٣- النهي عن الشرك بأساليب متنوعة؛ من النهي المباشر الصريح، وضرب الأمثال، والحوار بإبطال حجج المشركين، والترغيب والترهيب، والسؤال والجواب، ... وغيرها(٣)، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

٤- سرد قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم وما لاقوه في سبيل هذه الدعوة، والأمر بالاقتداء بهم(٤)، يقول جل شأنه مخاطبًا نبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٥- سرد قصص المهتدين من أهل الإيمان، وثباتهم على العقيدة الصحيحة المنافية للكفر أو الشرك، يقول الله تعالى في مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ

---

(١) ينظر: طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (١٦٨/١) وما بعدها.

(٢) ينظر: ابن أبي العز الحنفي، محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨هـ. (٤٢/١).

(٣) ينظر: الرحيلي، حمود، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م (٤٢٦/١) وما بعدها.

(٤) ينظر: الغامدي، محمد، حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م (ص٢٤٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَنَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨]، وقال في أصحاب الكهف: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ [الكهف: ١٣]، وقال في أصحاب الأخود: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج: ٤].

٦- تعجيز آلهة المشركين، وتسفيه آرائهم على ما يعبدون من دون الله، وبيان مآلاتهم مع معبوداتهم يوم القيامة، والأمثلة على ذلك كثيرة[1]، منها قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧].

ونخلص بأنّ للقرآن الكريم أساليب متنوعة في تقرير العقيدة وإثباتها، وكيف لا تكون، وما خلق السماوات والأرض إلا لغاية عبادة الله وحده، لا ند له ولا مثيل.

---

(١) ينظر: الفوزان، صالح، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الناشر: دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (ص٤٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

هدايات في العبادة

اشتملت الهدايات القرآنية في جانب العبادات على أصول العبادات إجمالا وتفصيلا، فالعبادات غاية الخَلْق الإنساني، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ وهذه العبادات سواء القلبية منها أو المالية أو البدنية[١]، تصل المؤمن بربه جل شأنه؛ فلكل منها مقاصد معينة تتحقق بها العبودية التامة لله عز وجل[٢]، ولذلك فإنَّ استخلاصها سبيل لتزكية العبد وهدايته، فتعود عليه بالتذكر والاعتبار ليفوز الأفراد والمجاميع بخير العاجلة والآجلة[٣].

والعبادات مهما تعددت مجالاتها، وتباينت شعائرها، لا بد أن تسلك بشرطين: إخلاص النية لله لقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البيِّنة: ٥]، وأن تكون وفق ما شرعه الله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، يقول ابن كثير: «وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، ... فمن فقد العمل بأحد هذين الشرطين فسد؛ فمن فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالا جاهلا»[٤].

وقد تبيّن هدف القرآن في تحصيل الهدايات في الجانب التعبدي من خلال عدة وسائل تقود إلى تلك الهدايات، ومن هذه الأساليب[٥]:

---

(١) ومن أنواع العبادة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصلة الرحم، والصدقة، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود، والذكر، والدعاء، والتوكل، والاستغفار، والصبر، والشكر، والمحبة، والرجاء، ... وغير ذلك.

(٢) ينظر: زيدان، عبدالكريم، أصول الدعوة، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. (ص٤٤).

(٣) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن (٩/٢).

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٢٢/٢).

(٥) ينظر: طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (١٩٦/١) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- ربط الهداية التعبدية بعون الله وتوفيقه، يقول تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

٢- صرف العبادة لله وحده، يقول تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

٣- بيان وجوب الإعراض عن كل ما صرف لغيره سبحانه من عبادات باطلة ظالمة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٤- بيان أن العبادة سبيل للجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، والمعرض عنها سبيله إلى النار، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٥- بيان أن طريق العبادة لغير الله تعالى ضلال، ورد في معرض الذم والحسرة، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

٦- ربط الجانب التعبدي بالجانب السلوكي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٧- الإرشاد على التمسك بالعبادة والدربة عليها، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

٨- بيان أن التمسك بالعبادات نهج الأنبياء، قال تعالى في بيان حال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢].

٩- العبادة طريق للتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

١٠- بيان أثر العبادات على المؤمن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، كما أنّ أثرها على المُعرض عنها الشقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

والحاصل فإنّ العبادات في كتاب الله لها فوائدها ومقاصدها وثمراتها، فهي سبيل القرآن تقود المسلم إلى تزكية النفس وارتقاء الروح، وفيها صلاح الفرد والمجتمع.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

هدايات في المعاملات

اشتملت هدايات القرآن على المعاملات التي تنتظم بها أحوال المجتمع وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية، فهي تعين على تحقيق مفهوم الخلافة في الأرض دون محاباة أو إقصاء، يقول تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤]، «والمعاملات خمسة: المعاوضات المالية، والمناكحات، والمخاصمات، والأمانات، والتركات»[(١)]، وهذه بعض أساليب القرآن الكريم في تقرير الهدايات المتعلقة بالمعاملات[(٢)]:

١- جعلها من مقاصد القرآن التي ينبغي العمل على تحقيقها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

٢- نظّم القرآن المعاملات المالية، وأمر بأدائها، وتوثيقها، كما نهى عن كل ما يخالفها من الربا وأَكْل أموال الناس بالباطل ... وغيرها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

---

(١) ينظر: ابن عابدين، محمد، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م. (٧٩/١).

(٢) ينظر: طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٢١٢/١) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- استماع الله جلت عظمته لشكوى امرأة ضعيفة من فوق سبع سماوات دليل على أهمية المناكحات في الإسلام، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

٤- تنظيم القرآن للمناكحات، وما يتبعها من هدايات قرآنية كدعوته للزواج الشرعي، وبيان تبعات الحمل والحضانة والطلاق، كما حرم العلاقات الخارجة عن هذا الإطار ودواعيه، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

٥- الأمر بالتحاكم إلى الله ورسوله في باب المخاصمات، والإذعان لهذا الحكم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٦- ما ورد في قصة تحكيم نبي الله داود عليه السلام بين متخاصمين، يدل على مكانة القضاء في دين الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ [ص: ٢١-٢٦].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– من هدايات القرآن في الأمانات دعوته إلى ردها إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

٧– من هدايات القرآن تقسيمه سبحانه وتعالى للتركات ليعرف الناس حقوقهم، يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ [النساء: ٧]، «ولما كانت الأموال وقسمتها محط الأطماع، وكان الميراث في معظم الأحيان بين كبار وصغار، وضعفاء وأقوياء، تولى الله تبارك وتعالى قسمتها بنفسه في كتابه مبينةً مفصلةً، حتى لا يكون فيها مجال للآراء والأهواء، وسوَّاها بين الورثة على مقتضى العدل، والمصلحة، والمنفعة التي يعلمها»[1]، وهذا يدل على شرف هذا العلم.

والحاصل أن الهدايات القرآنية شملت تنظيم أمور العباد في معاملاتهم المالية ومناكحاتهم والخصومات بينهم، وما يؤول إليه أمر تركاتهم، وهذا التنظيم المحكم مفخرة من مفاخر الإسلام التي امتاز بها، فأصلح للناس عاجلتهم وآخرتهم.

---

(١) ينظر: البسام، عبدالله، توضيح الأحكام مِن بلوغ المرام، مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، ط٥، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م. (١٥١/٥)، والزَّبِيدِيّ، أبو بكر بن علي، الجوهرة النيرة، المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٢٢هـ، (٣٠٣/٢)، والنفراوي، أحمد، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، ط بلا، سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م. (٢٤٩/٢)، والجويني، عبدالملك، نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق: عبدالعظيم محمود الديب، دار المنهاج، جدة، ط١، سنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، (٧/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

هدايات في الأخلاق والسلوك

أبرز القرآن الكريم قواعد التشريع الأخلاقي، فالإسلام يحمل في ثناياه قواعد أخلاقية متكاملة يعود نفعها على الفرد والمجتمع، وهو ما تميزت به الأمة الإسلامية على الأمم تشريعًا وتطبيقًا، والتاريخ الإسلامي طافح بالأمثلة العليا على ما تحمله هذه الأمة من مُثُل، وقد نهج القرآن أساليب عدة في بيان الهدايات القرآنية المتعلقة بالأخلاق والسلوك(١):

١- أمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه بالأخذ بمكارم الأخلاق، ومنها التجاوز عن أخطاء الناس وزلاتهم(٢)، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢- بيان عظمة خلق النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤]، ثم أمر أمته بالاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه في أخلاقه وسلوكه، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣- بيان أن دعوات الأنبياء وأقوال المصلحين تحمل في ثناياها الدعوة إلى مكارم الأخلاق والتحلي بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨-١٩].

٤- الأمر الصريح بالأخلاق العامة؛ وذلك بالأخذ بمجامع الخير كله كالصبر والصدق

---

(١) ينظر: طه عابدين وآخرون، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية (٢٠٣/٢) وما بعدها، الخزندار، محمود، هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقا، دار طيبة، الرياض، ط٩، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص٥٣٩) وما بعدها.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٣٢٧/١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمانة والتواضع ... وغيرها، والبعد من مواضع الشر كله كالكذب والبغي والخداع .... وغيرها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: «**أجمع آية في القرآن بخير وشر**»[(١)]، وقال قتادة: «**ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه، وقدَّم فيه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها**»[(٢)].

٥- بيان عاقبة الأخلاق الحميدة، يقول تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وهذا فيه حث للعباد أن يسيروا على هذه الأخلاق الفاضلة ليفوزوا بهذا الجزاء العظيم.

٦- رَبَط القرآن للكافر المنكر للدين بالأخلاق الخسيسة الدنيئة التي ينبغي للعبد أن يبتعد عنها ويحذرها، قال تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١-٢].

٧- عرض القرآن لأخلاق الجهاد والدعوة، كالشجاعة والصبر والمصابرة والثقة بنصر الله والتوكل عليه، ...وغيرها، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

---

(١) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) (٢٨٠/١٧)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٠٨/٧).

(٢) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٩٦/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨- بيان القرآن لحقوق الحكم والإمارة: كالطاعة والتثبت، وأدب المطاوعة، ... وغيرها، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

٩- حث القرآن على تزكية النفس وطهارة القلب؛ كالحب والتآخي، والتكافل والتعاون، والرفق واللين والتسامح، والاحترام، والكرم، والأمانة، وترك الفضول في الأقوال والأفعال، والتواضع، ولين الجانب، وترك التكبر والخيلاء في الأرض... وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فقد ذكر الآية الآولى نعمة الله على هذه الأمة بأن ألّف بين قلوب أبنائها، حتى أصبحوا بنعمته إخواناً، ثم حثم في الآية الثانية إلى ضرورة التواضع ولين الجانب بين بعضهم بعضا.

وعليه لو أردنا الوقوف على الإشارات الأخلاقية الصريحة والكنايات غير الصريحة في القرآن لطال بنا المقام، وكيف لا، وتلك الإشارات هي من غايات الدين ومبادئه العظمى، فقيمنا أساس دستورنا، منبعها قرآننا الخالد، وبخلوده ترسخت تلك القيم في الأمة، وهي باقية ما قامت السماوات والأرض، لا يغيرها زمان أو مكان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

هدايات العلوم الطبيعية والكونية

لا شك بأن اشتمال القرآن الكريم على مظاهر الإبداع في تنظيم الكون الشاسع لدليل على ربوبية وأنه الخالق له، والقرآن الكريم من خلال الهدايات في الآيات الكونية يخاطب عقل الإنسان ويوقظ فيه الوجدان، حتى يقوده إلى الإيمان بخالقه، وقد ارتأيتُ أن أُدرجها في هذا الموضع لالتصاقها بأصل هذه الأطروحة، وهذه بعض أساليب القرآن في التنبيه على الهدايات المتعلقة بالعلوم الطبيعية والكونية:

١- دعوة القرآن العقل للتفكر والتدبر في الظواهر الكونية تقود للإيمان بخالق الكون جلت قدرته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، فدعوة القرآن للعقل تقوده لمعرفة الحقائق عن الكون ونشأته وخالقه ومدبره، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣-١٦٤]، والعلماء هم أعمق فكرًا وأبصر بعظمة الله وجليل قدرته وآيات صنعته[١].

٢- ومن أساليب القرآن في تقرير الهدايات العلمية أسلوب القسم؛ فقد أقسم الله تعالى

---

(١) ينظر: الغمراوي، محمد، في سنن الله الكونية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م، (ص٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمواقع النّجوم تعظيما لشأن القرآن وأنه تنزيل من ربّ العالمين[1]، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠].

٣- دحض دعاوى المنكرين للبعث بالاعتماد على ظواهر الكون، يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨-٨١].

٤- تذكير الخلق بنعم الله وأفضاله عليهم من خلال الظواهر الكونية، يقول تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧]، ويقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩].

٥- تحدي المنكرين لقدرة الله على الخلق بتغيير نظام الكون، يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

٦- إشارات القرآن العلمية وتلميحاته الفكرية دليل على صدق هذا الكتاب، يقول تعالى:

---

(١) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (٣/٢٥٨٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤]، فهذه الآية فيها حكمة الله البالغة، فاختيار البنان للدلالة على البعث، جاء من لدن حكيم خبير، ففيه ردّ على كفار قريش، كما هو رد على الملحدين اليوم، فهوية الإنسان وشخصيته تكمن بشكل محدد في بصمته، فلا تتشابه مع غيره من بني جنسه كما أقرها العلم الحديث اليوم(١).

والحاصل أن الآيات المتعلقة بالكون كثيرة ودلالاتها متعددة، وقد تناولها العلماء بالشرح والتوضيح للكشف عن وجوه الإعجاز القرآني من النواحي العلمية هذا من جهة، ومن جهة أخرى استقى المسلمون منهج المشاهدة والملاحظة والتجربة العملية، مما كان له أكبر الأثر في تاريخ الحضارات الإنسانية كلها.

---

(١) ينظر: الشرقاوي، القرآن والكون (ص١٩٣) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

أساليب القرآن الكريم في عرض الهدايات

وفيه تمهيد وستة مطالب:

تمهيد

المطلب الأول : أسلوب ضرب الأمثال.

المطلب الثاني : أسلوب الترغيب والترهيب.

المطلب الثالث : أسلوب التحدي والإعجاز.

المطلب الرابع : أسلوب الاستفهام.

المطلب الخامس : أسلوب القسم.

المطلب السادس : أسلوب الشرط.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

للقرآن أساليب متنوعة وطرق مختلفة في تقرير الهدايات القرآنية وعرضها، وهي أساليب كثيرة يصعب عرضها جميعًا لخروجها عن فحوى الأطروحة الرئيس، وفي المطالب الأربعة الآتية أتناول أبرزها على سبيل المثال والتوضيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

أسلوب ضرب الأمثال

أولا: تعريف المثل لغة واصطلاحًا:

المثل لغة: الشبه والنظير، ومثل الشيء صفته، وجمعه أمثال، «وأصل المثل التّماثل بين الشَّيئين فِي الكلام، كقولهم: كما تدين تدان، وهو من قولك هذا مِثل الشَّيء ومَثَله كما تقول شِبْهه وشَبَهه، ثمَّ جعل كل حِكْمة سائرة مثل»[١]، وقال الخفاجي: «سمي مثلا لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبدا أي شاخص فيتأسى به ويتعظ ويخشى ويرجو»[٢].

وأما المثل اصطلاحا: فقد عرف بما يلي:

– قال اللّيث: «الشيء الذي يضرب لشيء مثلا، فيجعل مثله»[٣].

– وعرفها المرزوقي: «المثلُ جملة من القول مقتضَبَةٌ من أصلها أو مرسلةٌ بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول»[٤].

– وعرفه الراغب الأصفهاني: «عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيّن أحدهما الآخر ويصوّره»[٥].

ويظهر لي من خلال التعاريف السابقة أنّ كل عالم يتناوله من زاوية محددة، فتعريف

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن، جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت. (٧/١).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٤٨٧/١).

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠١م. (٧٠/١٥). وابن منظور، لسان العرب (٦١١/١١).

(٤) السيوطي، عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م. (٣٧٥/١).

(٥) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (ص٧٥٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الراغب الأصفهاني أقرب إلى النظرة القرآنية للمثل، بينما المرزوقي يوضح مفهوم الأمثال اللغوية التي عُرِفت بالاختصار، والاشتهار بين الناس، والله أعلم.

ثانيًا: المثل في القرآن:

ضرب الأمثال من الأساليب القرآنية التي تدل على روعة البيان القرآني المعجز، ولها أثر بليغ في إبراز المعاني وتقريبه للأذهان، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، فحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئا(١)، وذلك لتصحيح المفاهيم والمعتقدات عن طريق الهداية في ضرب الأمثال.

ونقف فيما يأتي مع بعض خصائص الأمثال في القرآن الكريم:

١- عده الإمام الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته كما نقل الزركشي، وقال الماوردي: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله والناس في غفلة عنه»(٢).

٢- من خصائصها؛ «يسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مئونتها على المتكلم مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها»(٣).

٣- يستفاد منها؛ التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتبكيت الخصوم واستحضار النظائر وتصويره بصورة المحسوس؛ فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، وأيضا تشبيه الخفي

---

(١) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٤/٤٤).

(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٤/٤٤)، والزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/٤٨٦).

(٣) العسكري، جمهرة الأمثال (١/٤) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالجلي والغائب بالشاهد، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو إبطاله، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، فامتن علينا بذلك لما تضمنته من الفوائد(١).

٤- أثرها على النفس بليغ، ففي «ذاتها جاذبية ليست لغيرها من أنواع التعبير، والناس تحب المثل، وتتأثر به، أكثر من الصور المباشرة في التعبير؛ لأن فيه جمالًا فنيًّا زائدًا، فبدلا من أن يُعرض المعنى مباشرة، فإنه يعرض معكوسًا من خلال مرآة خاصة لا كالمرايا العادية، فالمرآة العادية تعكس الشيء في نفس صورته بلا فرق، ولكن هذه المرآة ذات خصيصة غير عادية! فهي لا تعكس الشيء على صورته الأصلية، وإنما على صورة أخرى مشابهة، لكنها أبهى رونقا وأكثر وضوحًا وأشد جاذبية»(٢).

٥- وهذه بعض نماذج الأمثال في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، فهذه الآية تتنزل منزلة البيان لجملة متاع الحياة الدنيا المؤذنة بالزوال، فبينت أنّ التمتع صائر إلى زوال، وأطنبت، فشبهت حالة الحياة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد البهجة به وتزايد نضارتها بحال نبات الأرض في ذهابه حطاما ومصيره حصيدا(٣).

---

(١) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٤٥/٤)، والزركشي، البرهان في علوم القرآن (٤٨٧/١).

(٢) قطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق، القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (ص١٦٩).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٤١/١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففيه تقريب للمعنى وتربية العقل على التفكير المنهجي للوصول إلى فهم صحيح، وذلك من خلال ربط الحياة الدنيا بصورة واقعية متكررة معاشة، وهي صورة الزرع الذي مصيره إلى زوال.

وقال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

ولا شك بأنّ الأمثال القرآنية رسالة توجيه، يُصحَّح بها مفاهيمُ خاطئة، واعتقادات باطلة فاسدة، ترشد البشر إلى الطريق القويم، لذلك اعتنى القرآن بالأمثال لما لها من أثر على قلوب السامعين، فحري بالمفسرين عامة، والمفسر على الاتجاه الهدائي خاصة، الاهتمام بالمثل، لتجلية الهدايات الربانية، وتقريبها للناس كافة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

أسلوب الترغيب والترهيب

أولا: تعريف الترغيب والترهيب لغة واصطلاحًا:

الترغيب لغة: رغِب يرغَب رَغْبة: إذا حرَص على الشيء وطمِع فيه، والرّغبة: السؤال والطّلب، وأَرْغَبه في الشيء ورغِب إليه، ورغَّبه ترغيبا: أعطاه ما رغِب، ورغِب عنه: تركه متعمدا وزهد فيه[١].

وشرعًا: «كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه»[٢].

الترهيب لغة: رهِب يرهَب رَهْبة ورُهبًا ورَهَبًا: خاف. ويقال: «رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموت»، أي لأنْ تُرْهَب خيرٌ من أن تُرْحَم. وتقول: أَرْهَبه واسترهبه: إذا أخافَه[٣].

وشرعًا: «كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله»[٤].

والظاهر هو تطابق المعنى اللغوي مع الشرعي، لذلك لم نجد العلماء وقفوا على هذا التعريف بالتفصيل لوضوح دلالته، والله أعلم.

ثانيًا: الترغيب والترهيب في القرآن:

مزج القرآن بين الترغيب والترهيب بأسلوب فذ عجيب، وصياغة معجزة لا تنافر فيها أو

---

(١) ينظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (٥٠٩/٢).

(٢) زيدان، أصول الدعوة (ص٤٣٧).

(٣) ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١٤٠/١)، وابن منظور، لسان العرب (٤٣٦/١).

(٤) زيدان، أصول الدعوة (ص٤٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شذوذ، والسبب في اعتماد القرآن على هذا الأسلوب كما يبدو لي –والله أعلم– أن القرآن كتاب هداية وإصلاح ووعد وإنذار، فلا بد من اعتماد الترغيب والترهيب، لتشويق المؤمنين، ولجم جنوح الكافرين، يقول ابن كثير: –رحمه الله– عند قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]: «وكثيرا ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، ...فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه»(١).

وفيما يلي نتناول ما يتعلق بهذا الأسلوب(٢):

١– كثرته في القرآن الكريم يدل دلالة قاطعة على أهميته في الدعوة والتربية والتوجيه، فعلى الداعية الأخذ به، فهذا ما انتهجه سلفنا الصالح في إصلاحهم سواء في خطبهم أو دروسهم أو محاوراتهم أو مؤلفاتهم، فإنهم يطرزونها بطراز الترغيب والترهيب(٣).

٢– أسلوب الترغيب والترهيب أسلوب يتوافق مع الفطرة الإنسانية، فمبدأ الثواب والعقاب يجب تطبيقه بعدالة في المجتمع الإسلامي، إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، ففي هذا سكينة للنفس، وحث لها على العمل، وهو مما تميزت به الشريعة الإسلامية الصالحة لكل زمان ومكان(٤).

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٨٥).

(٢) زيدان، أصول الدعوة (ص٤٣٧) وما بعدها.

(٣) ينظر: الطريقي، عبدالله، مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، ١٤٢١ه (ص١٣٠)، وزيدان، أصول الدعوة (ص٤٣٧).

(٤) ينظر: السمالوطي، نبيل، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م. (ص٤٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- الأصل في الترغيب والترهيب أن يكون متعلقًا بالجزاء في الآخرة، وقد ورد تعلقه في الدنيا في كتاب الله في آيات كثيرة حالة استجابتهم أو إعراضهم[١]، فيصدقوا ويؤمنوا بجزاء الآخرة بعد أن رأوا شيئا من جزءا الدنيا، يقول تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

٤- قدرة الداعية على الانطلاق من أسلوب الترغيب والترهيب إلى فضاءات دعوية أوسع؛ كتذكير المدعوين بنعم الله تعالى عليهم، أو بمصير الأمم السابقة، أو خطورة المعاصي وزوال النعمة، وهو أسلوب قرآني مميز لدعوة الناس، يقول تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

٥- لما كانت الدنيا وإغراءاتها سبيل إلى الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة، فلا بُدَّ إذن من أسلوب الترهيب لتنفير المدعوين من إيثارها على الآخرة، ومعرفة حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها، وهذا له أثره الفاعل على المدعو، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

٦- الداعية الموفق يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في مكانه المناسب، فلا يجعل أسلوب وعظه الترهيب أو الترغيب على الدوام، بل ربما يجمع بينهما في مقام واحد، أو يقتصر

---

(١) ينظر: زيدان، أصول الدعوة (ص٤٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على واحد منهما حسب يقتضيه المقام وطبيعة المناسبة[1].

٧- للترغيب والترهيب أعظم الأثر على نفوس المشركين، فقد ذهب عتبة بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستميله، فقرأ عليه بدايات سورة فصلت، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصِّلَت: ١٣]، فأمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، ثم أخبر قريشًا قائلا: «وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب»[2]، فما الذي جعل عتبة في هذه الدهشة وتلك الحيرة غير الأثر النفسي العميق الذي خلفه الترهيب فيه، كأنه يراه رأي العين[3].

يعد أسلوب الترغيب والترهيب أسلوبًا قرآنيًّا فريدًا، تكاد تتلمسه في كثير من آيات الكتاب، مما يدل دلالة قاطعة على أهميته كأسلوب من أساليب الخطاب التي ينبغي أن يعتمدها الداعية في دعوته إلى الله تعالى.

---

(١) ينظر: العنزي، عزيز، البصيرة في الدعوة إلى الله، تقديم: صالح آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م. (ص١٢٢)، والسمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي (ص١٤٢).

(٢) ينظر: البيهقي، أحمد، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، (٢٠٤/٢).

(٣) أبو علي، محمد بركات، نظرات وآراء في اللغة العربية وآدابها، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٧٦م، (ص٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

أسلوب التحدي والإعجاز

لا شك بأنَّ لصاحب الحق مقالا، ولما كان القرآن الكريم هو حق مطلق، ونزل من حكيم خبير، فكان لا بد أن يكون التحدي من خصائص القرآن الأسلوبية ليبرهن على صحته، وسنقف مع هذا الأسلوب وقفات فيما يلي:

الوقفة الأولى: ورد التحدي على ثلاث مراحل: الإتيان بمثله، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلما عجزوا أمرهم بعشر سور من مثله، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، يقول الشعراوي: «والحق سبحانه وتعالى تدرج في التحدي مع الكافرين، فطلب منهم أن يأتوا بمثل القرآن، ثم طلب عشر سور من مثله، ثم تدرج في التحدي فطلب سورة واحدة، والنزول في التحدي من القرآن كله إلى عشر سور إلى سورة واحدة دليل ضد من تحداهم، فلا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن، فيقول: إذن فأتوا بعشر سور، فلا يستطيعون، ويصبح موقفهم مدعاة للسخرية، فيقول: فأتوا بسورة، وهذا منتهى الاستهانة بالذين تحداهم الله سبحانه وتعالى وإثباتًا لأنهم لا يقدرون على شيء»[(١)].

---

(١) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (١٩٧/١)، وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٦٩/٤)، والزركشي، البرهان في علوم القرآن (٩١/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوقفة الثانية: وقد تحدى القرآن المشركين بأمور كثيرة؛ منها إعادة الروح بعد خروجها، ودعاء آلهتهم من دون الله إن كانت تنفع أو أن يخلقوا ذبابا، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

الوقفة الثالثة: وقد نقل القرآن تحدي الأنبياء لأقوامهم في أكثر من موضع، قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، وقال هود عليه السلام متحديًا قومه: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥]، ومثله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩]، قال الزجاج: «وهذه من أعظم آيات الرسل أن يكون الرسول وحده، وأمته متعاونة عليه، فيقول لها: كيدوني ثم لا تنظرون، فلا يستطيع واحد منهم ضره»(١).

لقد انتهج القرآن أسلوب التحدي، وتنوعت أساليبه في ذلك كبرهان تُقام به الحجة على المعاندين، كما فيه تثبيت للمؤمنين، لذا وجب على المفسر الهدائي أن يكشف عن معانيه، ويتخذه حجة قائمة على الجاحدين؛ لأنها مازالت قائمة مادامت السماوات والأرض.

---

(١) ينظر: الزجاج، إبراهيم، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م. (٥٨/٣)، وابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ. (٣٨٠/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

أسلوب الاستفهام

يعد أسلوب الاستفهام لون من ألوان التعبير عن خلجات النفس وسكناتها، وله أهمية كبرى في كتاب الله عز وجل، بل هو من أكثر الأساليب القرآنية تكرارًا، فهو من جهة أسلوب تواصل اجتماعي، ومن جهة أخرى له أثر بالغ في التأثير على النفوس، وإقامة الحجة عليها.

والاستفهام لغة تخاطب وتواصل مع الآخرين، لذلك تنوعت أغراضه، فمنه ما يكون استفهامًا حقيقيًّا، ومنه ما يكون بلاغيا أو مجازيا، ولذلك تعدد أغراضه، وقد درسه البلاغيون دراسة تفصيلية لما له من أثر على فهم المعنى، وينقسم الاستفهام تبعًا لذلك إلى قسمين:

الأول: الاستفهام الحقيقي:

وتعريفه: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصة[1].

والأصل في أسلوب الاستفهام أن يستعمل فيما يجهله السائل، ويطلب له جوابًا لجهله به، كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالسائل هنا يجهل الجواب، فهو يطلب العلم والفهم، وهذا يستحيل في حق الله سبحانه المنزه عن كل عيب.

الثاني: الاستفهام غير الحقيقي:

ويُسمَّى الاستفهام البلاغي، والاستفهام في الأصل هو طلب العلم بشيء مجهول، وقد

---

(١) ينظر: الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (ص٧٨). وعتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (ص٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يستفهم عن الشيء مع العلم به، ويسمى عند العلماء خروج الاستفهام إلى معانٍ وأغراض أخرى، تُفهَم من سياق الكلام ودلالته، وهي طريقة غير مباشرة «يَستغني البلغاء بعبارات الاستفهام عن ذكر الألفاظ الدالة دلالة صريحة على ما يريدون التعبير عنه من المعاني، وبلاغة الدلالة على هذه المعاني بأسلوب الاستفهام آتية من التعبير عنها بصورة غير مباشرة، وهي دلالات تُتصيَّد بالذكاء»[١]، ومن أمثلة هذه المعاني التي يخرج إليها الاستفهام: الأمر، والنفي، والنهي، والتقرير، التوبيخ والتقريع، والتشويق، والتسوية، والإنكار، والتعظيم، والتحقير، والتعجب، ....وغيرها[٢].

ومثاله: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصّف: ١٠-١١]، فالسياق يدل على أن الاستفهام سيق لتشويق المخاطبين الى سماع الخبر[٣]، كما ألحظ أسلوب التودد إلى من تحب، وهذا من نعم الله وفضله.

وسأضرب أمثلة على الاستفهام البلاغي الذي انتهجه القرآن الكريم في توضيح دلالات الآيات الكونية ليجذب السامع إلى معانٍ متنوعة تحتاج إلى إعمال ذهن وتدبر، «واعتماد الصورة على الاستفهام المثير للذهن، والمحرك للعقل، كثير في القرآن الكريم، لإقامة الحجة

---

(١) ينظر: الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية، أسسها، وعلوما، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، (٢٧٠/١).

(٢) ينظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص٨٣)، وعتيق، علم المعاني (ص٩٥).

(٣) ينظر: قاسم، محمد، وديب، محيي الدين، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، (ص٢٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبرهان»[1]:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، وقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وفي هذا الاستفهام لفت انتباه المخاطَب على قدرة الله تعالى، «وفي إيراد هذه المعاني بأسلوب الاستفهام تشويق، وإثارة للتفكير للاهتداء إلى معرفة وجه الصواب»[2].

ومثله قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠]، وهذه الآيات تدعو إلى التفكر والتأمل بما تعرضه من صور حسية لتقرير عقيدة التوحيد بما تخاطبه من عقل ووجدان، «وتعتمد الصورة في تحريك العقل وإيقاظه، وإقامة الحجة والبرهان على أسلوب الاستفهام المتكرر المثير للذهن، والدافع إلى الإقرار بهذه المقدمات البرهانية الواردة في الاستفهام؛ لأنها حقائق ثابتة، تصلح أن تكون مقدمات ليقر المخاطب بها، ويعترف بالله خالقا ورازقا ومدبرا، وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان ...، فهذه الأسئلة المتكررة في الصور المعروضة بمنزلة مقدمات للوصول إلى عقيدة التوحيد، التي هي النتيجة لتلك المقدمات، والقرآن الكريم يطرح الأسئلة، ولا يصرّح بالجواب؛ لأنه من البداهة بعد هذه الصور المتلاحقة بحيث لا يحتاج إلى تصريح، فهو مستقر في داخل العقول والنفوس، وهذه هي طريقة القرآن في تصوير عقيدة التوحيد، يخاطب

---

(١) الراغب، عبدالسلام، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ م، (ص٤٤٨).

(٢) البدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، نهضه مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م، (ص١٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العقل والوجدان معا من خلال اعتماده على الصورة الفنية»[1]، ومن هنا كان الإعجاز النفسي من خصائص القرآن الفريدة.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، «السؤال الذي بدأت به الآية الأولى في معنى تقرير أمر يعرفه أو يعترف به السامعون، وهكذا تكون الآية الأولى قد تضمنت تقريرًا بكون السامعين يعترفون أن الله هو الذي خلق السموات والأرض، وبكون ذلك يستتبع أن يكون قد خلقهما بالحق، وأن يكون قادرًا على إفناء السامعين والناس، والإتيان بخلق جديد»[2]، ويظهر لي أنّ ربط الاستفهام بالمظاهر الكونية زاد من قوة المعنى وحجة الاستدلال.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، «استفهام إنكارى، وكأنه ينكر على نفسه أن تدعوه إلى أن يتخذ من دون الله وليّا ومعينا، أو ينكر على غيره أن يدعوه إلى تلك الدعوة المنكرة...، وهذا الاستفهام الإنكارىّ، أقوى قوة، فى إظهار الولاء الخالص لله، والثبات عليه من الخبر التقريرىّ بالولاء، إذ فيه إنكار لموالاة غير الله أولًا، ثم إقبال على موالاته سبحانه ثانيًا، وفى هذه العملية إثارة للعقل وتحريك للوجدان، ومواجهة لمن يدعوهم الدّاعون أن يتخذوا أولياء من دون الله، حتى إذا أنكرهم العقل ولفظهم الشعور، أقبل المرء على الله، وقد صفّى حسابه مع هذه الضلالات القائمة على طريقه إلى الله، فيلقى ربّه بكيانه كله، ويلقى إليه

---

(١) ينظر: الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص٤٤٧).

(٢) ينظر: دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ، (٢٢٦/٥)، وطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٥٤١/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بولائه خالصًا»[1]، ومن خصائص القرآن هذا الربط الفريد بين الاستفهام الإنكاري والآيات الكونية بما فيها من احتجاج عقلي من جهة أخرى.

ومثلها قوله تعالى[2]: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله تعالى[3]: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩]، وقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، والاستفهام للإنكار، أي: «أأنتم أيها الناسُ أصعبُ في الإيجاد، أم إيجادُ السماء وابتداعها أصعب؟ ولا شك أنَّ خلقَ السماء أصعب، وفي هذا دلالةٌ على وقوعِ البعثِ الذي أنكروه»[4]، إن محاورة الرسل لأقوامهم يتخلله الاحتجاج بالمظاهر الكونية، وهي منهج دعوي التزم به الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وغيرها من الآيات الدالة على الإنكار.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣]، الاستفهام للتقرير والتنبيه إلى آيات الله المذكورة وعجيب صنعته، والحث على

---

(١) ينظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (٢٢٦/٥).

(٢) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (٣٤٦/٩).

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٦٥/٧).

(٤) الطيار، مساعد، تفسير جزء عم، دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠هـ، (ص٤٤)، وينظر: الجرجاني، عبدالقاهر، دَرْجُ الدُّرر في تَفسيرِ الآيِ والسُّوَر، تحقيق: وَليد الحُسَيْن، وإياد القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، (٢١٦/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رؤيتها وتأملها[1]، ومن ذهب للإنكار فهو بعيد كما يبدو لي[2]، ففي الآيات «تنبيه وتقرير بصيغة السؤال ولفت النظر إلى بعض مشاهد قدرة الله وملكوته ونواميس كونه وخضوع خلقه له، ...، فالعقول السليمة خليقة بأن تكون دافعة لهم إلى ذكر الله والاستشعار بعظمته وهيبته كما احتوت الآيات نواميس كونية وتكوينية مما يقع تحت مشاهدات الناس ومداركهم، وأن القصد من ذلك هو إثارة الاعتبار فيهم، وجعلهم يعترفون بعظمة الله وقدرته ويخضعون له»[3]، ومع تغير الزمن وتطور العلم ما زالت هذه الآيات تزداد ألقًا، ببيان عظمة الله وقدرته على الخلق، وتبقى نبراسًا لكل من طلب الحق، فالواقع العلمي يكشف من أسرار القرآن ما كان خافيًا على من سبقنا.

وعليه فالتساؤل منهج علمي يستحث النفس على البحث والاستكشاف، وهو في القرآن الكريم يقود العقل، ويطوع النفس لما يتطلبه من إجابات شافية، لا تسكن معها النفس، ولا يصدقها العقل إلا بالتدبر الهادئ المقنع، فتقود تلك الإجابات النفس المؤمنة إلى الإيمان اليقيني الصادق بالله وصفاته، ومن ثم إفراده سبحانه بالعبادة وحده، لا شريك له.

---

(١) ينظر: الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٥٧٨/٧)، والرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (٤٠٣/٢٤). ودرويش، إعراب القرآن وبيانه (٦٢٣/٦)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٤٤١/٦).

(٢) ينظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (٥٢٠٤/١٠).

(٣) دروزه، التفسير الحديث (٤٣٠/٨) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس

أسلوب القسم

من أساليب التعبير القرآني في إبراز هدايات الآيات الكونية القسم، «والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد، فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة»[1].

وقد أقسم الله بنفسه في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، وأمر نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقسم به، وأمته تبع له في ذلك[2]، يقول تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]، وقد أقسم الله ببعض مخلوقاته، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]، بل أقسم الله تعالى بمخلوقاته كلها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨-٣٩]، والله جلَّ وعلا له أن يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمته؛ فعظمة خلقه دالة عليه سبحانه، فهو بارئها، وليتنبه الناس أيضًا لفضيلتها ومنفعتها[3].

وقد كثر في القرآن البدء بالقسم، وهو بطبيعته يدفع إلى التطلع لمعرفة المقسم عليه؛ لأنه لا يُلجأ إلى القسم إلا في الأمور المهمة التى تحتاج إلى تأكيد وإثبات، وقد يطول القسم فيطول

---

(١) ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص٣٠٢).

(٢) ولا يجوز لأحد أن يقسم بغير الله لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» رواه أبو داود (رقم: ٣٢٥١) والترمذي (رقم: ١٥٣٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، لذلك يقول الشعبي: (الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق). ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٤٢/٧).

(٣) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٤٣/٧)، والقطان، مباحث في علوم القرآن (ص٣٠٣)، وطنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٦٨/١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشوق، وكما يثير القسم الشوق والتطلع كذلك يثيرهما في النفس الاستفهام والشرط، ففي الاستفهام تتجمع النفس لمعرفة الجواب، وفي الشرط تتطلع لمعرفة الجزاء[1].

ولكن، ما فائدة القسم، والمخاطب بالقرآن إمَّا مؤمن به، وإمَّا مُكذِّب، فالمؤمن مصدّق من غير يمين، والمكذب لن يصدّق لمجرد القسم؟

والجواب: هذه الأيمان لم تجئ لإثبات الدعاوى، وإنما جاءت هذه الأقسام لتوكيد ما ثبت من طريق الحجة والبرهان على منهاج العرب وأسلوبهم في توكيد الكلام بالحلف، وقد كان القسم أحد أساليب التوكيد عندهم، والقرآن بلغتهم نزل، والمتبصر في الأقسام الواردة في القرآن، يجدها وقد حوت من الدلائل ما يجعل القسم ليس قسمًا في الواقع، وإنما هو تذكير بالدليل الذي يشتمل عليه المقسم به، فتتوجه النفس إلى سر القسم بهذا المخلوق متسائلة: ما هذا القسم؟ وما معناه؟ وما مغزاه؟ وما سره؟ فتتوجه إلى ما في القسم من بواعث التعظيم الذي ينطق صنعها ووجودها بالعظمة على أنّ المقسم عليه لحق[2]، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ١-٤].

وسنقف عند أسلوب القسم في عرض هذه الهدايات المتعلقة بالآيات الكونية فيما يلي:

- قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧]، أقسم الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات على أن القرآن حق ومحفوظ ومنزّل من ربِّ العالمين، فأقسم بمواقع النجوم تعظيمًا وتكريمًا لهذه المخلوقات، وأنها شواهد

---

(١) ينظر: البدوي، من بلاغة القرآن (ص١٨٣).

(٢) ينظر: السايس، محمد، تفسير آيات الأحكام، المحقق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية، ٢٠٠٢م، (ص٧٢٤-٧٢٥)، والزركشي، البرهان في علوم القرآن (٤١/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودلائل على عظمة الخالق وقدرته وتوحيده[١]، ويظهر لي أنّ فيها لفت للانتباه، فما كانت العرب تقسم بهذا، وهذا مدعاة للتساؤل وإصغاء السمع لما يُقال، وهذا أدعى لاستيعاب هذه الهداية.

وأمَّا المناسبة بين المقسم به وهو النجوم ومواقعها، وبين المقسم عليه وهو القرآن، فهي أنّ النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وهي ظلمة حسية، وكذلك آيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغواية، وهذه ظلمة معنوية، ومناسبة أخرى أنَّ النجوم جُعِلت رجومًا للشياطين، وآيات القرآن رجوم الشياطين، فيُولُّون عند سماعه[٢].

- قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١-٤]، والحكمة من هذا القسم بيان عظمة الله سبحانه وما يثيره من شوق وتطلع هذا بشكل عام كما يرى المفسرون[٣]، «وكثر في القرآن البدء بالقسم، وهو بطبيعته يدفع إلى التطلع لمعرفة المقسم عليه، لأنه لا يلجأ إلى القسم إلا في الأمور المهمة التى تحتاج إلى تأكيد وإثبات، وقد يطول القسم فيطول الشوق»[٤]، فجاء جواب القسم ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾؛ أي: عملكم مختلفٌ، وهذا فيه تشويق وجذب للانتباه كما ترى بنت الشاطئ عائشة عبدالرحمن أنَّ «هذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو اللفتُ بإثارة بالغة لأى حِسِّيات مُدرَكة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة»[٥]، وترى أيضًا أنَّ السر البياني هو

---

(١) ينظر: الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية (ص٩٣)، والسايس، تفسير آيات الأحكام (ص٧٢٥)، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢٥٤/٣).

(٢) ينظر: السايس، تفسير آيات الأحكام (ص٧٢٦)، وانظر: الزحيلي، التفسير المنير (٢٧/ ٢٧٨).

(٣) ينظر: الباقلاني، محمد، الانتصار للقرآن، تحقيق: محمد القضاة، دار الفتح، عمَّان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، (٧٩٩/٢)، والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣٥٩/١٥).

(٤) ينظر: البدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، نهضه مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م، (ص١٨٣).

(٥) ينظر: بنت الشاطئ، عائشة، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، ط٣، (ص٢٤٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التقابل الواضح المحسوس، بين غشية الليل بظلامه وتجلي النهار بضيائه، ومثله في الوضوح الحسي المدرك، التفاوت بين خلق الذكر والأنثى، وفي هذا توطئة إيضاحية لبيان تفاوت مماثل في معنويات لا تدرك بالحس: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾؛ أي: مختلف بين محسن ومسيء، وهو تفاوت بين هذه المتقابلات: المعنوي منها والغيبي: أعطى وبخل، اتقى واستغنى، صدق وكذب، اليسرى والعسرى، الآخرة والأولى، يصلاها ويُجَنَّبُها، الأشقى والأتقى[1]، وهذا يدل دلالة قاطعة على الوحدة الموضوعية من جهة، والتناسق اللفظي والمعنوي الذي يتميز به الأسلوب القرآني في التأثير الهدائي على نفوس المخاطَبين.

- قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٩]، فجواب القسم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾، وحذف اللام لطول الكلام[2].

وينبغي أن يعلم أنّ أطول قسم في كتاب الله تعالى هو الوارد في هذه السورة، «وإن وقوع القسم في ابتداء السور له أثره النفسي، وفي البدء به جذب لانتباه السامع، لوقوع القسم على سمعه في شيء من الرهبة، فإذا حدث ذلك صحبه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال، خاصة والقسم في أوائل السور يعطيها نضرة في بهجتها، ورونقا في ديباجتها، فتلمع الأقسام في قسمات السور كالغرة البارقة، لا سيما وقد أتت بما يألفه العرب ويحبّونه ويمجّدونه»[3]، ومن جهة أخرى فيها

---

(١) ينظر: بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص٢٤٩)، والراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص٤١٣).

(٢) ينظر: العكبري، عبدالله، التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٢٩٠/٢)، والأصبهاني، إسماعيل، إعراب القرآن، تحقيق: فائزة المؤيد، د.ن، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، (ص٥١١).

(٣) ينظر: البغا، وديب، الواضح في علوم القرآن (ص٢١٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

براعة أسلوبية ولفتة بلاغية جديرة بالاهتمام، وهي تقديم النهار على الليل؛ فالنهار «يدور مع الشمس والضحى، ثم القمر وهو نور أيضًا، ثم يأتي القسم بالنهار، يتلوه مباشرة القسم بالليل، لأن النهار والقمر والضحى كلها أنوار، تقابل الظلام الذي يسود الليل، في تصوير قرآني يجمع بين النسق والتلاؤم والتوازن وبديع خلق الله وصنعه»[1]، والذي يظهر لي أن تتابع الظواهر الكونية فيها من الرهبة ما فيها، فتضفي على الآيات مشاعر الإجلال والعظمة لله سبحانه وهي هداية تستنير بها البشرية جمعاء.

- قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣]، «أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له، وذلك متضمِّن لتصديقه له، فهو قسم على صحة نبوءته، وعلى جزائه في الآخرة، فهو قسم على النبوءة والمعَاد.

وقد أقسم الله تعالى بآيتين عظيمتين من آياته، وتأمّل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي هو يوافي بعد ظلام الليل للمقسَم عليه، وهو نور الوَحْي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودع محمدًا ربُّه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه»[2]، فالمظاهر الكونية كلها تنبئ عن الإيمان بالله ورسله.

- قال تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ [الفجر: ١-٥]، وجواب القسم محذوف تقديره (لنجازينّ كلّ امرئ بما عمل)[3]، وحذف مثل هذا من أحسن الأساليب؛ لأنه يدل على التفخيم والتعظيم[4]، ويمكن لي أن أقدره: أقسم بهذه الأزمان

---

(١) ينظر: صبح، علي، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية للتراث، (ص١٢٣).

(٢) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/٣٤٥-٣٤٦)، وبنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص٢٤٩).

(٣) ينظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم (٣٠/٣١٩).

(٤) ينظر: القطان، مباحث في علوم القرآن (ص٣٠٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العظيمة، لنحاسبنكم على أعمالكم، وهذا فيه من الرهبة والتهويل ما فيه؛ بسبب تعدد الاحتمالات حسب كل فرد بما يناسبه: لنجازينكم، لنبعثنكم، أو لنكافئن المحسنين منكم... وهكذا، «أما المقسم عليه بذلك القسم، فقد طواه السياق ليفسره ما بعده، فهو موضوع الطغيان والفساد، وأخذ ربك لأهل الطغيان والفساد، فهو حق واقع يقسم عليه بذلك القسم في تلميح يناسب لمسات السورة الخفيفة على وجه الإجمال»[١].

يذكر السيوطي رحمه الله الحكمة والدلالة من هذا القسم بقوله: «فإنها أزمان تتضمن أفعالاً عظيمة من المناسك وشعائر الحج التي هي عبودية محضة لله، وذلٌّ وخضوعٌ لعظمته، وفي ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام»[٢]، فكل ما في الكون مسخر لخدمة دين الله وشرائعه، وأحكامه، فالكافر وحده هو النشاز بين مخلوقات الله سبحانه وتعالى.

- قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [التكوير: ١٥-١٩]، وجوابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾، ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٩]، وجوابه: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾[٣]، وهذا الأسلوب في القسم باستخدام حرف النفي الزائد (لا) معروف في اللغة، وهو إما رد على كلام سابق[٤]، أو التأكيد كما تراه بنت الشاطئ عائشة عبدالرحمن، ونظيره في لغتنا قولك لصاحبك: لا أُوصيكَ بفلان، تأكيدًا للوصية ومبالغةً في

---

(١) ينظر: زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه (ص٢٧٤).

(٢) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣٤٥/١).

(٣) ينظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢٨٤/٣٠).

(٤) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (٨٠/٣)، وبعضهم لا يعدها قسمًا، انظر: ابن هشام، عبدالله بن يوسف (ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م. (ص٣٢٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاهتمام بها، تقول أيضًا: لن أُلِحَّ عليك في زيارتنا، فتبلغ بالنفي ما لا تبلغه بالطلب المباشر الصريح[١].

ويظهر في الآيات هذا التناسق اللفظي في لوحة مليئة باللون والحركة؛ لون الليل والشفق والقمر، وحركة النجوم الخافتة، والليل إذا أقبل، والصبح إذا تنفس، وهي حركة خفيفة نابضة، فإذا جمعت إليها همس السين المكررة تكاد تستشفّ نعومة ظلّها، مثلما تستريح إلى خفّة وقعها، أو حرف القاف في تناغم صوتي عجيب، وكل آية لها سياقها، لكنها تلتقي على أنّ الله وحده هو المعبود بحق، مرسل الرسل والكتب، القادر على البعث، والمجازي كلٍّ على فعله وسعيه[٢].

- قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]، النجم ظاهرة كونية مشهودة إذا هوى تتكرر على مرأى من الناس، فلا يجدون فيها ما هو موضع جدل أو إنكار، ففيم العجب وفيم المماراة والإنكار للظاهرة الغيبية المماثلة، إذ يتجلى نور الوحي من الأفق الأعلى فيدنو ويتدلى حتى يصل إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذه الأرض[٣]؟ هذا التنوع اللفظي في القرآن والتنقل بين مظاهر الكون، وتسخيرها للدلالة على التوحيد والنبوة دليل على الإعجاز اللفظي المتنوع في الدلالة والاستدلال، فكثرة ضرب الأمثلة وتنوعها أظهر عجز المشركين عن مجاراة هذا الكتاب المعجز.

- قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾ [المعارج:

---

(١) ينظر: بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص٢٨٥)، والسامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (ص٢٠٤).

(٢) ينظر: الصالح، مباحث في علوم القرآن (ص٣٣٥)، وزرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه (ص١٨٣).

(٣) ينظر: بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص٢٥٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٠-٤١]، يقول الزركشي رحمه الله في ربط القسم بالمقسم عليه: «لما كان هذا القسم سعة مشارق ربوبيته وإحاطة قدرته، والمقسم عليه إذهاب هؤلاء والإتيان بخير منهم، ذكر المشارق والمغارب لتضمنها انتقال الشمس التي في أحد آياته العظيمة، ونقله سبحانه لها وتصريفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يعجزه أن يبدل هؤلاء، وينقل إلى أمكنتهم خيرًا منهم، وأيضًا فإنّ تأثير مشارق الشمس ومغاربها في اختلاف أحوال النبات والحيوان أمر مشهود، وقد جعله الله بحكمته سببًا لتبدل أجسام النبات وأحوال الحيوانات وانتقالها من حال إلى حال، ومن برد إلى حر وصيف وشتاء وغير ذلك، بسبب اختلاف مشارق الأرض ومغاربها، فكيف لا يقدر مع ما يشهدونه من ذلك على تبديل من هو خير، وأكد هذا المعنى بقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾، فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع»[1]، وهذا يدل على إعجاز لغوي يداخله إعجاز علمي في انتقاء الألفاظ ودقتها، وهذا لا يكون إلا من لدن لطيف خبير.

- قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ١-٤]، يقول عبد السلام الراغب مبيناً ارتباط المعنى بما فيه من ظواهر كونية بالمعنى البلاغي: «فالصورة هنا بعناصرها السماء، والنجوم، والضياء، والظلام، وما فيها من حركة وحياة، لها قيمتها وأهميتها، فالله يقسم بهذه الصورة الكونية، والله سبحانه لا يقسم إلا بشيء عظيم وذي قيمة، لذلك عقّب على القسم بالاستفهام الموحي بالتفخيم والتعظيم، ثم صرّح بالمقصود بالطارق، وهو النجم الثاقب، ... ثم جاء بالمقسم به: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، للدلالة على أن كل نفس عليها حافظ رقيب على أعمالها وخواطرها، يملك قدرة النفاذ إلى أعماقها المستورة ومناطقها المظلمة،

---

(١) ينظر: السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣٤٥/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيشق حجابها السميك الخارجي بقوة نفاذه كما يطرق هذا النجم الثاقب ظلام الليل، فيزيل ظلامه، وينفذ من خلاله، وتتجلى قدرة الله سبحانه في الصورة الكونية والصورة النفسية معا، وتتلاحم الصورة في إطارها مع مضمونها كما يتّحد الغرض الفني بالغرض الديني من خلال هذا التصوير المعجز»[1].

- قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ١-٢]، أقسم الله سبحانه وتعالى على عاقبة الإنسان، وهو قَسَمٌ على الجزاء[2]، ولفظة (العصر) تلفت الانتباه إلى ابتلاء الإنسان بالزمن؛ يعصره، ويصهره بالضغط والمعاناة، وهي توطئة إيضاحية لبيان ما يستخلص العصر من عصارة هذا الإنسان، ويكشف عن معدنه، إن خيرًا فهي النجاة، وإن شرًّا فهي الخسارة[3].

إنَّ أسلوب القسم تبرز من خلاله الهداية القرآنية بوضوح، وأحياناً تحتاج إلى مزيد تأمل، وتتطلب إعمال ذهن وثاقب فهم للتوصل إليها، لكن الوقوف على ما أقسم الله تعالى به هو في ذاته مدعاة إلى التفكير في صنع الله فيها، ومثار بحث في أحوالها لاستكشاف آثار صنعة الله ونعمته، وفيه تحريك لدوافع الفكر والبحث بقدر الطاقة البشرية مما ينبه إلى القدرة الإلهية في الخلق والتقدير والإتقان.

---

(١) ينظر: الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص٢٠٨-٢٠٩).

(٢) ينظر: إسماعيل، محمد، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، (ص٣٢٢).

(٣) ينظر: بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص٢٥١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السادس

أسلوب الشرط

صوَّر القرآن الكريم علامات يوم القيامة تصويرًا لافتًا للنَّظر، وقد كان للآيات الكونية حظ وافر في رسم هذه الصورة وتحديد معالمها، كما كان للأسلوب المعجز والبيان الرفيع وَقْع أخَّاذ في قلوب مستمعيه، ومن هذه الأساليب البيانية الجذّابة هو أسلوب الشرط، فجاءت مطالع الصور زاخرة بأسلوب الشرط الذي هو أنسب الكلام مطلعًا، وأعذبه لفظاً، وأنبله مقصدًا، وأجوده سبكاً، وأروعه نظماً، فمطالع الكلام هي أول ما تقرع السامع، فإذا توافرت لها خصائص التعبير الجميل خفَّتِ النفس لسماعه، وأقبلت على تفهّم معناه(١).

وأسلوب الشرط يربط الحكم في الجملة بحكم آخر في جملة أخرى ربطًا شرطيًا، فتكون الجملتان بمثابة جملة واحدة، وتسمى عندئذ جملة شرطية(٢).

للشرط وظيفة بالغة الأهمية ألا وهي الإيجاز والاختصار؛ والإيجاز «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصحَ من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدُك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطِقْ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن»(٣).

وينبغي أن يُعلم أنَّ مشاهد القيامة فى مطالع السور لم يُستخدم فيها إلا أداة الشرط (إذا)،

---

(١) المطعني، عبدالعظيم، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، (٢١٧/١).

(٢) الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها (٤٧١/١).

(٣) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م. (ص١٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي ظرف لما يستقبل من الزمان، غير جازمة، تختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويُستعمل غالبًا فيما يرى المتكلم أنّ ما دلت عليه جملة الشرط أمر متحقّق الوقوع أو مرجوّ الوقوع، على خلاف (إن) التي تستعمل غالبا فيما يرى المتكلم أنَّ ما دلَّت عليه جملة الشرط أمر مشكوك في وقوعه مستقبلا، أو هو نادر الوقوع، فيقال: إذا طلعت الشمس آتيك،؛ لأنَّ الإشراق محقق، ولا يقال: إن طلعت الشمس آتيك، إلا إذا كان اليوم غائمًا(١).

وسنتناول فيما يلي الآيات الكونية التي جاءت على أسلوب الشرط، وهذه الآيات وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالآيات الكونية قوله: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾**»(٢)، وسنتناول هدايات هذه السور مجتمعة:

– حرف الشرط (إذا) لا يدخل على الأسماء، لذلك يقدر العلماء فعلًا من جنس الفعل الذي يليها، ففي قول الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، والمعنى إذا كورت الشمس كورت، وهذا التكرار له فائدة عند العلماء، فالحذف يقصد به الاهتمام وتقوية الخبر هذا من جهة، ومن جهة أخرى إرادة التأكيد المستفاد من تكرار إسناد الفعل إلى الفاعل مرتين؛ مرة محذوفاً، ومرة مذكوراً كضمير، والمقام في كُل يقتضي التوكيد لغرابة الأفعال والظواهر المدلول عليها؛ لأنَّ الناس لم

---

(١) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، (١٨٠/٢)، وعباس، فضل. البلاغة وفنونها وأفنانها، علم المعاني، دار الفرقان، عمان، ط٩، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م. (ص٣٥٢) وما بعدها.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، (٤٣٣/٥) الحديث رقم (٣٣٣٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة إذا الشمس كورت (٥٦٠/٢) رقم (٣٩٠٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الحافظ الذهبي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشهدوا مثلها من قبل، ولن يشهدوا ذلك إلا مرة واحدة يوم البعث، وفضلاً عن غرابتها في نفسها ومخالفتها للسنن المعهود؛ فإنها تتصل بقضية البعث اتصالاً مباشراً، والبعث كان مثار جدل ومبعث إنكار، والمناسب له التوكيد والتقرير(١).

- أسلوب الشرط في سورة التكوير يفيد التشويق على خلاف الانفطار، والانشقاق كما يرى ابن عاشور(٢)، وسببه والله أعلم طول الشرط مما يثير التشويق في النفس، يقول البدوي: «وكما يثير القسَمُ الشوق والتطلع، كذلك يثيرهما في النفس الاستفهام والشرط، ففي الاستفهام تتجمع النفس لمعرفة الجواب، وفي الشرط تتطلع لمعرفة الجزاء»(٣).

- البناء للمجهول في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه؛ فالكون مُهيأ للقيامة على وجه التسخير تلقائياً دون أمر(٤).

- قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ [التكوير: ١-١٤]، وجواب «إذا» ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾(٥)، اشتملت الآيات على اثني عشر حدثا جللا، أحدثها تقع بين السماء والأرض، وهي أوصاف القيامة وأحداثها الجسام، سيقت

---

(١) ينظر: المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢٣/٢)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (١٧٠/٣٠).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٧٠/٣٠) وما بعدها.

(٣) ينظر: البدوي، من بلاغة القرآن (ص١٣٦).

(٤) ينظر: بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم (٨١/١).

(٥) ينظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢٥٤/٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتعظيمها وتخويف الناس بها، وفيها توكيد على تغيير مظاهر نواميس الكون: كانمحاق ضوء الشمس، وانطفاء النجوم، وتسيير الجبال، وجمع الوحوش، وتعطيل العشار عن طبيعتها، وتفجير البحار، واشتداد حرارة المياه والتهابها، وتشقق السماء، وتصنيف الناس حسب أعمالهم، ونشر كتب الأعمال وتأجيج النار وتهيئة الجنة، وكلها ترتبط بجواب واحد، وهو قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ أي: وجواب الشرط معرفة الإنسان لنتاج عمله الطيب والخبيث، ثم يُجزى به، والسياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون إنكارًا شديدًا، وعليها مدار إصلاح الفرد والجماعة[1].

- قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ١-٥]، وجوابه ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[2]، تتكرر مشاهد الانقلاب الكوني بين السور، ولكنّ هذا التكرار محمود، فهو من قبيل تنويع المشاهد المصوّرة، ففي كل مشهد نلاحظ صورًا جديدة، وإضافات أخرى، تتفق مع الغرض والسياق الواردة فيه.

فالمشاهد مترابطة متناسقة، يكمل بعضها الآخر، ضمن نظام العلاقات التصويرية والفكرية والتعبيرية، وليس تكرارًا بدون فائدة؛ فالسماء مشقوقة، والكواكب مبعثرة، وما أقوى الصلة بينهما، فالسماء تنشق، والكواكب تتناثر، لا نظام يجمعها، ولا جاذبية تحفظها، والقبور متشققة عن الأجساد، تنثر الأجساد من جوفها، والبحار متفجرة، وما أقوى الصلة بين تفجر

---

(١) دروزة، التفسير الحديث (٥٠٠/١)، والجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (٥٢٤/٥).

(٢) ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن (١٢٧٤/٢)، والخراط، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٢٦/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البحار، فتطغى مياهها، وبعثرة القبور تخرج ما دفن فيها من الموتى، فحركة الانفجار فيهما مترابطة، فبين هذه الصور الكونية المرعبة ترابط وتواصل ضمن السياق، فهي إيحاء بالأهوال والأحوال المخيفة، بمنزلة الطوارق على الحس لإيقاظه، وتهيئته لاستقبالِ فكرةِ الرسالةِ المطلوبة في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، وعليه، فلهذه الصور إيحاءاتها في رسم معالم المشهد الكوني، وهو يؤكد من جهة أخرى وحدة التصوير الفني في القرآن الكريم، كما يؤكّد وحدة الرؤية للحياة والكون والإنسان في القرآن الكريم[1].

- قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ١-٦]، وجوابها مقدّر، أي: علمت النفوس أعمالها[2]، فالسورة تبدأ ببعض مشاهد الانقلاب الكوني، وهي هنا ذات طابع خاص يختلف عن سورة التكوير، وهو طابع الاستسلام لله، استسلام السماء واستسلام الأرض في طواعية وخشوع ويسر، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾، استسلمت السماء لأمر ربها فانشقت، وهو مظهر من مظاهر الخضوع، وكذلك الأرض امتدت رقعتها، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، وهو تعبير يصور الأرض بالكائن الحي الذي يلقي ما فيه، ويتخلى عنه، وفيها ما لا يحصيه إلا الله من الخلائق، وكذلك من معادن، ومياه، وأسرار لا يعلمها إلا بارئها، وتبقي نبرة الاستسلام سائدة في غير ما جلبة ولا معارضة، وفي ضوء هذا المشهد الخاشع الطائع، يجيء النداء العلوي للإنسان، وأمامه الكون بسمائه وأرضه مستسلمًا لربه هذا الاستسلام: يا أيها الإنسان تقطع رحلة حياتك

---

(١) الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص٣٣٤-٣٣٥)، والبدوي، من بلاغة القرآن (ص١٣٦).

(٢) ينظر: صافي، الجدول في إعراب القرآن الكريم (٢٧٩/٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كادحًا، وتشق طريقك تبعًا، لتصل إلى ربك، فإليه المرجع، وإليه المآب بعد الكد والكدح والجهاد، وستلقى ما عملت إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فويل لمن أشقى طريقه كادحًا إلى الله عاصيا آثما، فسيدرك أنه عناء طويل بلا توقف، فسيدعو ثبورا، وسيلقى سعيرا، والعياذ الله[1].

أسلوب الشرط من الأساليب اللغوية البيانية التي لها وقع حسن على الكلام، وهي بلا شك تزيد الهدايات القرآنية وضوحًا، وذلك بربط الظواهر الكونية بالبعث حيث يُسأل المرء عما قدمه من خير أو شر، وهو أمر يناسبه التهويل والتعظيم، وهذا هو عين يضفيه أسلوب الشرط على الكلام، فزيده رونقًا وبهاء.

(١) ينظر: الباز، التفسير التربوي للقرآن الكريم (٣/٥٤٠) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

محاور الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات القرآنية الكونية وأثرها على الفرد والمجتمع – دراسة تطبيقية

وفيه تمهيد ومبحثان:

تمهيد.

المبحث الأول : محاور الاتجاه الهدائي للآيات الكونية.

المبحث الثاني : آثار الاتجاه الهدائي على واقع الأفراد والأمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

في هذا الفصل سأتناول الجانب التفسيري العملي للآيات الكونية من خلال الاتجاه الهدائي، وذلك بالوقوف على المحاور الرئيسة للاتجاه الهدائي في تفسير الآيات الكونية، مع بيان آثار هذه الهدايات على الفرد والمجتمع، وهذا كله بالاتكاء على ضرب الأمثلة من الآيات الكونية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

محاور الاتجاه الهدائي للآيات الكونية

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد

المطلب الأول : الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك.

المطلب الثاني : دعوة الأنبياء من خلال الآيات الكونية لإثبات وحدانية الله.

المطلب الثالث : سوق الآيات الكونية لإرشاد البشرية إلى ما يصلحها.

المطلب الرابع : تحفيز الآيات الكونية على البحث والاكتشاف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

مضامين الآيات المكية يغاير مضامين الآيات المدنية، فـ«السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين»[1]، وقد تناولتُ -مستقرئا- بعض المضامين المختصة بالآيات الكونية المكية والمدنية، ولم أرَ أنه يمكننا الفصل بين الآيات المكية والمدنية، وذلك لقلة المادة العلمية أولًا المتعلقة بالآيات المدنية، وتداخل المعاني ثانيًا، والله الموفق.

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٣٨٢/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك

إن المتأمل للآيات الكونية في العهد المكي خاصة يجدها تساق لتقرير التوحيد الذي هو المقصد الأعظم لآيات العهد المكي عامة، والآيات الكونية خاصة؛ كالإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من البعث والحشر والجزاء والإيمان بالرسل والملائكة وإقامة الأدلة العقلية على ذلك، فقد كان مجتمع قريش تحت وطأة الشرك والوثنية لا يُقرّون بنبوة، ولا بعث، فركزت الآيات ومنها الكونية على دعوتهم للإيمان بهذه الأصول(١)، يقول الفخر الرازي: «والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر للّه تعالى»(٢).

وقد تنوعت دلالات القرآن في التعبير عن ذلك بصيغ مختلفة ومعان متنوعة، كلها تصب في مفهوم التوحيد، وسنورد علاقة الآيات الكونية بالتوحيد فيما يلي:

١- الدعوة إلى أصول الإيمان:

من أهم مقاصد الآيات الكونية إثبات الوحدانية لله تعالى، وما يتعلق بها من حقائق الإيمان وأصوله، ونفي الكفر وما يتعلق به من ترهات الشرك وأوهامه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٣].

---

(١) ينظر: أبو شُهبة، محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبه السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م. (ص٢٢٧). والصالح، مباحث في علوم القرآن (ص١٨٣).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (١/١٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقف مع هدايات هذه الآيات: فهي تجول بالقلب البشري في مجالات الكون الضخمة المسير بقدرته وحكمته سبحانه، وهم معرضون عن آياتها؛ فالسموات والأرض كانتا متصلتين ببعضهما بادئ الأمر، ففتق الله تعالى هذه عن هذه، وجعل كل واحدة منها سبعا، وفصل بينهما بالهواء، ومن آياتها المطر الذي هو سر الحياة ووجودها، ومن آياتها الجبال الرواسي لحفظ توازن الأرض، ومن آياتها السماء المحفوظة من الخلل، والمحفوظة من الدنس باعتبارها رمزا للعلو، وهي محفوظة من التغير بالمؤثرات، فما وضعه الله من أدلة كونية –الشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها بحساب قويم وترتيب عجيب– دال على حكمته البالغة وقدرته الباهرة، فأي جهل أعظم من جهل من أعرض عنها، ولم يتدبرها ويعتبر بها ويستدل على عظمة من أوجدها[1]؟!

وهذه الآيات فيها هداية عقدية، تدل على قدرة الخالق وعظمته، فالكون صفحة مبثوثة في الوجود أودعها عزّت قدرته ما لا يعرف كنهه من إشارات ودلائل تدل عليه سبحانه، وتحث العقل حثا للتدبر في آيات الله تعالى التي تقود إلى الإيمان، فيا عجبًا ممن يرون دلائل قدرته، ثم لا يسوقهم تدبرهم إلى الإيمان بالخالق المدبر الحكيم!

٢– الله هو الخالق المتفرد والمتصرف في الكون[2]:

أكدت الآيات الكونية التفرد المطلق لله في هذا الكون، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد بيَّنت الآيات ذلك أتمَّ بيان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ

---

(١) الباز، أنور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤هـ. (٣٥٤/٢).

(٢) الوعلان، الآيات الكونية دراسة عقدية (ص٣٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

قال طنطاوي: «إن هؤلاء المشركين لم يعظموا الله حق تعظيمه، حيث أشركوا معه في العبادة آلهة أخرى هي من مخلوقاته، والحال أنه- سبحانه- هو المتولي لإبقاء السموات والأرض على حالهما في الدنيا، وهو المتولي لتبديلهما أو إزالتهما في الآخرة، فالأرض كلها مع عظمتها وكثافتها تكون يوم القيامة في قبضته وتحت قدرته، كالشيء الذي يقبض عليه القابض، والسموات كذلك مع ضخامتها واتّساعها تكون مطويات بيمينه وتحت قدرته وتصرفه، كما يطوي الواحد منا الشيء الهين القليل بيمينه، وما دام الأمر كذلك فكيف يشركون معه غيره في العبادة؟ فالمقصود من الآية الكريمة بيان وحدانيته وعظمته وقدرته- سبحانه- وبيان ما عليه المشركون من جهالة وانطماس بصيرة حين أشركوا معه في العبادة غيره»[(١)].

هذه الهداية العقدية ترشد إلى أنّ الله تعالى هو المتصرف في الكون، بيده الأمر كله، وقد قوَّت المظاهر الكونية هذا المعنى، فإن كانت على عظمتها واتساعها ذليلة حسيرة منقادة أمام قدرة الله وعظمته، فالإنسان الغافل -وهو يرى عظمة الكون مقابل صغر حجمه وضعف قوته وقلة حيلته وخوفه من تلك الظواهر الكونية- أولى بالخضوع والتذلل لخالقه.

٣- ربط الظواهر الكونية بأسماء الله وصفاته لتحقيق توحيده سبحانه وتعالى:

وقد ارتبطت الآيات الكونية بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا كصفة العلم والقدرة والإرادة والإحياء والإماتة، وغيرها، وذلك لتحقيق توحيد الله وإفراده بالعبادة والخلق والتدبير،

---

(١) طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، (٢٤٦/١٢و٢٤٧)، وينظر: دروزة، محمد، التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، ١٣٨٣هـ، (٣٤٤/٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥].

يربط سيد قطب المظاهر الكونية من خلق السماوات والأرض، وتسخير الشمس والقمر بنهاية الآية ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ﴾، بقوله: «فمع القوة والقدرة والعزة هو غفار لمن يتوب إليه وينيب، ممن يكذبون عليه ويكفرون به، ويتخذون معه آلهة، ويزعمون له ولدًا -وقد سبق حديثهم-، والطريق أمامهم مفتوح ليرجعوا إلى العزيز الغفار»[(١)].

ومثلها أيضًا قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢]. وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۛ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]، «والمعنى الإجمالي للآية: الذي خلق السماوات والأرض بأجزائهما وما استقر فيهما، وخلق الكواكب التي زيَّن بها سماواته، وخلق ما بين السماء والأرض من الهواء والأشعة الكونية، وما يعلمه الناس وما لا يعلمونه، فاسأل عن الرحمن الذي أبدع هذا الكون العظيم، وشمل من فيه برحمته، اسأل عنه أيها المكلف رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، فهو وحده الخبير الذي يعلم شؤون ربه في خلقه، وهو وحده الذي يجيبك بحق، وصدق»[(٢)].

هذه الهدايات العقدية نجد فيها الربط واضحًا جليًّا بين المظاهر الكونية وأسماء الله وصفاته، فيزيدها بيانًا وجلاء، فمع أنّ الله تعالى ذلَّ لعظمته الكون كله، فهو غفار لعباده، وهو الغني عنهم، العزيز القاهر الذي لا يغلب، فأبرزت المظاهر الكونية عظم رحمته سبحانه بعباده.

---

(١) قطب، في ظلال القرآن (٣٠٣٩/٥).

(٢) مجموعة من علماء الأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٥٣٤/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- الكون مربوب لله سبحانه وتعالى وخاضع له:

الكون وما فيه من جمادات ومخلوقات خاضع ذليل منقاد لأمره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١١-١٢] ، يقول سعيد حوى في تفسير هذه الآية: «إنها إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس، وإلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته. فليس هنالك إذن إلا هذا الإنسان الذي يخضع للناموس كرهًا في أغلب الأحيان. إنه خاضع حتمًا لهذا الناموس، لا يملك أن يخرج عنه، وهو ترس صغير جدًا في عجلة الكون الهائلة؛ والقوانين الكونية الكلية تسري عليه رضي أم كره. ولكنه هو وحده الذي لا ينقاد طائعًا طاعة الأرض والسماء. إنما يحاول أن يتفلّت، وينحرف عن المجرى الهين اللين، فيصطدم بالنواميس التي لا بد أن تغلبه- وقد تحطّمه وتسحقه- فيستسلم خاضعًا غير طائع. إلا عباد الله الذين تصطلح قلوبهم وكيانهم وحركاتهم وتصوراتهم وإرادتهم ورغباتهم واتجاهاتهم»[(١)].

---

(١) حوّى، الأساس في التفسير (٥٠١١/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذه الهداية يبرز خضوع الكون كله لله، فلا يعقل أن تسجد الشمس والقمر والنجوم وكل من في الكون، ويبقى الإنسان جاحدًا كفورًا!

٥- إثبات صفات الكمال لله ونفي صفات النقص:

ومن أعظم صفات النقص أن تجعل لله ندًا أو صاحبة، أو نسبة الولد إليه سبحانه، وقد رد القرآن هذه الفرية مذكرًا الناس بخصائص ربهم وقدرته وعظمته على الخلق، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠٣]، يقول ابن عاشور: «فبعد أن أخبر بأنه تعالى مبدع السماوات والأرض أخبر أنه خالق كل شيء، أي كل موجود فيشمل ذوات السماوات والأرض، وشمل ما فيهما، والملائكة من جملة ما تحويه السماوات، والجن من جملة ما تحويه الأرض عندهم، فهو خالق هذين الجنسين، والخالق لا يكون أبا كما علمت، ففي هذه الجملة إبطال الولد أيضا، وهذا إبطال ثالث بطريق الكلية بعد أن أبطل إبطالا جزئيا، والمعنى أن الموجودات كلها متساوية في وصف المخلوقية، ولو كان له أولاد لكانوا غير مخلوقين»[١].

وفي هذه الهداية العقدية نجد ابن عاشور يحتج بالمظاهر الكونية على تنزيه الله من النقص والعيوب، وهو بذلك يضع إلزامات عقلية منطقية ملزمة للمنكر، وهذا يبرز العلاقة الوثيقة بين المظاهر الكونية وتنزيه الله سبحانه وتعالى.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧/٤١١و٤١٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦- إثبات القدرة على الخلق والبعث:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩]، أي: «لما أنكروا البعث نبَّههم تعالى على عظيم قدرته وباهر حكمته، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ لهم على ما كانوا يستبعدونه من الإعادة، واحتجاج عليهم بأنَّهم قد رأوا قدرة الله على خلق هذه الأجرام العظيمة التي بعض ما تحويه البشر، فكيف يقرون بخلق هذا المخلوق العظيم ثم ينكرون إعادة بعض مما حلَّه، وذلك مما لا يحيله العقل بل هو مما يُجوِّزه»(١).

هذه الهداية العقدية تربط بين المظاهر الكونية وقدرة الله على الخلق وإعادته، فما دام المشركون قد اعترفوا بقدرته سبحانه وتعالى على الخلق والإيجاد، وقد خلق هذا الكون الفسيح على اتساعه، فكيف يعجز عن خلق الإنسان الضعيف التافه بالنسبة لخلق السماوات والأرض، فالمظاهر الكونية تقوي المعنى، وتثبت قدرة الله المطلقة على ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تكرس مفهوم التأمل والتدبر عند الجاحد، لعله يرتدع عن غيه.

ومثله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ [الروم: ٢٤-٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا

---

(١) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (١١٦/٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ١١]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

٧- إقامة الأدلة على أن القرآن حق لا شك فيه[١]:

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٢-٤].

جاء افتتاح سورة السجدة على نسق السور المكية، فتناولت وحدانية الله، وإمكانية البعث، وصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين، وأكدت الآيات الكونية على إثبات هذه الوحدانية والرسالة، فالذي أنزل القرآن الكريم: هو الله تعالى خالق السماوات والأرض ومبدعهما وما بينهما، من غير مثال سابق في ستة أيام، ثم استوى على أعظم مخلوقاته: وهو العرش استواء يليق بذات الله وجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل، وليس لكم أيها الناس ولا سيما الكفار ولي ينصركم، ويدفع عنكم العذاب، ولا شافع يشفع لكم عنده إلا بإذنه، بل هو المالك المطلق لكل شيء، أفلا تتدبرون وتتعظون، فتؤمنوا بالله وحده لا شريك له[٢].

في هذه الهداية العقدية ربط القرآن بين قضية الوحي وصدقه والمظاهر الكونية، وذلك لتذكير العباد ببدائع صنعة الخالق في هذا الكون، فمن كانت هذه قدرته، فلن يعجز عن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، لهداية البشرية -رحمة بهم- فلم تستهجنون الوحي، وتنكرون الكتب

---

(١) ينظر: أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٢٢٨)،

(٢) ينظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (٢٠٤٢/٣)، والحجازي، محمد، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ. (٥٩/٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والرسل، وهي دعوى لا تقوم على دليل، فذكرهم القرآن بقدرته سبحانه على إيجاد الكون؛ لأنه من آمن بالله آمن بالوحي المنزل من عنده، وهذا ترابط لطيف يقرع العقول ليوقظها من سباتها.

ومثله قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢-٦].

تقرر الآيات ابتداء بأن الكتاب الذي نُزّل على النبي صلى الله عليه وسلم هو تنزيل من الله العزيز الحكيم، ثم لفتت نظر السامعين إلى مشاهد عظمة الله وقدرته في الكون مما هو ماثل للناس وتحت نظرهم وحسهم؛ كالسماء والأرض وما هو مبثوث فيها ...إلخ، ثم جاءت الآية الأخيرة تؤكد أن هذه الآيات من الله تعالى، والاستفهام فيها استنكاري ينطوي على تنديد موجه إلى الكفار لإصرارهم على الجحود بنبوته صلى الله عليه وسلم، لا سيما وهم لا ينكرون أن الله هو خالق السموات والأرض وخالقهم ومدبر الكون وما فيه[1].

في هذه الهداية يظهر ذلك الترابط الوثيق بين الوحي والمظاهر الكونية، حيث بقيت الآيات تؤكد على قضية صدق الوحي والرسالة في أكثر من آية، فَصَل بينها الحديث عن المظاهر الكونية، لعل المنكر يدرك بأنه من الله تعالى، فتلك الآيات الكونية من اختلاف الليل والنهار، ونزول المطر وغيرها آيات ربانية من شأنها أن تقنع كل من يوقن ويتفكر، فمن أعرض عنها مع وضوح دلالتها فلن يؤمن بسواها، والآيات على هذا المعنى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟

---

(١) ينظر: دروزة، التفسير الحديث (٤/٥٥٧-٥٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢-٤].

وقد أقسم الله بالظواهر الكونية على صدق الكتاب وصدق من جاء به صلوات الله وسلامه عليه، يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٧]، «هنا يقسم الله بالكون على نزول القرآن من عند الله؛ لأن القرآن عندما تستقر قضية نزوله من عند الله في القلب والعقل فإن النفس تطمئن للبعث»(١).

وقد أقسم الله تعالى بالكون على صدق نزول القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم في غير موضع، يقول سبحانه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠]، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴾ [التكوير: ١٥-٢٦]، «وفي هذه الآيات قسم بالمشاهد الكونية المذكورة وحركاتها بأن الذي يبلغ وحي الله هو رسول كريم أمين على ما ينقل قوي على حمل الأمانة حظي عند الله، وبأن النبي صلّى الله عليه وسلّم ليس مجنونا وبأنه قد رأى ملك الله في أفق السماء، وبأنه صادق فيما يقول غير متهم في أمانته، وغير مخف شيئا مما رآه وسمعه وعرفه، وبأن ما يبلغه ليس من تخليط الشيطان الرجيم وأقواله»(٢).

---

(١) غريب، محمود، سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، دار التراث العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٨هـ، ١٩٨٨م، (ص١٥٨).

(٢) دروزة، التفسير الحديث (٥٠٣/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذه الهداية العقدية تأكيد على الربط المتعمد بين المظاهر الكونية وصدق الرسول بما أنزل عليه من وحي، وقد غُلِّفت بأسلوب القسم لإضفاءالتوكيد على هذه المسألة الحيوية، التي يتترس بها المشركون لإنكار الرسالة، والقسم بالنجم فيه من الجلال والهيبة ما يشعر بأن الكون له متناغم ومتَّسق في التوجه إلى الله، سائر تحت مشيئته، مربوب له سبحانه، ومثل ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤].

يقرّر القرآن الكريم العقيدة وعزَّزها، فاحتج بآيات الكون المنظور وربطها بشكل مباشر أو غير مباشر بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وذلك كله ليغرس أصول هذه العقيدة الصافية، فيثبت صفات الكمال لله سبحانه، وينزهه عن صفات النقص، وهو بذلك يخاطب في بني البشر فطرهم السليمة، ويرشدها إلى وحدانية الله عزَّ وجلّ بما يقيمه من أدلة وبراهين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

دعوة الأنبياء من خلال الآيات الكونية لإثبات وحدانية الله

لقد كان لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم صولات وجولات لتقرير عبادة الله وحده، ونفي الشريك معه، وقد اعتمد أنبياء الله تعالى على الحوار وإيراد الحجج الدامغة، ومن تلك الحجج الظاهرة لتقرير العقيدة الآيات الكونية الدالة على قدرة الله سبحانه، وقد ورد في القرآن حوارات الأنبياء مع أقوامهم وما فيها من حجج كونية على إثبات الوحدانية لله، قال تعالى ملخصًا دعوة جميع الأنبياء لأقوامهم باعتمادهم على الآيات الكونية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]، ثم جاءت حجج الأنبياء لأقوامهم عن قوس واحدة، يقول تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].

يقول سيد قطب: «وقد استنكر الرسل هذا الشك، والسماوات والأرض شاهدان، ...، أفي الله شك والسماوات والأرض تنطقان للفطرة بأن الله أبدعهما إبداعا وأنشأهما إنشاء، قالت رسلهم هذا القول؛ لأنّ السماوات والأرض آيتان هائلتان بارزتان، فمجرد الإشارة إليهما تكفي، ويرد الشارد إلى الرشد سريعًا، ولم يزيدوا على الإشارة شيئا؛ لأنها وحدها تكفي، ثم أخذوا يعددون نعم الله على البشر في دعوتهم إلى الإيمان، وفي إمهالهم إلى أجل يتدبرون فيه، ويتقون العذاب»[1].

---

(١) قطب، في ظلال القرآن (٤/٢٠٩٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا تذكير الأنبياء لأقوامهم بالآيات الكونية بشكل عام، وسنقف على هذا التذكير تفصيلًا فيما يلي:

– فهذا نبي الله نوح عليه السلام، يدعو ربه بعد أن استنفد جميع وسائل الدعوة الممكنة التي يحتملها البشر، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [نوح: ٥]، والشاهد «لم يدع نوح عليه السّلام دليلا إلا استدلّ به لقومه على وجود الله ووحدانيته وقدرته، من خلق السماوات والأرض، وخلق الناس، وإنبات النبات، ولكنهم قوم أغبياء وحمقى، فأصرّوا على ملازمة عبادة الأصنام والضلال والإضلال»[(١)]، فلما أعرضوا ذكرهم بآثار نعمة الإيمان في الدنيا: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠–١٢]، ثم استدلّ عليهم «بخلق السماوات على كمال قدرته وبديع صنعه، وأنه الحقيق بالعبادة»[(٢)]، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٥–١٦]، يقول النجار: «هذه الدقة البالغة في التفريق بين الضوء المنبعث من جسم ملتهب، مشتعل، مضيء بذاته، وبين سقوط هذا الضوء على جسم مظلم بارد، وانعكاسه نورا من سطحه، وبطريقة مطردة في كل القرآن الكريم، لا يمكن أن يكون لها مصدر من قبل ألف وأربعمائة سنة إلا الله الخالق»[(٣)].

وعليه فلا نستغرب من صيغة الاستفهام على لسان نبي الله نوح عليه السلام، فهي «دعوة إلى إيقاظ هذه العقول النائمة، ... والعيون المغلقة، التي لا ترى شيئا فيما حولها من هذا

---

(١) الزحيلي، التفسير الوسيط (٣/٢٧٤٥).

(٢) الشوكاني، فتح القدير (٥/٣٥٧).

(٣) النجار، السماء في القرآن الكريم (ص٥٠٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجود، وما فيه من آيات شاهدة على قدرة الله وحكمته»[1].

– وعليه فإن نبي الله نوحًا عليه السلام وجد الكون ميدانا فسيحًا للدعوة إلى الله؛ والاستشهاد به على الخالق، فالبعرة تدل على البعير، والخطو يدل على المسير، وقد حث قومه على تبصر هذا الكون ودقيق صنعه، واستخلاص العبر، لعلهم إلى ربهم يرجعون آيبين عابدين، وهم وإن كانوا لا يحيطون بالسماء، وتوهج الشمس وضياء القمر علميا، لكنهم قادرون على تأمل الحكمة من تناسق هذا الكون؛ فهم يهتدون بالشمس والقمر، ويلحظون فرقًا في اختلاف وظائفهما، وهذا لا يكون دون مدبر حكيم، وهذا هو عين ما يطلبه الأنبياء من أقوامهم، أي التفكر في حكمة هذا الخلق، وبديع صنعه، وتنوع وظائفه.

– وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يحاور ملِكًا يدعي الألوهية محتجًّا عليه بالآيات الكونية لتتبين حقائق التوحيد، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:الآية ٢٥٨]، يقول محمد أبو زهرة: «الشركة تقتضي المساواة في القدرة والسلطان والخلق والتكوين، ...، والله سبحانه يأتي بالشمس من المشرق، .... فعلى المدعي أن يعاند هذا النظام المسيطر الذي يدعي ربوبيته عليه، بأن يأتي بالشمس من جهة الغروب، .... فليست القدرة في أن تدعي إنشاء نظام وجد قبل أن توجد أنت وأشباهك من الطغاة، إنما القدرة تكون في تغييره، ... ولذا حكى الله سبحانه وتعالى حاله في قوله: (فَبُهِتَ الَّذِي كفَرَ) أي تحير واضطرب ...، إذ لو كان طالب هداية لكانت الحجة

---

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (١١٩٩/١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القاطعة الملزمة هادية بدل أن تكون محيرة، ولكنه صمم على الكفر»[1].

هذا الحوار من إبراهيم عليه السلام يدل دلالة قاطعة على أنّ الاحتجاج بالكون ومظاهر خلقه، نهج اتبعه الأنبياء في تقديم الهدايات للناس الموصلة للتوحيد الخالص، ولا شك بأن العقل السليم والفطرة الهادية تقودان إلى الإيمان بالله، فكيف بهما إذا اجتمع معهما نور الرسالة.

- وهذا موسى عليه السلام سأله فرعون عن ربه جلَّت قدرته، فوجهه إلى ملكوت السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨].

من هداية هذه الآيات تساؤل فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: استفهم استفهام إنكار[2]؛ ولهذا أجابه موسى بما يقيم الحجة عليه[3]، بقوله: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ أي: خالق جميع ذلك ومالكه، والمتصرف فيه وإلهه، لا شريك له، هو الله الذي خلق الأشياء كلها، العالم العلوي وما فيه، والعالم السفلي وما عليه، وما بينهما، فالجميع عبيد له

---

(١) ينظر: أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (٢/٩٥٨-٩٥٩).

(٢) لا استفهام عن الماهية، والمسؤول عنه لا ماهية له كما يزعم بعضهم، فعدل موسى عن ذكر الماهية. فهذا قول باطل، رده العلماء. ابن تيمية، أحمد، الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، المحقق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٩هـ، (ص١٩٦)، ووافقه ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦/١٣٨).

(٣) ينظر: ابن تيمية، أحمد، الصفدية، المحقق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ، (١/٢٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خاضعون ذليلون[١]، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فآثار تربيته عز وجل فائضة على كل الموجودات، فسبحانه ما أعظم شأنه لا تلاحظه العيون، ولا تطالعه العقول، شأنه لا يضاهى، وإحسانه لا يتناهى[٢]، فيتهم فرعون موسى عليه السلام بالجنون، «والطغيان لا يخشى شيئا كما يخشى يقظة الشعوب، وصحوة القلوب»[٣]، فيذكره موسى، بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ يقول أبو منصور الماتريدي: «ذكر هاهنا قدرته وسلطانه، وهو ما يأتي بالنهار من المشرق، وبالليل من المغرب، ويطلع الشمس من المشرق، ويغربها من المغرب؛ وكذلك القمر والنجوم، ففيه دلالة البعث؛ لأن من قدر على أن يأتي بالنهار من كذا، وبالليل من ناحية كذا، والشَّمس والقمر من كذا، قادر على البعث، لا يعجزه شيء؛ ففي كل حرف من هذه الأحرف دلالة واستدلال على شيء ليس ذلك في الأخرى»[٤].

هذه الهداية العقدية تدل على احتجاج الأنبياء بمظاهر الكون لإثبات ربوبية الله لخلقه؛ لأنها تستعصي على الجاحدين المنكرين، فلا سبيل لهم إلا فهم شيء يسير من مظاهره فضلا عن التحكم في ملكوت السماوات والأرض، فمهما أوتوا من علم فهم عاجزون أمام قدرة الله وجبروته، فالكون من أوضح الأدلة على وحدانية الله تعالى، فكيف يكون هذا الكون مع دقة نظامه موجود من غير موجد؟! فالاحتجاج بالكون يضع كل من نازع الله في ربوبيته في موضع العبودية الصحيح، ليتساوى مع غيره من البشر.

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٣٨/٦).

(٢) ينظر: القنَّوجي، محمد، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م. (٤٥/١).

(٣) قطب، في ظلال القرآن (٢٥٩٢/٥-٢٥٩٣).

(٤) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، وهو تفسيره، (٥٥/٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وههنا هداية دعوية لكل من يتصدى للدعوة إلى الله وهي مقابلة موسى عليه السلام الحجة بالحجة، والكلمة بالكلمة؛ لأن الصمت في مقام التبليغ إخلال به[1].

– وكذلك هود عليه السلام فقد ذكّر قومه بنعم الله عليهم، كنعمة المطر، وموضعها الكون، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢]، نعمة المطر من النعم التي يرى الناس آثارها، ولم يعرفوا كنهها إلا في العصر الحديث، وذلك أن الهواء الساخن أخف وزنًا من الهواء البارد، فإذا اصطدم بتيار هوائي بارد تتكون الغيوم، فإذا كانت البرودة كافية سقط المطر، وهو ما يسمى مطر الضغط الجوي المنخفض، أما إذا كانت حرارة الهواء تحت درجة التجمد، فإن البخار المائي المتكثف يتحول إلى بلورات جليدية[2].

يقول الشعراوي مبيناً صلة الاستغفار بالمسألة الكونية: «إن للكون مالكاً لكلِّ ما فيه؛ جماده ونباته وحيوانه؛ وهو سبحانه قادر، ولا يقدر كائن أن يعصي له أمراً؛ وهو القادر أن يخرج الأشياء عن طبيعتها؛ فإذا جاءت غيمة وتحسب أنها ممطرة؛ قد يأمرها الحق سبحانه فلا تمطر، ... إنما ربُّ الأسباب يملكها؛ فإن شاء فعل ما يشاء»[3].

فهذه الهداية العقدية تبين أنّ هودًا عليه السلام يماثل إخوانه من الأنبياء في احتجاجهم بالمسائل الكونية (المطر) في إثبات ربوبية الله لخلقه، وقد قرن الله تعالى إغداق نعمه على العبد وديمومتها بعبادته وحده، فهو مسبب الأسباب وفق سنن ثابتة، فقد يكون المطر نعمة على قوم،

---

(١) ينظر: حوى، الأساس في التفسير (٣٩١٤/٧).

(٢) عطية، الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم (ص٣٢٢).

(٣) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (٦٥٠١/١١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونقمة على آخرين وفق إرادته ومشيئته، وهذا يكشف سر تناغم الكون مع أصول الدين من خير وشر، وهنا يمتاز المؤمن المصدق عن الكافر الجاحد المكذب.

والحاصل أن ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم فيها عبرة، فدين الأنبياء واحد، ودعوتهم واحدة، جاءوا بالتوحيد الخالص والإيمان بالله[1]، فصبروا وصابروا وثبتوا على الحق، وقد كانت حججهم الدامغة نابعة من إيمانهم بالله وما أودعه الله تعالى في هذا الكون من أسرار أقاموا به الحجة على من خالفهم حتى نصرهم الله جلت عظمته.

---

(١) ينظر: أبو شُهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص٢٢٩)، والقطان، مباحث في علوم القرآن (ص٦٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

سوق الآيات الكونية لإرشاد البشرية إلى ما يصلحها

سيقت المظاهر الكونية في القرآن الكريم –بعد استقرائها– لمخاطبة النفس البشرية، إما تذكيرًا وإما تثبيتًا، علَّها تعمل على ما ينفعها في دينها ودنياها، وقد خُوطبت بأساليب مختلفة، ومعان متنوعة، لإرشادها إلى ما يصلحها، وما ستلقاه إن هي جحدت ونسيت ما وعظت به، وسأتناول مخاطبة القرآن الكريم لهذه النفس من خلال المظاهر الكونية فيما يلي:

أولًا: إعلام البشر بأنّ معية الله تكون للناس عامة والمؤمنين خاصة؛ وتجلت هذه المعية بقسم رب العزة جلت قدرته بالمظاهر الكونية على عدم هجره صلى الله عليه وسلم، ونصرته، فمعية الله أعظم نصرة حظي بها خليل الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضُّحى: ١-٣]، يقول ابن القيم رحمه الله في ذلك: «إنعامه على رسوله وإكرامه له وإعطائه ما يرضيه، وذلك متضمن لتصديقه له، فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة، فهو قسم على النبوة والمعاد، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار، فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافى بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتى قال أعداؤه: ودع محمداً ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه، وأيضًا فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة، فهذان للحس، وهذان للعقل، ... فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، وتأمل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الألفاظ والجلالة التي على معانيها، ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه، فالتوديع: الترك، والقلى: البغض، فما تركه منذ اعتنى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

به وأكرمه ولا أبغضه منذ أحبه»[1].

ومن ذلك معية الله لعباده كافة، فقد أقسم الله سبحانه وتعالى في سورة الطارق «بالسماء وبالنجم الثاقب إن للنفوس رقيبا يحفظها، ويدبر شؤونها فى جميع أطوار وجودها حتى ينتهى أجلها، وذلك الحافظ والرقيب هو ربها المدبر لشئونها، المصرّف لأمورها فى معاشها ومعادها»[2]، وقد وكّل ببني آدم الملائكة الحفظة: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ [الطارق: ١-٤]، ولا شك أنَّ معية الله للمؤمن سبيل إلى عزته ومنعته، فمن رحمته بهم أرشدهم إلى صلاحهم وفلاحهم، وأبان لهم مزالق الشيطان، فكيف سيكون حال الأمة جمعاء لو أنها استعانت بالله واستجارت به؟

لذلك أنزل الله تعالى على نبيه صلوات الله وسلامه عليه ما يحفظ به عباده، وذلك بالاستجارة به، والالتجاء بجنابه، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ١-٣]، والأمر لنبينا صلى الله عليه وسلم أمر لنا، لأننا المقصودون بالتكليف، ولا دليل على الخصوصية، والمعنى: قل لأمتك أيها الرسول الكريم أن يقولوا: أعوذ وأستجير وأعتصم، بالله تعالى الذي فلق الليل، فانشق عنه الصباح، والذي هو رب جميع الكائنات، ومبدع كل المخلوقات، قل أعوذ بهذا الرب العظيم مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ من المخلوقات؛ فهو العاصم من شرها والمالك لها والمتصرف في أمرها والقابض على ناصيتها والقادر على تبديل أحوالها وتغيير شؤونها[3].

---

(١) ابن القيم، محمد، التبيان في أقسام القرآن، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، (ص٧٢-٧٣).

(٢) ينظر: تفسير المراغي (١١٠/٣٠).

(٣) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٥٤٤/١٥)، وابن باديس، مجالس التذكير (ص٣٧١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

«والآية الكريمة تدعو المؤمنين إلى الحرص على التوحيد، وتفويض الأمر إلى اللَّه تعالى، وأن يبعدوا عن الأوهام المضلة، فلا يعتقدون في مخلوق أن فيه قوة تشفي أو تنفع، فإن الأوهام أدت إلى الشرك في جاهلية العرب وأدت النصارى إلى التثليث، ولا تزال الأوهام تسيطر عليهم حتى تأدت بهم إلى عبادة الأحجار والصور والتماثيل»[1].

يقول ابن باديس رابطًا الدلائل المادية (ظواهر كونية) بالمعنوية (أثرها على قلب المؤمن) للسورة: «وسر إضافة الفلق إلى (رب) هنا: أن الفجر بمعناه العرفي هو تشقق الظلمة عن النور، فإن الليل يكون مجتمع الظلمات مسدول الأوراق، فإذا جاء الصبح حصل الانفراق، والذي يبقى بعد ذلك الانفلاق هو النور الذي نفى الظلمة، ولا ينفي ظلمات الشر والضلال والباطل إلاّ أنوار الخير والهدى والحق من خالقها وفالق أنوارها»[2].

فهذه المعية هي هداية للنفس البشرية وحفظ لها، وقد سيقت تارة بالقسم، وتارة بالجملة الخبرية، للتنبيه على أهمية هذه المعية للمؤمن، ومما زاد في قوتها، وتأثيرها، سوق المظاهر الكونية في التدليل عليها، مع ضعف الإنسان وشدة حاجته.

ثانيًا: معرفة الإنسان لنتاج عمله الطيب أو الخبيث، من خلال أسلوب الاستفهام كسورة العصر، أو أسلوب الشرط، الذي يجذب الانتباه، ويثير التساؤل، يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١-١٤]، ومثلها قوله

---

(١) أبو زهرة، زهرة التفاسير (٣٨٧١/٧).

(٢) ابن باديس، مجالس التذكير (ص٣٧٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى في سورة الانفطار: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الإنفطار: ١-٥]، فالآيات تشير إلى «انفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعثرة القبور، ويشير إلى أن هذه الظواهر الكونية الغريبة التي تزعزع كيان الكون، وتقلبه رأسًا على عقب، سترافقها وستصاحبها ظاهرة أخرى تزعزع كيان الإنسان، لا تقل عنها قوة ولا تأثيرًا، ألا وهي ظاهرة كشف الإنسان عن حقيقة نفسه بنفسه، واطلاعه على دخيلة أمره، ... والإنسان في دنياه يكذب على نفسه، ... ويحاول أن ينسى كل ما ارتكبه من سيئات ومخالفات، ... تفاديا من وخزها وتبكيتها، فإذا جاء الموعد لاطلاعه على حقيقته كما هي، وظهر عاريًا من كل الأصباغ، ... فستكون مفاجأته بنفسه على حقيقتها أكبر مفاجأة، وسيخيب ظنه في نفسه، قبل أن يخيب ظنه فيما كان يمني به نفسه من الجزاء الحسن، وقبل أن يخيب ظن غيره فيه»[1].

في هذه الهداية نجد المظاهر الكونية على جلالة قدرها، وعظمة خلقها، تساق بأسلوب جذاب، لا يخلو من التشويق، وهو ما يفيده أسلوب الشرط، فالنفس تطمح لمعرفة سبب تكوير الشمس، وسبب انفطار السماء، وإذ بها تساق للإنسان يوم تُحصى عليه أعماله، هذا الإنسان الضعيف الذي لا يساوي شيئًا أمام هذه المخلوقات العظيمة، منظر فيه من الهيبة والجلال ما فيه، وكأنه يقرع النفس البشرية كي تفيء إلى رشدها، وتعود باكية إلى ربها.

ثالثا: القسم بالمظاهر الكونية على لقيا الإنسان لربه؛ فمن عمل خيرًا يُجاز به، ومن عمل غير ذلك فالجزاء من جنس العمل، ومنه قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ

---

(١) الناصري، محمد، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. (٣٩١/٦) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١-٤]، ومثلها في سورة الشمس، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١-١٠]، والجواب: قد أفلح من زكاها بالعمل الصالح وقد خاب وخسر من دساها بالمعاصي، وسعى لشقائها.

ففي سورة الشمس -كما يظهر لي- ترى هذه الإحاطة العجيبة بالكون، وما الدنيا سوى الشمس والقمر والنهار والليل والسماء والأرض، وما يتصل بها من مظاهر كونية عليا، هذه كلها بيد الله سبحانه، منشئها ومدبرها ومصرف أمورها، فالله خالقها يقسم بعظمة خلقها على أنّ الخير كل الخير فيمن طهر نفسه لتلاقي ربها طاهرة مطهرة، ويقسم بعظمتها أيضًا أنه خاسر من ألقى العنان لنفسه تسير على شهواتها، فهذا القسم يثير «في النفس أقوى إحساسات الإعجاب بمدبر هذا الكون، ومنظم شؤونه هذا التنظيم المحكم الدقيق، أو ليست هذه الشمس التى تبلغ أوج مجدها وجمالها عند الضحى، وهذا القمر يتلوها إذا غابت، وكأنه يقوم مقامها في حراسة الكون وإبهاجه، وهذا النهار يبرز هذا الكوكب الوهاج، ثم لا يلبث الليل أن يمحو سناه، وهذه السماء وقد أُحْكم خلقها، واتّسقت في عين رائيها كالبناء المحكم الدقيق، وهذه الأرض وقد انبسطت في سعة، وهذه النفس الإنسانية العجيبة الخلقة التى يتسرب إليها الهدى والضلال في دقة وخفاء، أليس في ذلك كله ما يبعث النفس إلى التفكير العميق فى خالقها، وأن هذا الخالق لا يذكر هو وما خلق محاطا بهذا الإجلال، إلا في مقام الحق والصدق»[1].

وأما سورة الانشقاق فهي «تصف أهوال القيامة وأحوال الناس فيها، ... وتلك الأهوال

---

(١) البدوي، من بلاغة القرآن (ص١٣٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكبرى تثير الرعب والهلع، وتبين مدى ضعف الإنسان وعجزه وفقره في مواجهة المشكلات، حيث لا ينفعه إلا الإيمان والعمل الصالح، فترى هؤلاء الأتقياء في أتم السرور، وترى الأشقياء في أشنع الأحوال وأتم الحزن والكآبة وانتظار الهلاك المتكرر»[1]، يقول تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١-١٢]، والجواب محذوف، وذلك «تنبيهًا على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو ليذهب المقدر كل مذهب»[2]، وتقديره لنجازينكم أو لنحاسبنكم ...إلخ، يقول الشيخ محمد عبده عن سبب حذف الجواب: «وترك الجواب يذهب فيه السامع ما شاء من المذاهب حتى يمر بذهنه جميع ما ورد من حوادث ذلك اليوم، وفي هذا من التهويل ما ربما لا يفيده التطويل، وقد يقال: إن الجواب محذوف، يدل عليه ما يفهم من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾، كأنه قال: إذا السماء انشقت، وإذا الأرض مدت، لاقى الإنسان ربه فوفاه حسابه (كادح) ...، إذ قال: كادح إلى ربك، ولم يقل: لربك، ليدل على أنه أراد من الكدح معنى فيه سير وانتهاء، كأنه يقول: والله أعلم، يا أيها الإنسان السادر في غلوائه الصادر في عمله عن أهوائه، الغافل عن مصيره، الجائر عن جادة الصواب في مسيره، لا تظن أنك خالد، وأنك مقيم فيما أنت له جاهد، وأنك إن آذيت الخلق، وازدريت الحق، واغتررت بالحول والقوة،... كلا إنك مجد في السير إلى ربك، وإن كنت لا

---

(١) الزحيلي، التفسير الوسيط (٣/٢٨٤٥).

(٢) درويش، إعراب القرآن وبيانه (١٠/٤٢٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشعر بجدك ... حتى ينتهي إلى الموت الذي لا محيد عنه، وهناك لقاء الله، ... وهناك يرتفع الالتباس، ويعرف كل عامل ما جر إليه عمله»[1].

يبيَّن الإمام السيوطي تنوع أشكال القسم؛ بين قسَم على أصول الإيمان، أو التوحيد، وتارة يُقسم على أنَّ القرآن حق، أو أنَّ الرسول حق، ويقسم أخرى على الجزاء والوعد والوعيد، أو على حال الإنسان[2]، فتنوع المقسم عليه، وكذلك تنوع المقسم به، مع الإيجاز في القسم أو الإطناب فيه -كما يبدو لي-، كله توكيد على صدق المقسم عليه وتعظيم لشأنه، فهذا الإعجاز النفسي في القرآن يقودها إلى ربها برباط الإيمان العجيب، لتصلح سريرة المؤمن، وتظهر بوادرها على جوارحه، فيحث الخطى استعدادًا لهذا اليوم، فصلاح الفرد هو صلاح للمجتمع.

رابعًا: تثبيت المؤمنين من خلال القسم بالمظاهر الكونية على قتل أصحاب الأخدود كما في سورة البروج؛ هذه النفوس المؤمنة التي لا ينبغي قتلها إلا بالحق، وفيه «تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة، وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان، وإلحاق أنواع الأذى وصبرهم وثباتهم، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم، ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار»[3]، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ١-٤]، وقوع القسم في بداية السورة له أثر بليغ في النفس، يشعر السامع بأهمية المقسم عليه، وتنبيه له على عظمة المقسم به؛ وعظمتها برهان على عظمة خالقها المتفرد بالإلهية، وبعض ما أقسم الله به

---

(١) عبده، تفسير القرآن الكريم (جزء عم) (ص٥٠-٥١).

(٢) ينظر: السيوطي، عبدالرحمن، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، (٣٤٤/١).

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤٤٤/٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يذكِّر بيوم البعث، يوم لا تظلم نفس شيئا، ومناسبة القسم للمقسم عليه هو العبرة بقصة أصحاب الأخدود، وهي أخاديد تحفر في الأرض مستعرة بالنار، وقد أقسم الله تعالى بالسماء وما حوته من بروج متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار[1].

وهذه هداية دعوية إيمانية ليتدبر الدعاة ما في المقسم به من عظمة، والمقسم عليه من حق سيستوفى عند مليك مقتدر، فما يلاقيه الدعاة في سبيل دعوتهم تحت سمع الله وبصره، وقد سبقهم إليه المؤمنون من قبل، فهو طريق شاق محفوف بالمخاطر، فوجب علينا الإيمان والصبر والمصابرة والإعداد، فلن ينال نصر الله إلا بالأسباب الموجبة لذلك.

وخلاصة القول، إن ربط اهتداء النفس الإنسانية على اختلاف أحوالها بالنظام الكوني وما تحتويه من نظام دقيق متكامل، أو ربطها بمشاهد اليوم الآخر، وما يعتريه من تغيير شامل لنظام الكون، تقشعر لها الأبدان، وتصغي لها العقول، وتخشع لها النفوس والقلوب، لهو بيان لأهمية هذه النفس التي سُخِّر لها الكون لتعبد الله وحده لا شريك له، وهي بلا شك من هدايات القرآن الكريم الباعثة للنفس على العمل الدؤوب لنيل رضا الله سبحانه، وهذا كله يؤدي إلى بناء مجتمع سوي فعال منتج.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٣٨/٣٠) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

تحفيز الآيات الكونية على البحث والاكتشاف

لا نبالغ إذا ادعينا أن البشرية لم تعرف ديانة أو نهجًا حث على التأمل والنظر بشكل علمي رصين كما فعلت ديانة الإسلام، فكثير من الآيات الكونية مقرونة بالدعوة إلى التدبر والتفكر والبحث والاستقصاء القائم على التجربة والاستنتاج، وقد وُظِّفت هذه الآيات الكونية في سياقات قرآنية متعددة، فكان لها النصيب الأكبر في تحفيز العقول على العلم والاكتشاف، لذلك حثَّت العقيدة الإسلامية الإنسان على عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الآلهة المزعومة من دونه، التي أدخلت الأمم السابقة في متاهات الخرافة والأساطير، فتغافلت عن بناء الحضارة، وغُيِّبت العقول حتى جاء الإسلام ليضع تاريخ الأمم على مسار أصول البحث العلمي، ويعطي العقل دوره الحقيقي لقيادة البشرية نحو البحث والاستكشاف، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٩-٨٠]، «تعقلون» تعني ما ينشأ عن فكرهم وتدبرهم للأمور، فالذي يعلم أقل منزلة من الذي يعقل، لأن الذي عقل هو إنسان قد استنبط، وأما الذي علم فقد أخذ علم غيره[١].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وسأقف مع بعض الآيات القرآنية الكونية التي حثَّت على العلم تصريحًا أو تلميحًا، وكذلك الآيات الكونية التي أشارت لها بعض الاكتشافات العلمية الكونية اليوم، وقد أنبأنا القرآن عنها، وسبق بها العلم الحديث، ليدلك على أنه

---

(١) الشعراوي، خواطر حول القرآن الكريم (٧٠٨/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دين العلم، منزل من لدن حكيم خبير:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

فتحت الآية مجال البحث لينطلق الإنسان بفكره وبحثه إلى ما قبل التاريخ ليكتشف ويسجل ملحوظاته، وليتوصل إلى النتائج العلمية وفق الدرس والبحث والعلوم المساندة التي تجعله على بصيرة من أمره فيما يتصل بالكون ومجريات أحداثه، وقد «اجتهد علماء الجيولوجيا أن يقرؤوا تاريخ الأرض من طبقات الصخور الرسوبية ... وهى في واقعها سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بدايتها، وقد استطاع العلم بوسائله المتقدمة أن يقرأ كثيرا من صفحات هذا السجل، ويعرف حقائق كثيرة عن نشأة الأرض وتطوراتها خلال الأزمنة الجيولوجية»[(١)]، بل إن القرآن الكريم قاد البشرية إلى أولية الكون بآيات أخرى، ترشد من خلالها الباحثين، ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وهذا يدل على أن كتاب الله صالح لكل زمان ومكان، فهو سراج منير لمن اهتدى به، ومع كل ما توصل إليه العلم الحديث من نتائج مذهلة، بقى القرآن شاهدًا على صدقها، وشاهدا على عظمة خالقها، وداعيًا لكل من أراد الإيمان بقدرة ربه خالق الكون كله والمتصرف فيه، ومرشدًا للبشرية لما يصلحها، ليقف الإنسان على مظاهر الحضارة الإنسانية، ويستفيد من الجوانب الإيجابية ويدع السلبية منها، لذلك كان الأمر بالسير(سيرًا ذهنيا علميا) مدعاة للباحثين المسلمين للتجربة والاستنتاج، والخروج عن المألوف إلى حقائق الأشياء، ليكون ذلك نبراسًا

---

(١) ينظر: إبراهيم، محمد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، ودار الثقافة العربية للطباعة، د.ط، د.ت، (ص٦٨). وعافية، القرآن وعلوم الأرض (ص١٠٢) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتاريخ الحضارة الإنسانية أجمع، وقد اعترف المنصفون بفضل هذه الحضارة وسجلها الطويل المشرف.

٢- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

- الرتْق: الضمُّ والالتحامُ، والفتق ضد الرتق، وهو الفصل بين الشيئين[١]، قال مجاهد وأبو صالح والسدّي: «كانت السموات مرتقة طبقة واحدة، ففتقها فجعلها سبع سموات، وكذلك الأرضون كانت مرتقة طبقا واحدا ففتقها فجعلها سبع أرضين»[٢].

وحتى يتضح أصل التكوين وبدء النشأة، لا بد أن نتدارس الآيات المتعلقة بذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فُصِّلَت: ٩-١٢].

وسنستعرض هدايات هذه الآيات العلمية كما ذكرها المختصون في علم الجولوجيا؛ فالكون وما فيه كان كتلة واحدة، ثم انشطرت هذه المادة وانفصلت السماوات عن الأرض، وتباعدت

---

(١) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وهو تفسيره، (٦٤/٦). والنسفي، عبدالله، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي، حققه: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، (٤٠١/٢).

(٢) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٢٧٤/٦)، والطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٤٣١/١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أجزاؤها، –ويرى بعض العلماء اليوم أنّ الانفصال كان نتيجة انفجار كما نقله زغلول النجار وغيره– وقد وصفها القرآن بقوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾، فالمادة التي تكون منها الكون هي الدخان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾، ثم خلقت الأرض في يومين، ثم تشكلت السماء وبنيت في يومين، ثم دحيت الأرض؛ بمعنى: تهيئتها وتسخيرها من خلق الجبال، وإنبات النبات، ... وغيرها لتعيش عليها المخلوقات(١)، بل ويرى الطائي المختص بالعلوم الكونية بأن الكون خلق من عدم كما قرره العلماء الغربيون اليوم(٢)، وهذه النظرة تتوافق مع النظرة العلمية، وذكرها في تفسيره محمد رشيد رضا والمراغي(٣)، على اختلاف في الترتيب، تبعًا لمتغيرات العلم الحديث، وهي لا تتناقض مع القرآن، لكنّ القرآن يرى انكماش الكون بكل ما فيه إلى جرم ابتدائي مشابه تمامًا للجرم الأول الذي ابتدأ منه الخلق(٤)، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ومع كثرة الاكتشافات الحديثة اليوم، وتناقض بعضها، أو تساقطها بعد زمن قصير نسبيا، نجد دقة اللفظة القرآنية مثار إعجاب ودهشة لدى العلماء على اختلاف مذاهبهم، فما حصله علماء الفلك الغربيون بعد سنين من الجهد والتعب، نجده ماثلا في كتاب الله بعبارة موجزة

---

(١) ينظر: شعبان، مروان، مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المنعقد بدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، (ص٥) وما بعدها، والنجار، السماء في القرآن (ص١٠٥).

(٢) ينظر: الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، (ص١٠٤).

(٣) ينظر: رضا، تفسير المنار (٣٩٧/١٨)، والمراغي، تفسير المراغي (١٦٩/٨) وما بعدها، والنجار، السماء في القرآن (ص٩٥) وما بعدها، والنجار، السماء في القرآن (ص١٠٥).

(٤) ينظر: النجار، السماء في القرآن (ص١٠٥)، والطائي، خلق الكون بين العلم والإيمان (ص١٠٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موحية معبرة دالة على أنه من لدن حكيم خبير، لذلك يقول المراغي: «هذه الأقوال إن صحت كانت بيانا لما أُجمل فى الكتاب الكريم، وإن لم تصح فالقرآن لا يناقض شيئا منها، ... فهذه الحقائق العلمية التي بيّنهما القرآن -ولم يكن أحد من المخاطبين فى عصر التنزيل يعرفها- من أكبر الأدلة على إعجازه وأنه من كلام العليم الخبير بكل شيء لا من كلام البشر، وهذا النظام والتدريج فى الخلق من الدلائل على الإرادة والاختيار والحكمة ووحدانية الخالق»[1].

٣- قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

هذه الآية سبقتها آيات تحدثت عن التوحيد والرسالة والبعث لتدل على وحدانية الله تعالى وقدرته، وعلمه، وحكمته، ورحمته بعباده، وذلك -كما يرى الشيخ رشيد رضا- «مزيد تأكيد في إثباتها، وكمال بيان في معرفة الله تعالى»[2]، وهذه بعض هدايات الآية علميًّا[3]:

- (فالق الإصباح) «هو خالق الضياءِ، الذي يشق ظلام الليل عن غرة الصباح، فيضيء الوجود، ويستنير الأُفق عن حكمةٍ وسعةِ رحمةٍ....، وذلك دليل القدرة التامة، حيث أَوجد الأَشياءَ المتضادة لحاجة حياتنا إِليها، مما يدل على حكمته، وكمال عظمته، وعظيم سلطانه»[4].

- يفصل الله تعالى الأرض عن ليل السماء تدريجا، بطبقة نور النهار الدقيقية، وبدوران الأرض حول محورها أمام الشمس يتحدد النهار من الليل، ويتحدد شهرها الشمسي بواسطة

---

(١) المراغي، تفسير المراغي (٨/١٧١-١٧٢).

(٢) ينظر: رضا، تفسير المنار (٧/٥٢٤-٥٢٥).

(٣) ينظر: النجار، زغلول، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، (١/٢٣٢) وما بعدها، وعطية، الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم (ص٣٠١).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم (٣/١٢٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بروج السماء، وأما الشهر القمري فيتحدد بدورة القمر الشهرية حول الأرض، ويقسم الشهر إلى أسابيع وأيام بواسطة منازل القمر، وأطواره المتتالية كل شهر.

- أصبحت حركات الأرض والقمر والشمس معلومة لنا بدقة كبيرة حيث تضبط الساعات الزمنية على حركاتها، وصدق الله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، أي بحساب محكم دقيق يعين الإنسان على إدراك الزمن وحسابه، والتأريخ للأحداث، وأداء العبادات، والحقوق، ولولا ذلك لتعذرت الحياة على الأرض.

هذه الآيات وغيرها كانت مدار بحث العلماء، فرصدوا خصائص الشمس، وحركتها، وبعدها عن القمر، وأثرهما على الأرض، وهذه العلوم لم متوفرة من مصدر موثوق غير القرآن، فوضع المسلمون لبنات العلم الأولى، وسارت الأمم على بذور تلك العلوم حتى أينعت، وطاب قطافها، وما كان للإنسان أن يدرك كنه هذه العلوم وأهميتها للبشرية جمعاء إلا في العصر الحديث خاصة، ممَّا يقطع بأنه كلام الله الخالق المدبر جلَّت قدرته، نقله الرسول الأمين- صلوات الله وسلامه عليه- المبلغ عن رب العالمين صدقا وعدلا.

٤- قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقد فسرها بعض العلماء القدماء على ما يلي:

- «هذا مثل ضربه الله لصدر الكافر في شدة ضيق صدره عن قبول الإسلام ونفوره عنه، فهو بمنزلة من تكلَّف ما لا يُطِيْقُهُ، كما أن من تكَلَّف صعود السماء تكلَّفَ ما لا يُطَاق»[1]، وقال

---

(١) ابن أبي طالب القيسي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره (٣/٢١٨٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابن جريج (ضيقا حرجا) بلا إله إلا الله، حتى لا تستطيع أن تدخله، كأنما يصعد في السماء من شدة ذلك عليه. وقال السدي: (كأنما يصعد في السماء) من ضيق صدره[1]، يقول رشيد رضا: «والمعنى أنه يجد صدره شديد الضيق لا يتسع لقبول شيء جديد مناف لما استحوذ على قلبه وفكره من التقاليد، ... فيكون استثقاله لإجابة الدعوة وشعوره بالعجز عنها كشعوره بالعجز عن الصعود بجسمه في جو السماء، ... وصعود السماء يضرب به المثل فيما لا يستطاع»[2].

ولا شكّ بأنّ المعنى واضح الدلالة وهو ضيق صدر الكافر عن قبول الهداية، وهو معنى مطروق في آيات أخر بأساليب متنوعة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدَّثر: ٤٩-٥١]، وغيرها من آيات، ولكنَّ التفسير العلمي أوجد علاقة وثيقة بين ضيق الصدر والصعود إلى السماء، وهو لا يتناقض مع المفهوم الشرعي، وهو رأي جديد بالاعتبار، أفرزه الواقع العلمي.

أما التفسير العلمي للآية فهو أنَّ الإنسان كلما ارتفع فوق مستوى البحر فإنه يتعرض لمشاكل عديدة، كصعوبة التنفس وتناقص ضغط الهواء، بسبب نقص الأكسجين في طبقات الجوّ العليا، وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية، وهذا ما يفسر ضيق صدر الإنسان عند صعوده إلى المرتفعات دون وقاية، وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في القرن العشرين، وذِكْر القرآن لها قبل أربعة عشر قرناً يؤكد على أنه من عند الله الحكيم

---

(١) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٣٦).

(٢) رضا، تفسير المنار (٨/٣٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخبير، وقد تلقاه صلى الله عليه وسلم وحيًا[١].

وقد أنكر بعضهم تفسير الآية بهذه الحقيقة العلمية؛ بحجة أنَّ فهم السلف مقدم، ولا تدل عليه الآية على ذلك بشكل صريح وغيرها من حجج لا ترقى أمام النقد العلمي المنصف[٢]، فقد قرئت: (يصّعّد) بتشديد الصاد والعين، أي: يتصعّد، ومعنى الزيادة التكلف، فكأنه يتكلف شيئاً بعد شيء، وكُلُّهُ لا يطيقه، فالمعنى: يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء[٣].

٥- قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحِجر: ١٤-١٥].

يخبر الله تعالى في معرض ذكر عناد المشركين ومكابرتهم للحق: لو فتحنا على هؤلاء المعاندين بابًا من السماء، فجعلوا يصعدون فيه، لما صدقوا بذلك، ولقالوا: إنما سدت أبصارنا، أو لبِّس علينا، فما رأينا إلا أخيلة، كالمسحور، فقد سحرنا محمد بآياته[٤].

وهذه بعض هدايات الآية العلمية[٥]:

---

(١) ينظر: النجار، السماء في القرآن (ص٤٠٣-٤٠٤)، والمغذوي، عبدالرحيم، الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم، د.ط، د.ت. (ص٥٥).

(٢) ينظر: الطيار، مساعد، الإعجاز العلمي إلى أين؟ دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ. (ص٢٩) وما بعدها.

(٣) ينظر: ابن زنجلة، عبد الرحمن، حجة القراءات، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة (ص٢٧١)، وابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٩/٨)، والقادوسي، عبدالرازق، أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، رسالة دكتوراه بإشراف: رجب عبدالجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، (ص١٨٢).

(٤) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ. (١٧/١٤).

(٥) ينظر: النجار، السماء في القرآن (ص٤٠٧) وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ﴾ السماء بنيان محكم يتعذر دخوله إلا عن طريق أبواب تفتح للداخل فيه، وليست فراغاً كما كان يعتقد الناس منذ عهد قريب؛ لأن السماء مليئة بالمادة على هيئة رقيقة للغاية، تشكلت من غازات الهيدروجين والهيليوم وبخار ماء، وهباءات نادرة من المواد الصلبة مع انتشار هائل للإشعاعات الكونية، التي تكونت منذ نشأة الكون، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن السماء بناء محكم لا يمكن اختراقه إلا عن طريق أبواب تفتح فيه.

– وصف القرآن الحركة في السماء: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾، في خط سير منعطف منحن، وذلك لانتشار المادة والطاقة في كل الكون –كالجاذبية بأنواعها والمجال المغناطيسي والإشعاعات بأنواعها–، فأي جسم في الكون مهما كانت عظمة كتلته لا يمكن له أن يتحرك إلا في خطوط منحنية، وقد وصف القرآن حركة الأجسام في السماء بالعروج في خمس آيات متفرقة ليدلل على عظمة هذا الكتاب المنزل من لدن حكيم خبير.

وعليه، فإن المعنى اللغوي لمادة (عرج): النشوز أو العِوَج عن الاستواء سواء في الاطراد إلى الأعلى أو الجانب، كما يبدو في مشي الأعرج، وفي الصعود على الدرجة، وكلاهما بميل، ومنه انعراج الطريق والوادي والبناء وكلها إلى جانب، وفي الجميع خروج عن الاطراد[1]، وهذا الذي أكده القرآن قبل أربعة عشر قرنا دليل قاطع على أنه كلام الله تعالى الذي أنشأ الكون بعلمه وحكمته وقدرته وتدبيره.

لقد وقفنا على آيات تحفِّز على البحث العلمي، وآيات أخر كانت مثار اهتمام العلماء، فتدارسوها، واستلهموا هداياتها، ووقفوا على حقيقة معانيها من خلال البحث والمدارسة، مع أنها

---

(١) ينظر: جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (١٤٤٢/٣)، وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (٣١٢/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقيت سرا لم يكشف النقاب عنها إلا في العصر الحديث، ولعل أمتنا تفيد من كلام ربها فتستأنف رقيها العلمي الحضاري تحقيقا لاستخلاف الله لها، وما زال في القرآن تلميحات علمية، تتفتّق مع مرور الزمن، ليشهد العالم بأنه كتاب الله الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

آثار هدايات الآيات الكونية على واقع الأفراد والأمة

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

تمهيد

المطلب الأول : رسم معالم منهج الدعوة الإسلامية

المطلب الثاني : التمكين لأهل الإيمان

المطلب الثالث : تحقيق تقوى الله عز وجل

المطلب الرابع : التفكر والتدبر والاعتبار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد

إنَّ تدبر هدايات الآيات الكونية له نتائج جليلة متحصلة آثارها على الفرد والمجتمع، وهي الثمرة الأساس التي ينبغي أن يعنى بها كل مفسر، ومن جهة الفرد ينبغي عليه الأخذ بهذه الهدايات لتنير دربه في ظلمات الشكوك والمعاصي والأوهام، فصلاح الفرد جزء لا يتجزأ من صلاح المجتمع، ففي تلك الهدايات حلول ربانية لما استجد من احتياجاتنا، ولن تضيع هذه الأمة ما دامت تستضيء بهدي ربها ومرضاته، وأعرضت عن زخرف الحياة الدنيا وزينتها، وهذا استقراء لبعض آثار هدايات الآيات الكونية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

رسم معالم منهج الدعوة الإسلامية

لا شك بأن الآيات الكونية وما يكتنفها من توجيهات ربانية جليلة لها أعظم الأثر في رسم معالم منهج الدعوة الإسلامية الذي ينبغي أن تحذو أثره الأفراد والمجتمعات، ووضوح تلك المعالم من أولويات الدعاة الذين يسيرون على هذا المنهج، لا يحيدون عنه مع تكالب الأعداء عليهم، وقد دأب الكفار على خلط الحق بالباطل، أو فتنة المؤمنين عن بعض ما أنزله الله تعالى، ثم تسويغ تلك المخالفات بالمصلحة، وما تقتضيه ضرورات العصر، لذا كان رسم معالم المنهج الإسلامي القويم من أعظم آثار الآيات الكونية، وسأقف مع بعض أولويات المنهج الإسلامي القويم كما رسمته تلك الآيات:

أولى هذه المعالم ترسيخ الإيمان بالقلب: فآيات القرآن الكونية تخاطب «العقل لترسيخ الإيمان، فكتابه المحكم يفصل الآيات لقوم يعقلون ويعلمون ويؤمنون، ويضرب الأمثال لعلنا نتفكر ونفقه ونؤمن»[(١)]، فإيماننا صادر عن يقين لا ريب فيه ولا شك، فالمؤمن يتجه إلى الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، فآثار رحمته سبحانه مبثوثة في ملكوت السماوات والأرض، فما يتحرك ساكن، ولا يسكن متحرك إلا بإذنه، لذا فهو المستحق للتعظيم وحده.

ثانيها: عبادة الله وحده ونبذ عبادة ما سواه[(٢)]: فقد مزجت الآيات الكونية في مواضع

---

(١) عبد الرحمن، عائشة بنت الشاطئ، القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٩٩م، (ص٤٢٨).

(٢) القطان، مباحث في علوم القرآن (ص٦٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كثيرة بالتوحيد، لبيان جلالة منزلته، وهو سبب خلق الخلق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٠-٧٣]، والذي يظهر لي أن القرآن يذكر الدلائل وبالبراهين حتى لا يدع مجالا لشاك أو مكذب، ومن أبت عليه نفسه إلا العنت والكبر، فهذا القيامة موعده، يوم لا تنفع حسرة ولا ندم.

ثالثها: دعوة الكفار والمشركين للتوحيد: وإقامة الدلائل والحجج والبراهين على وحدانية الله سبحانه وتعالى، فسورة الأنعام تواجههم بدلائل التوحيد، وتضرب لهم الأمثال، وتقيم عليهم الحجج، بإظهار قدرة الله وعظيم فضله كخلق السماوات والأرض، وتعدد لهم آلاء الله تعالى ونعمه المشهودة على خلقه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ثم تتوالى الآيات وما فيها من مظاهر قدرة الله الكونية تحاور المشركين وتناظرهم داعية إلى توحيد الله تعالى، يقول جل شأنه: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٢-١٤]، ثم تسرد السورة قصة إبراهيم عليه السلام ومحاورته لعبدة النجوم والكواكب، وهذا هو سبيل الدعاة والمصلحين، فقد استنفد الأنبياء والمصلحون من بعدهم كل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسائل الدعوة لإصلاح الناس، فمحاورة المشركين فيه تحقيق لمبدأ العبودية لله وحده، كما فيه إقامة الحجة عليهم[1].

ورابعها: تعظيم الله بما يليق بجلاله: قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، فما دام الملك ملكه، والخلق خلقه، فوجب لزوم الأدب مع الله سبحانه في أقوالنا وأفعالنا، فلا ننسب له الولد، فالسماوات على جلالة قدرها، وعظم خلقها، تكاد تتفطر من دعوى المشركين، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡا لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩٣]، يقول ابن كثير: «يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم، إعظاما للرب وإجلالا؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفء له، بل هو الأحد الصمد»[2].

فإذا كان هذا حال أهل الجمادات على عظمة بنائها، واتساع أرجائها، فما بال بني آدم يتنكر لخالقه، وهو عبد ذليل ضعيف؟! فواجب الأمة أفرادا وجماعات أن تتعاهد هذه العقيدة بالرعاية والصيانة والإجلال، وأن تتبرأ ممن يخالفها، فالعلاقات الدولية وحسن الجوار بين الدول، مقياسها صيانة التوحيد وحفظ جنابه فلا خير في علاقات لا يكون حب الله نظامها، وشرع الله هاديها.

---

(١) الباز، التفسير التربوي للقرآن الكريم (٣٨٢/١) وما بعدها، وقطب، في ظلال القرآن (١٠٠٤/٢) وما بعدها.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٦٦/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخامسها: عدم موالاة الكافرين: قال تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٧-٢٨]، يقول أنور الباز: «وإذا علمنا من خلال سياق الآيات السابقة أن الأمر كله لله، والرزق كله بيد الله، والقوة كلها له سبحانه، فما ولاء المؤمن إذن لأعداء الله؟! وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا فضلا عن أن يستطيعوا هذا لغيرهم، ومن هنا جاء هذا التحذير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه، إذا هو والى من لا يرتضي تحكيم كتاب الله في الحياة، سواء كانت الموالاة مودة الغلب أو بنصره أو باستنصاره...»[1].

إن لم تكن للهدايات أثرها الواقعي العملي، فلن تستعيد هذه الأمة ريادتها، فوضوح هذا النهج فيه سعادة للفرد وحماية للمجتمع، فلا بد إذًا من تحصيل أدوات المنهج، مع البعد كل البعد عن خطوات الشيطان ونزغات أتباعه من الإنس والجن، ليبقى القرآن رائدنا وطريقه سبيلنا ومنهجه هادينا.

---

(١) الباز، التفسير التربوي للقرآن الكريم (١/١٥٨-١٥٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني

التمكين لأهل الإيمان

السنن الكونية مادية كانت أم معنوية تتماشى مع الدنيا وتسايرها كما هو الليل والنهار، ولا تحيد عن نظامها الذي وضعها الله فيه، كما أنها لا تحابي وليًّا صالحًا، ولا كافرًا أثيما، بل تسير على نهج رباني دقيق صارم، فمن أخذ بها تحققت أمانيه، ومن خالفها فلن ينفعه ورعه ولا جاهه ولا منزلته، فالكل خاضع له سبحانه، متذلل لسلطانه، يقول جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، والمعنى: «يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً، الملائكة في أقطار السماوات، والإنس والجن وسائر المخلوقات في العالم الأرضي ... وهذه الأجرام العظمى مع سائر الجبال والأشجار والحيوانات تسجد لعظمته سجود انقياد وخضوع، ... والغرض من الآية: بيان عظمته تعالى وانفراده بألوهيته وربوبيته بانقياد هذه العوالم العظمى له وجريها على وفق أمره وتدبيره»(١).

وسأقف مع بعض الآيات الكونية المتعلقة بسنن الله سبحانه وتعالى:

١- الاتعاظ بمصير الأمم السابقة، فسنة الله في إهلاك الكافرين لا تتبدل ولا تتغير: يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، يخاطب الله المكذبين من البشر على اختلاف أجناسهم: سيروا في الأرض، واعتبروا بمن سبقكم من الأُمم السابقة «فقد كانت هذه الأُمم أَشد منهم قوة، وأَطول أَعمارًا، وأَوسع نعمة، فلم تغن عنهم قوة، ولم يمنعهم طول

(١) الصابوني، محمد، صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م. (٢/٢٦٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعمار، ولم تدفع عنهم نعمهم من عذاب الله شيئًا، وما كان الله ليمنعه عن مراده أي شيءٍ في السموات ولا في الأرض، إنه جلَّت قدرته عليم لا يغيب عن علمه شيءٌ، قدير لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب»[1]، والواقع المشاهد اليوم يظهر «آثارهم الموجودة في ديارهم التي تدل على ما نزل بهم من عقوبة وعذاب شديد، مع أنهم كانوا أكثر من مشركي قريش عددا، وأقوى منهم أجسادا، وأوسع منهم أموالا، وأبقى في الأرض آثارا بالعمائر والمصانع والحصون والمزارع والسدود، ونحو ذلك من مظاهر الحضارة والعمران والفن والعلوم»[2]، وما زادت مدائن صالح، والأهرامات، وبحيرة لوط عليه السلام، وغيرها من الآثار دليلا على أنه لا طمأنينة مع الكفر الجحود، فالمعصية سبيل إلى حرمان الرزق والأمن، وسنن الله سبحانه لا تتخلف، ومازالت أمتنا اليوم تعاني مما أصابها من ضعف وخور حتى باتت قصعة مستباحة، تتناوشها الأمم، فتنهب خيراتها، وتتطاول على مقدراتها، وما زالت تطلب دواءها في غير هدي ربها، ثم هي سادرة في غيها بارتكاب ما حرمه الله عليها، فمادامت لم تفهم أسباب التيه فلن تنعم بالأمن والتمكين، ومآلها للجوع والخوف والاستضعاف، بل والاستبدال، فما أشد حاجة هذه الأمة إلى استقراء تاريخها، ومعرفة مصدر قوتها ومنعتها، وأسباب انهزامها وضعفها، ولا سبيل لعزتها إلا ذاك.

٢- معرفة أسماء الله وصفاته تستوجب حبه وتعظيمه وطاعته والاستنصار به والتوكل عليه وحده سبحانه: فمن صفاته جل وعلا أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء، يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يسأله أهل السماوات والأرض «سؤال المحتاج إلى رزقه، وفضله، وستره، وعافيته، وهو عز وجل في كل وقت من الأوقات، وفي كل لحظة من اللحظات في شأن عظيم، وأمر جليل، حيث يحدث ما يحدث من أحوال في هذا الكون،

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (٣٣٩/٨).
(٢) التفسير المنير (١٧٤/٢٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيحيي ويميت، ويعز ويذل، ويغنى ويفقر، ويشفى ويمرض، دون أن يشغله شأن عن شأن»[1].

لذلك من أعظم الصفات التي ينبغي أن يعرفها المؤمن عن ربه عزت قدرته أنه القدير مالك الملك، يعز من يشاء ويذل من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]، لذلك لا ينبغي للأمة أن تيأس مما أصابها، فالله جلت عظمته صاحب السلطان والقدرة المطلقة، فأنت يا ربنا المتصرف في خلقك، وأمورنا تسير وفق حكمتك، فأنت المعطي وأنت المانع، تؤتي الملك والنّبوة من تشاء من عبادك، فأنت المفوض إليك كل شيء، ونحن المتوكّلون عليك، والراغبون بما عندك، فارحم ضعفنا وخورنا وهواننا على الناس[2].

فما بالنا -والحالة تلك- تنكبنا طريق من هذه صفاته، وتلك مظاهر قدرته؟! فكيف استكانت قناة الأمة لغير خالقها سبحانه؟! وكيف استعانت بغير قدرته جلَّت عظمته؟! وكيف ارتضت أن تستوطن جحر ضب ضيق على فضاء الله الواسع الرحيب؟!

ينبغي على الأمة أفرادًا وجماعات أن تتعرف على سنن الله تعالى في التمكين، فهي ميزان النصر، وطريق التمكين، فسننها لا تتخلف، وقد جاءت الآيات الكونية ممزوجة بهذه السنن التي تنظم حياة الإنسان، ومعيشته، وسلوكه، فإن تمسكنا بها قادتنا إلى سبيل العزة والفخار، وإن نسيناها سرنا في واد سحيق، وما حال أمتنا اليوم عنا ببعيد.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر (١٤/١٤١).

(٢) الزحيلي، التفسير المنير (٣/١٩٣)، والحجازي، التفسير الواضح (١/٢٢٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث

تحقيق تقوى الله عز وجل

لما كانت التقوى هي حياة القلوب، ونور الأبصار، وبهاء الروح، فقد أشتدت حاجتنا إليها، وباتت طِلبة المسلم ونهجه، وثمرة فؤاده، وقد حرص القرآن الكريم على مزج أحكام الشريعة الرئيسة منها أو التفصيلية بالتقوى، ليتواءم المسلم مع نفسه، ويجني بها خيري الدنيا والآخرة، وقد جاءت الآيات الكونية ممزوجة بالتقوى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٥-٦]، والمعنى إنَّ «النّظر المتفحّص الذكيّ، هو الذي يكشف عن وجود الله، ويحدّث عن جلاله، وعظمته، وتفرّده بالخلق والأمر، ومن هنا ينبعث الإيمان بالله، ويقوم الولاء له، وتتحقق التقوى للمتقين من عباده، إن في ذلك ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾، فلا تقوى لمن لا يعرف الله، ولا يعرف الله من لا علم له بما أبدع الخالق وصوّر، وبما فى هذا الإبداع والتصوير من علم العليم وحكمة الحكيم، وقدرة القدير، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، فعلى قدر ما يعلم الإنسان من صفات الخالق بقدر ما يكون إيمانه به، وخشيته له، واتقاؤه لمحارمه!»[1].

وقد انتهجت الآيات الكونية سبلًا عدة لتقرير التقوى في النفوس، ومن هذه السبل:

١- **التذكير بيوم القيامة:** ومن المعاني الجليلة التي تثيرها الآيات الكونية التذكير باليوم الآخر، وما فيها من أهوال، لتغرس معاني التقوى في القلوب، يقول تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ

---

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (٩٦٢/٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ١-٥]، يقول سيد قطب: «وانشقاق القمر إذن كان آية كونية يوجه القرآن القلوب والأنظار إليها، كما يوجهها دائما إلى الآيات الكونية الأخرى، ويعجب من أمرهم وموقفهم إزاءها،... ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾ أنباء الآيات الكونية التي صرفها الله لهم في هذا القرآن، وأنباء المكذبين قبلهم ومصارعهم، وأنباء الآخرة التي صورها القرآن لهم، وكان في هذا كله زاجر ورادع لمن يزدجر ويرتدع، وكان فيه من حكمة الله ما يبلغ القلوب ويوجهها إلى تدبيره الحكيم، ولكن القلوب المطموسة لا تتفتح لرؤية الآيات، والانتفاع بالأنباء، واليقظة على صوت النذير بعد النذير، ﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ إنما هو الإيمان هبة الله للقلب المتهيئ للإيمان، المستحق لهذا الإنعام!»[1].

٢- **التفكر طريق التقوى:** وتأمل كيف أن التفكر يقود إلى التقوى، والتقوى دليلها العمل، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ [النساء: ١٣١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي

---

(١) قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٤٢٧-٣٤٢٩) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٥]، هذا النداء الرقيق يقود النفس إلى معالم الطريق، ففى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، آيات مبصرة لمن كان له قلب، وهذا لا يتفق إلا للذين يذكرون الله، ويستحضرون عظمته فى قيامهم وقعودهم وفى حركتهم وسكونهم، فيرددون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، ولجهنم أهلها، فإذا خطرت جهنم في قلوب المؤمنين أزعجهم ذكرها، ولجؤوا إلى الله ليحميهم من كربها، فيناجون ربهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾؛ فإنه ليس خزيٌّ بعد هذا الخزي، حيث موارد النعيم دانية، ثم يساقون إلى جهنّم، ثم يقول المؤمنون: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ فهذا كل ما لديهم ليقدموه بين يدى رحمة الله ومغفرته: فهم حين سمعوا منادى الله ينادى بالإيمان ويدعوهم إليه، استجابوا لله، وآمنوا به وبرسوله، وهم بهذا الإيمان يطمعون فى رحمته، ويرجون أن تغفر ذنوبهم، وأن تكفّر عنهم سيئاتهم، وأن يكونوا مع الأبرار والأتقياء[1].

فما أروع هذه المناجاة، مناجاة الروح، التي قادها التدبر إلى تقوى الله والخشية منه.

---

(١) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن (٢/٦٧٤) بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحاصل أن الآيات الكونية تورث الأمة أفرادًا وجماعات خشية الله، التي هي العدة الصحيحة لإعمار الدنيا قبل الآخرة، ولن تنهض الأمة من كبوتها، وتعود إلى سابق منعتها وقوتها إلا بتقوى الله والسير على نهجه، فهدايات القرآن وتوجيهاته هي العلاج الوحيد الذي لن يختلف عليها مجموع الأمة لما لها من تأثير بالغ على عقول المسلمين وقلوبهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع

التفكر والتدبر والاعتبار

شرَّف الله تعالى بني آدم بالعقل على سائر العجماوات، وكلفهم تبعًا لذلك بحمل الأمانة التي اختصه الله بها، وأمره بعمارة الأرض، فمن المنطق والحالة تلك دعوة القرآن الكريم إلى التفكر والتدبر والاعتبار؛ فهو أولًا وآخرًا كتاب هداية، يخرج الناس من الظلمات إلى النور بالإقناع والحوار وضرب الأمثلة وإقامة الحجج والبراهين، وقد جاءت الآيات الكونية تعالج هذا الجانب بشكل لافت للنظر، لما فيها من دلائل عظيمة دالة على قدرته سبحانه، ومرشدة إلى سبيل الرشاد.

والتدبر أو التفكر: عملية عقلية تحدث في الذهن، «وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»[(١)]، وأما التأثر فانفعال في الجوارح والقلب، وقد يكون بسبب التدبر، وقد يكون بسب روعة القرآن ونظمه، وقد يكون بسبب حال الشخص في تلك اللحظة، والله أعلم[(٢)].

وسأقف فيما يلي وقفات مع الآيات الكونية، لأتلمس منها معاني العظة والاعتبار، مبيناً أثرها على الفرد والمجتمع:

١- **كثرة الآيات التي تدعو للتفكر والتعقل:** وهو أمر مأمور به مندوب إليه[(٣)]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله

---

(١) الآلوسي، روح المعاني (٨٩/٣).

(٢) ينظر: الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص٢٠٤) وانظر المقدمة، بتصرف.

(٣) ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٤٣/١٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وسببه كما يبدو أن الإسلام هو الدين الخاتم، وهي رسالة الله للبشرية، ومخاطبة العقل من أنجع الوسائل في الإقناع، وفيه إلزام بالحجة، لذلك كانت نعمة الهداية من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان، يقول ابن القيم: «والقرآن كله مملوء من دعاء العباد إلى التفكر في الآيات، والنظر في أحوال المخلوقات، ونظر الإنسان في نفسه وتفاصيل أحواله، وأخص من ذلك نظره فيما قدم لغده، ومطالعته لنعم الله عليه بالإيمان والتوفيق والهداية، وتذكر ذلك والتفكر فيه، وحمد الله وشكره عليه»[(١)].

٢- **دعوة القرآن للتدبر تناولت مناحٍ متعددة:** دعانا الله للتدبر في مخلوقاته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]، ودعانا للتدبر في التشريعات، ففيها عبرة وفيها إعجاز، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، ودعانا للتدبر والنظر في أحوال الأمم الماضية وعاقبة معاصيهم، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، ودعانا للتدبر والنظر والتأمل في هذه الحياة الدنيا ونعيمها الزائل[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وعلى النقيض فقد ذم الله تعالى الغافلين عن آياته الدالة على ربوبيته وألوهيته، قال تعالى:

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م. (٢٨١/١).

(٢) ينظر: الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٧١١/٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، لذلك يقول ابن القيم رحمه الله: «وبالجملة فأصل كل طاعة، إنما هي الفكر، وكذلك أصل كل معصية إنما يحدث من جانب الفكرة، فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة، فيبذر فيها حب الأفكار الردية، فيتولد منه الإرادات والعزوم، فيتولد منها العمل، فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له، وفيما أمر به، وفيم هيء له، وأعدَّ له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعًا»(١).

٣- **التفكر يقود إلى رحاب العلم والإيمان الذي يمتاز به المجتمع المسلم:** فتعرف به خالق الأكوان، وتكتشف به جَهْل عبدة الأوثان، وصدق رسالة الوحي وخاتم الأنام، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، فيه «حض على التدبير والتفكر في الدلائل الدالة على ربوبيته وإمحاض العبادة له»(٢).

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فـ«الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة؛ وشرفها ودوامها، وفي الدنيا؛ وخستها وفنائها، أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت، أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته، وتحييها بعد موتها وسفولها»(٣).

---

(١) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ص١٨٣).

(٢) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير (١٢/٦).

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م. (ص١٩٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤- **التدبر طريقة للفهم:** والفهم شرط رئيس للإقناع، والإقناع أسلوبه الأمثل الحوار، فالعلاقة مطردة بين التدبر والحوار، وقد دعا القرآن أتباعه للحوار المشوب بالحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]، يقول مصطفى مسلم: «الدليل هنا يتعلق بأمر عقلي تجريدي، ويستخدم القياس والبدهيات العقلية، فمن آمن بأن الله بدأ الخلق، وأوجده من العدم، يلزمه عقلًا، وتفرض عليه البديهة أن يؤمن أنه قادر على الإعادة، بل الإعادة أهون عليه، لذا ختمت الآية بفاصلة في منتهى الوضوح والدلالة: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فإن أنكرتم النتيجة والبدهيات، فهاتوا برهانكم على ما تزعمون»[(١)].

٥- **التفكر نوعان في النفس، وفي الآفاق وهو أعظم:** قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، ففي الكون آيات عجيبة تدل على إتقان الخالق، وحكمة صنعته، وعظم قدرته جل شأنه[(٢)].

٦- **دعوة القرآن للتفكر هي جمع بين العقل والعاطفة:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، فالتدبر يجمع لك الفضيلتين «إقناع العقل وإمتاع العاطفة، ففي النفس

---

(١) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي (ص١٦٤).

(٢) ينظر: البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٥٦/٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها؛ فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا»[١].

٨- **التدبر يقع في المعلوم:** وهو معرفة التفسير والاستنباط من القرآن، أما ما لا يدركه العقل من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها كزمنِ وقوعِ ما أخبرَ اللهُ بوقوعِه أو كيفيَّاتِ هذه المغيَّباتِ، فالواجب الإيمان بها، دون الدخول في اجتهادات لبيانها، وهي مما لا يحصل بيانه من جهة العقل، ومتى وقع طلبها من جهته حصل الانحراف والزيغ في شرع الله[٢].

وألحظ أنه مع كثرة ورود الدعوة إلى التدبر في القرآن الكريم؛ لكنها بقيت محصورة في الأنفس والآفاق؛ وهي إشارة للأمة بأن تبتعد عما وقعت فيه الأمم السابقة من زيغ وضلال، كنسبة الولد لله، وللأسف فقد خاضت الأمة في فلسفة اليونان في العصر العباسي بما لا يدركه العقل، فأضاعت الطريق وشتت الجهود، وليتها اتجهت للعلوم التطبيقية وحسب، والله المستعان.

التفكر والتدبر جماع الخير كله، فبه تُعرَف الحكم البالغة، والغايات النبيلة، فضلا عن معرفة خالق هذا الوجود جلت عظمته، ولهذا دعا الله عباده «بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة ليحضهم على التفكير»[٣]، فالمفسر الهدائي وجب عليه حمل لواء التدبر الذي بعث الله به الرسل، وقامت عليه الكتب، وفي ذلك كله صلاح للفرد والمجتمع.

---

(١) دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم (ص١٤٨).

(٢) ينظر: الطيار، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر (ص٢٠٢).

(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٦٦/١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

في ختام هذا البحث خرجت بمجموعة من النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولا: النتائج:

١- بينت الدراسة معنى الاتجاه الهدائي، وقد عرفته بأنه: تفسير يقوم على إظهار إرشادات القرآن الكريم وفق ضوابط وشروط.

٢- الاتجاه الهدائي مصطلح حديث النشأة، إلا أنَّ ملامحه العملية ظهرت في تفسير علمائنا القدماء، وعليه يمكن تتبع ملامحه من خلال فئتين من المفسرين: وهم المفسرون القدماء، والحركة الإصلاحية وعلى رأسها محمد عبده، ومن تأثّر بهم.

٣- رصدت الدراسة معالم الاتجاه الهدائي كما رسمه الدارسون له على اختلاف مناهجهم، وبينت حدوده وضوابطه التي تُغاير المناهج التفسيرية الأخرى.

٤- عرفت الدراسة الآيات الكونية بأنها: ما أوجده الله سبحانه وتعالى في العالم العلوي، وسخره للإنسان، وورد ذكره في كتاب الله سبحانه لفظًا صريحًا أو تلميحًا بإشارة موحية.

٥- أبرزت الدراسة نماذج متنوعة من الهدايات في التفاسير القديمة والحديثة: كالسيوطي، ومحمد رشيد رضا، وأبي بكر الجزائري، وغيرهم، مع توضيح مناهجهم التفسيرية.

٦- حددت الدراسة الضوابط الناظمة للاتجاه الهدائي؛ وأبرزت ما يتصل من هذه الضوابط بطرائق التعبير عن الهدايات القرآنية.

٧- الهدايات القرآنية لها تعلق بالدنيا والآخرة على حدٍّ سواء، ومن أبرز مجالات الهدايات: الهدايات العقدية، وهدايات العبادة، وهدايات المعاملات، وهدايات الأخلاق والسلوك، وهدايات العلوم الطبيعية والكونية.

٨- للتعبير عن هدايات الآيات الكونية عدة أساليب، منها ما يتعلق بالمعنى، ومنها ما يتعلق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

باللفظ: كأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب التحدي والتعجيز، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب القسم، وأسلوب الشرط.

٩- يظهر أثر الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات الكونية من خلال الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك، والتصوير البليغ لليوم الآخر، والتحفيز على البحث والاستكشاف.

١٠- كما تظهر آثار الاتجاه الهدائي في تفسير الآيات الكونية على واقع الفرد والمجتمع من خلال رسم معالم منهج الدعوة الإسلامية، والتي تدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار.

ثانيًا: التوصيات:

١- يتناسب الاتجاه الهدائي مع دعوة غير المسلمين أو المهتدين حديثًا، لذا وجب الاعتناء به بشكل أكبر من قبل الدارسين والباحثين، والعمل على ترجمة هذه الهديات التفسيرية للغات أخرى.

٢- دعوة الباحثين لاختصار التفاسير القديمة أو الحديثة على طريقة الاتجاه الهدائي، ليستفيد منها المهتدون حديثا، وتترجم للغات العالمية الحية، لتشرح رسالة الإسلام ومبادئه.

٣- ربط الآيات الكونية ودلالاتها بمناهج العلوم التطبيقية في المدارس والجامعات، لتؤتي أكلها في تثبيت شباب الإسلام في عصر العولمة أو دعوة غير المسلمين.

وفي الختام أحمدُ اللهَ وأثني عليه إذ يسّر لي إتمام هذا البحث، فهو الهادي إلى سواء السبيل، وأسأله جلَّ في علاه أن أكون قد وفقت للصواب في تجلية موضوع الهدايات القرآنية في الآيات الكونية، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

وفيها:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس المراجع والمصادر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الآيات

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
مَلِكِ يَوْمِ الدِّين	٤	٧١
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين	٥	١٩٣
اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم	٦	١٧٢، ١٨٣، ١٩٣
سورة البقرة		
الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون	٣	١٤٤
أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ	٥	١٤
قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون	٣٠	١٠٩
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ	٣٣	١٠٩
وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ	١٠٢	٧٥
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ	١٢٧	١٠٤
إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى	١٥٩	٩٣
وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	١٦٣-١٦٤	٥٩، ٢٠٤
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون	١٧٩	٣٠٠
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ	١٨٧	١١٤
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ	٢٤٨	١٤٦
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ	٢٥٨	٢٠٥، ٢٦١
لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاء	٢٧٢	١٨٣
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ	٢٧٥	١٩٧
سورة آل عمران		
قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ	٢٦-٢٧	٢٩٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب * لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء	٢٧-٢٨	٢٩٠
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ	٣١	
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً	٣٧	٢١٩
وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ	١٠٣	٢٠٢
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَاب *الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا	١٩٠-١٩١	٦٠
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَاب * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّار * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَار * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَاد * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ	١٩٠-١٩٥	٢٩٧
رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَار * رَبَّنَا وَآتِنَا	١٩٢-١٩٤	٦٠
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ	٢٠٠	٢٠٢
سورة النساء		
لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ	٧	١٩٨
إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء	٤٨	١٩٠
إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	٥٨	١٦٩، ١٩٨
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ	٥٩	٢٠٢
فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ	٦٥	١٩٨
وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا	١٢٦	٧٤
وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ	١٣١	٢٩٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلاَ	١٧٢	١٩٤
سورة المائدة		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ	١	١٩٧
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ	٣	٩٧
الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ	٣	١٧٩
وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ	٦	٧٢
قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ	١٥-١٦	١
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ	٥٤	٢٠٢
وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ	٥٦	١٤٣
قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ	١١٩	٢٠١
سورة الأنعام		
الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ	١	٢٨٨
قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين	١١	٣٠٠
قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل للهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم * قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ	١٢-١٤	٢٨٨
قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ	١٤	٢٢٤
مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ	٣٨	١٥١
وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللهُ	٣٩	١٤١
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ	٧٣	٢٤٨
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا	٧٩	٢٨٧
الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ	٨٢	١٠٨
أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ	٩٠	١٩٠
فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا	٩٦	٢٧٩
فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا	٩٦-٩٧	٢٠٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
وَجَعَلُواْ للهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم * ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل * لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ	١٠٠-١٠٣	٢٥٢
وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ	١٢٠	١٢٩
وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ	١٢١	١٩٣
فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ	١٢٥	١٤، ٢٨١
قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِين	١٦٢	١٩٣
إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيم	١٦٥	٢١٤
سورة الأعراف		
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ	٤٣	١٨٥
إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ	٥٤	٢٧٧
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ	٥٨	١٥٩
وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ	٧٤	٢١٥
سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ	١٤٦	١١٦
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا	١٥٨	١٧٩
أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ	١٨٥	٥٥، ٣٠١
يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا	١٨٧	٢١٩
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً	١٨٩-١٩٠	١٣٩
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِين	١٩٩	٢٠٠
سورة التوبة		
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ	٧٩	١٥٦
سورة يونس		
إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ	٣	٣٠١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون * إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	٥-٦	٢٩٥
إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ	٢٤	٢١١
وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ	٢٧	١٢٦
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ	٧١	٢١٨
سورة هود		
حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن	٤٠	١٢٨
وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء	٥٢	٢٦٤
فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُون	٥٥	٢١٨
وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا	٦٩	١٤٧
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُود	٩٥	١٥٤
سورة يوسف		
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ	٢٤	١٤٩
وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ	٥٣	٧٤
وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا	١٠٥	٣٠١
وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُون * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون	١٠٥-١٠٦	٦٣
سورة الرعد		
وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد	٧	١٣
أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ	١٧	١١٢
الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ	٢٨	١٩٥
سورة إبراهيم		
فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء	٤	١٨٣
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ	٩	٢٥٩
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	١٠	٢٢٥، ٢٥٩
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ	١٩	٢٢٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَار * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَار * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ	٣٢-٣٤	٣٠٣
وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَال	٤٥	٢١١
سورة الحجر		
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون	٩	١١٣
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُون * لَقَالُواْ إِنَّمَا	١٤-١٥	٢٨٢
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيم	١٧	١٢٧
وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا	١٩	١٦٣
وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ	٢٢	١٦٤
كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِين * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِين	٩٠-٩١	١٣٥
فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْن	٩٢	٢٢٧
وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين	٩٩	١٤٣
سورة النحل		
فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِد	٢٦	١٠٤
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	١٠٩، ١٥٢، ٢٩٩
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِه	٦٦	٧١
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُون * ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ	٦٨-٦٩	٩٥
إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى	٩٠	١٩٦، ٢٠١
ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة	١٢٥	٧٢
سورة الإسراء		
وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ	٣٦	١٤٥
قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ	٥٦	١٩١
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم	٧٠	٦٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ	٨٢	٨١
أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ	٩٩	٢٥٣
سورة الكهف		
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ	١٣	١٩٠
وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ	١٨	١٤٧
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ	٢٨	١٩٤
وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء	٤٥	٣٠٠
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ	٦٠	٢٤
سورة مريم		
تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا	٩٠-٩٣	٢٨٩
سورة طه		
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى	٦	٢٨٩
رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	٥٠	١٨٠
فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا	١٢١	٨٩
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا	١٢٤	١٩٥
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا	١٣٢	١٩٤
سورة الأنبياء		
لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ	٢٢	١٨٩
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا	٣٠	٢٧٦، ٢٧٧
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُون * وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون * وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُون * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ	٣٠-٣٣	٢٤٧
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُم * أُفٍّ لَّكُمْ	٦٦-٦٧	١٩١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ	٧٣	١٩٤
يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا	١٠٤	٢٥٤، ٢٧٩
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا	٣	١٨٦
سورة الحج		
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ	١٨	٢٥١، ٢٩١
يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ	٧٣	٢١٧
سورة المؤمنون		
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُون * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ	٥-٧	١٩٧-١٩٨
وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون	٦٠	٧٢
وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُون * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي	٧٩-٨٠	٢٧٥
سورة النور		
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا	٤٣	٢٢٥
وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم	٥٥	١٩٥
سورة الفرقان		
أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا	٤٥	٢٢٢
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ	٥٩	٢٥٠
سورة الشعراء		
قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين	٢٣	٥٤
قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِين * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُون * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُون	٢٣-٢٨	٢٦٢
قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِين	٢٤	٥٤
سورة النمل		
أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ	٢٥	٨٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُون * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	٥٩-٦٠	٢٢٢
أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ	٦٤	٣٠٢
وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُون * حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُون * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا	٨٣-٨٥	٢٣
سورة القصص		
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ	١٠	١٢٢
إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ	٥٦	١٨٦
وَهُوَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُون * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُون * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ	٧٠-٧٣	٢٨٨
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	٧١	٢٢٦
سورة العنكبوت		
فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا	١٤	٧١
قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ	٢٠	٢٧٦
وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُون	٤٣	٢١٠
خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِين	٤٤	٦٤
إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ	٤٥	١٩٤
سورة الروم		
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	٨	٦٠، ٣٠٠
وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُون * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُون	٢٤-٢٦	٢٥٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا	٣٠	٦١
سورة لقمان		
هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ	١١	٦٤، ٢١٧
يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ	١٣	١٠٨
وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِير * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن	١٤-١٥	١٥٤
وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ	١٨-١٩	٢٠٠
سورة السجدة		
تَنزِيلُ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِين * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُون * اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	٢-٤	٢٥٤
سورة الأحزاب		
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ	٢١	٢٠٠
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ	٣٥	١٩٣
سورة سبأ		
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء	٢	٢٥٠
سورة فاطر		
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ	٤٤	٢٩٢
سورة يس		
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُون * أَوَلَيْسَ الَّذِي	٧٨-٨١	٢٠٥
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ	٨١	٢٢٢
سورة الصافات		
فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيم	٢٣	١٥، ١٨٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُون	٩٦	١٤٢
سورة ص		
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَاب * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ	٢١-٢٢	٩٤
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَاب * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاط * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَاب * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَاب * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآب * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ	٢١-٢٦	١٩٦
سورة الزمر		
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ	٥	٢٥٠
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّار * خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ	٥-٦	٦١
وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٦٧	٢٤٩
سورة غافر		
أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ	٢١	١١٩، ١٤٢
وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ	٢٨	١٩٠
لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ	٥٧	٣٠٢
وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ	٦٠	١٩٤
سورة فصلت		
قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ	٩	٢٢٥
قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِين * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا	٩-١٢	٢٧٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِين * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ		
ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ	١١-١٢	٢٥١
فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُود	١٣	٢١٦
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى	١٧	١٨٢
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ	٣٧	٢٥١
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ	٥٣	٥٥
سورة الشورى		
وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ	٢٧	٢٣
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ	٢٩	١٢٧
سورة الزخرف		
وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيم	٤	١٧٢
وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا	١١	٢٥٤
وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن	٣٣-٣٥	٢٢
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُون	٤٤	١٨٢
سورة الدخان		
ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم	٤٩	١٢٢
سورة الجاثية		
تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيم * إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِين * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُون * وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون * تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ	٢-٦	٢٥٥
وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ	١٣	٦٥، ١٨٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الأحقاف		
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ	٢-٤	٢٥٦
قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا	٤	٢٥١
وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ	٢٠	١٩٤
يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ	٣١-٣٢	١٧٩
أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ	٣٣	٢٥٤
سورة محمد		
وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم	٤	٩٩
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُم	٥	١٨٥
أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا	٢٤	٣٠٠
سورة ق		
أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ	٦-٨	٦٣
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ	٤٠	١٢٨
سورة الذاريات		
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ	٥٦	١٩٢
سورة الطور		
أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ	٣٥-٣٦	٦١
سورة النجم		
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى	١-٤	٢٣٤، ٢٥٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة القمر		
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ	١	١٢٤
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌ * وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ	١-٥	٢٩٦
وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ	٢	١٢٥
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	١٧	٢٩
سورة الرحمن		
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ	٥	٢٨٠
يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	٢٩	٢٩٣
يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا	٣٣	٥٥
سورة الواقعة		
أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ	٦٨-٦٩	٢٠٥
فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ	٧٥-٧٧	٢٢٩، ٢٥٦
فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن	٧٥-٨٠	٢٠٤-٢٠٥
سورة الحديد		
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ	٢٠	٢١٥
سورة المجادلة		
قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ	١	١٩٧
سورة الصّف		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ	١٠-١١	٢٢١
سورة التغابن		
زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ	٧	٢٢٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة الطلاق		
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	٣	١٥٤
اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ	١٢	١٧١
سورة المُلك		
أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير	١٤	١٩٦
سورة القلم		
وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم	٤	٢٠٠
سورة الحاقة		
فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُون * وَمَا لاَ تُبْصِرُون	٣٨-٣٩	٢٢٧
فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُون * وَمَا لاَ تُبْصِرُون * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم	٣٨-٤٠	٢٥٧
سورة المعارج		
إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا	١٩	٧١
فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُون * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ	٤٠-٤١	٢٣٤
سورة نوح		
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا	٥	٢٦٠
فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّات	١٠-١٢	٢١٥، ٢٦٠
أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ	١٥-١٦	٢٦٠
سورة القيامة		
أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَه * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ	٣-٤	٢٠٦
بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه	١٤-١٥	١٩
سورة المرسلات		
فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُون	٣٩	٢١٨
سورة النازعات		
أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا	٢٧	٢٢٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سورة عبس		
عَبَسَ وَتَوَلَّى	١	٢٤
سورة التكوير		
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَت * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَت * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَت * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَت * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَت * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَت * وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَت * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَت * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَت * وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَت * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَت * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَت * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَت	١٤-١	٢٣٩، ٢٦٩
فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّس * الْجَوَارِ الْكُنَّس * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم	١٩-١٥	٢٣٣
فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّس * الْجَوَارِ الْكُنَّس * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَس * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّس * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِين * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِين * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُون * وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِين * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِين * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيم * فَأَيْنَ تَذْهَبُون	٢٦-١٥	٢٥٧
سورة الانفطار		
إِذَا السَّمَاء انفَطَرَت * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَت * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَت * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَت * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَت	٥-١	٢٤٠، ٢٦٩
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَت	٤	١٥٢
سورة الانشقاق		
إِذَا السَّمَاء انشَقَّت * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّت * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّت * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت * يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ	٦-١	٢٤١
إِذَا السَّمَاء انشَقَّت * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت * وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّت * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّت * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت * يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاَقِيه * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِه مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِه * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى	١٢-١	٢٧١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
سَعِيرًا		
فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ	١٦-١٩	٢٣٣
سورة البروج		
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	١-٨	١٩٠، ٢٢٥، ٢٧٣
سورة الطارق		
وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ	١-٤	٢٣٥، ٢٦٧
سورة الأعلى		
سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى	٦	١٨٣
سورة الغاشية		
أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ	١٧-٢٠	٢٧٥
سورة الفجر		
وَالْفَجْرِ	١	٢٢٧
وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ	١-٥	٢٣٢
سورة الشمس		
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا	١-٩	٢٣١
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا *	١-١٠	٢٧٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا		
سورة الليل		
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى	١-٤	٢٢٩، ٢٧٠
سورة الضحى		
وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى	١-٣	٢٣٢، ٢٦٦
سورة العلق		
خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَق	٢	١٥٥
سورة البيِّنة		
وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء	٥	١٩٢
سورة العاديات		
أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُور	٩	
سورة العصر		
وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْر	١-٢	٢٣٦
سورة الهُمَزة		
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَة	١	١٥٦
سورة الفيل		
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيل * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيل	٣-٤	١٢٦
سورة الماعون		
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّين * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيم	١-٢	٢٠١
سورة الفلَق		
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَق * مِن شَرِّ مَا خَلَق * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب	٣	٢٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث والآثار

الحـــديـــث / الأثـــــر	الصفحة
أجمع آية في القرآن بخير وشر	١٩٢
إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم	١٣٥
حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ	٩٤، ١٣٤
الشَّمس وَالقمر وَالنُّجوم	٥١
لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل	١٥١
ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به	١٩٢
مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ	٢٢٥
لا ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق وهو يخاف أن لا يقبل منه	٦٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المراجع والمصادر

الآلوسي، محمود بن عبدالله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الآمدي، علي. الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط بلا، بدون تاريخ نشر.

إبراهيم، محمد إسماعيل، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، ودار الثقافة العربية للطباعة، د.ط، د.ن.

الإبراهيمي، محمّد بن بشير بن عمر (ت: ١٣٨٥هـ). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

أثير الدين الأندلسي، محمد، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، المحقق: سمير المجذوب، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

إسماعيل، شعبان محمد، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار الأنصار، مصر،ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

إسماعيل، محمد بكر (ت: ١٤٢٦هـ)، دراسات في علوم القرآن، الناشر: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

الأسمريّ، صالح، مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، اعتنى بإخراجها: متعب بن مسعود الجعيد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت: ٥٣٥هـ)، إعراب القرآن، قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر المؤيد، د.ن، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

الأطرش، رضوان، وقائد، نشوان، الجذور التاريخية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم، مجلة الإسلام في آسيا، ماليزيا، العدد الخاص الأول، ٢٠١١م.

الألمعي، زاهر بن عواض، دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د.ن، ط٤،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

الأنباري، أبي بكر محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

أيوب، حسن(ت: ١٤٢٩هـ)، الحديث في علوم القرآن والحديث، الناشر: دار السلام، الإسكندرية، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

ابن باديس، عبدالحميد محمد (ت١٣٥٩هـ). آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، المحقق: عمار طالبي، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة: الأولى (١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م).

ابن باديس الصنهاجي، عبدالحميد محمد (ت١٣٥٩هـ). في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وهو تفسيره، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، علق عليه وخرجه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

الباز، أنور، التفسير التربوي للقرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ودار ابن حزم، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤هـ.

الباقلاني، القاضي أبو بكر المالكي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، (ت: ٤٠٣هـ)، الانتصار للقرآن، تحقيق: محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح، عَمَّان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ). المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، وهو صحيحه، ويُعرف باسم: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.

بخش، خادم حسين إلهي، دراسات في الفرق، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي (ت: ١٣٨٤هـ)، من بلاغة القرآن، الناشر: نهضه مصر، القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥م.

البسام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم التميمي (ت: ١٤٢٣هـ)، توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكرّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

البغا، مصطفى، وديب مستو، محي الدين، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب–دمشق، ودار العلوم الإنسانية–دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

البغوي، الحسين بن مسعود (ت٥١٦هـ). معالم التزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: ٤٥٨هـ)،شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبدالعلي عبدالحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي، الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣ م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة (ت٢٧٩هـ). السنن، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض. الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، سنة ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

التكريتي، أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري، محاضرات في علوم القرآن، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط بلا، سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: ٧٢٨هـ)،الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

آداب الطريق، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: ٧٢٨هـ)،درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: ٧٢٨هـ)، الصفدية، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: ٧٢٨هـ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

جبل، محمد حسن حسن. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، الناشر: مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر: مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، الناشر: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ)، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

ابن الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

الجصاص الرازي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

الجويني إمام الحرمين، عبدالملك بن عبدالله (ت٤٧٨هـ). نهاية المطلب في دراية المذهب، تحقيق: عبدالعظيم محمود الديب، الناشر: دار المنهاج، جدة، ط١، سنة ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

ابن أبي حاتم الرازي، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

الحاكم، محمد. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيروت، ط١، سنة ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٣هـ.

الحربي، حسين، قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، راجعه الشيخ: مناع القطان، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

الحسن، خليفة بابكر، فلسفة مقاصد التشريع في الفقه الإسلامي، مطتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

حللي، عبدالرحمن، مسيرة علم التفسير من منظور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه (التفسير ورجاله)، مجلة الدراسات القرآنية، عدد (١١) ١٤٣٣هـ.

حماد، مولاي عمر، علم أصول التفسير محاولة في البناء، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

حمد، طه عابدين، وقاري، ياسين، وعلي، فخر الدين الزبير. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، عمادة البحث العلمي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، مكتبة المتنبي، ط١، سنة ٢٠١٧م.

الحمد، محمد، التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

الحموي، أحمد (ت١٠٩٨هـ). غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر لزين العابدين ابن نجيم المصري، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

حوّى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

الحميضي، إبراهيم، المدخل إلى التفسير الموضوعي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٣٨هـ.

الخازن، علي بن محمد. لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ.

ابن حيان الأندلسي، أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبعة: ١٤٢٠هـ.

الخالدي، صلاح، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دراسة نظرية تطبيقية مرفقة بنماذج ولطائف التفسير الموضوعي، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

الخالدي، صلاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

الخالدي، صلاح، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

الخالدي، صلاح، مدخل إلى ظلال القرآن، دار عمار، الأردن، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

الخراط، أبو بلال أحمد بن محمد، المجتبى من مشكل إعراب القرآن، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٦ هـ.

الخزندار، محمود، هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقا، دار طيبة، الرياض، ط٩، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

الخطيب، عبد الكريم يونس (ت بعد: ١٣٩٠هـ)، التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة الإسلامية، ط٨، د.ت.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي، جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، المحقق: محمد صدوق الجزائري، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

دراز، محمد (ت: ١٣٧٧هـ)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبدالعظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

دراز، محمد (ت: ١٣٧٧هـ)، مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: ١٤٠٣هـ)، إعراب القرآن وبيانه، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، ودار اليمامة، دمشق، بيروت، ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥هـ.

ابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ). جمهرة اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧م.

الدسوقي، فاروق، الإسلام والعلم التجريبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ومكتبة الخاني، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

الدهلوي، الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم (ت: ١١٧٦هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، الناشر: دار الصحوة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

الذهبي، محمد السيد حسن. التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.

الذهبي، محمد، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

الرازي، محمد. مفاتيح الغيب، وهو تفسيره المعروف باسم: التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، سنة ١٤٢٠هـ.

الراغب الأصفهاني أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: محمد عبدالعزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب،

رسل، برتراند، النظرة العلمية، ترجمة: عثمان نويه، مراجعة: إبراهيم حلمي عبد الرحمن، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رشواني، سامر، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية، دار الملتقي، حلب، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

الرشيدي، عميرة، تحريف معاني الألفاظ القرآنية دراسة نظرية تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

ركيبي، سامية، جهود علماء الجزائر في التفسير من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، رسالة ماجستير، إشراف نبيل بوراس، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، ١٤٣٥هـ، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٤م، ٢٠١٥م.

الركيتي، مسعود، قواعد التفسير عند مفسري الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

الرنتيسي، ماجد، أثر الاتجاه العقلي السلبي في تفسير المنار، رسالة ماجستير، إشراف: عصام العبد زهد، الجامعة الإسلامية، غزة، العام الدراسي: ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

الرومي، فهد. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، سنة ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

الرومي، فهد. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، مكتبة التوبة، الرياض، ط٤، ١٤١٩هـ.

الرومي، فهد.دراسات في علوم القرآن الكريم، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

الزَّبِيدِيّ، أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي اليمني الحنفي (ت: ٨٠٠هـ)، الجوهرة النيرة، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ.

الزبيدي، محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ط بلا، سنة بلا.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

الزحيلي، وهبة، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زرزور، عدنان، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

الزرقاني، محمد عبدالعظيم (ت١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

الزركشي، أبي عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، بيروت، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.

الزركلي، خير الدين (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٨٩م.

زقزوق، محمود، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي (٣)، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

ابن زنجلة، عبد الرحمن، حجة القراءات، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة، د.ط، د.ت.

الزنداني، عبد المجيد، جامعة الإيمان، عنوان المحاضرة (أهمية آيات الله في الكون والأنفس)، (ندوة تقوية الإيمان وزيادته من براهين الإيمان بالله آيات الله في الكون والأنفس)، ندوة الإيمان الأولى بتاريخ: ١٤٢٥هـ.

زهد، عصام العبد، معالم التغيير الاجتماعي في تفسير سيد قطب ،مجلة جامعة الأقصى- غزة المجلد الثامن- العدد الثاني ربيع ثاني ١٤٢٥ه حزيران ٢٠٠٤م.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ)، زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، الناشر: دار الفكر العربي، د.ط، د.ن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو زيد، وصفي عاشور، التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن أنموذجًا، ورقة بحثية مقدمة للمؤتمر الدولي بعنوان: (فهم القرآن بين النص والواقع) المنعقد في (٤-٥) ديسمبر ٢٠١٣م، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، الأردن، ط٥، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

السايس، محمد علي، تفسير آيات الأحكام، المحقق: ناجي سويدان، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١م.

السبت، خالد، قواعد التفسير جمعا ودراسة، دار عفان، ط١، ١٤٢١هـ.

سبتان، محمد حسن محمد، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د.ط، د.ت.

السبكي، تاج الدين عبدالوهاب (ت٧٧١هـ). الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله(ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

أبو السعود العمادي، محمد (ت٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وهو تفسيره، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

سقا، مرهف، منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم واقع وآفاق، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، (١١-١٢) جمادى الأولى ١٤٣١هـ، (٢٥-٢٦)نيسان٢٠١٠م.

السلمي، دلال، «التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته»، رسالة دكتوراه، إشراف: أمين محمد عطية باشا، جامعة أم القرى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت٤٥٨هـ). المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

السيوطي، جلال الدين أبي الفضل عبدالرحمن(ت٩١١هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

السيوطي، جلال الدين أبي الفضل عبدالرحمن(ت٩١١هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، الإكليل في استنباط التنزيل تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن(ت: ١٤١٩هـ)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت: ١٤١٩هـ)، القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٩٩م.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ). الموافقات، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، السعودية، ط١، سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (ت٢٠٤هـ). الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، القاهرة، ط١، سنة ١٣٥٨هـ، ١٩٤٠م.

شاكر، أحمد، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (مختصر تفسير القرآن العظيم)، دار الوفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

شحاته، عبد الله، علوم القرآن، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م.

شحاته، عبد الله، علوم القرآن، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٢م.

الشرباصي، أحمد، قصة التفسير، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٢م.

الشربجي، محمد يوسف، الإمام عبدالحميد الفراهي، ومنهجه في تفسيره نظام القرآن وتأويل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفرقان بالفرقان، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مجلد (٢٠)، العدد (٢)، سنة ٢٠٠٤م.

الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، الناشر: مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

الشرقاوي، محمد عبدالله، القرآن والكون، دراسة تبين الصلة الوثقى بين العقيدة والنظر في الآفاق والأنفس، مكتبة الزهراء، القاهرة، د.ط، د.ت.

شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

شعبان، مروان، مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المنعقد بدولة الإمارات العربية المتحدة، دبي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

الشعراوي، محمد متولي، خواطر حول القرآن الكريم (تفسير الشعراوي)، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم، القاهرة، د.ط، ١٩٩١م.

الشعراوي، محمد، معجزة القرآن، المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت: ١٤٠٣هـ)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، الناشر: مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م.

شوشه، علي توفيق، القرآن والعلم، مجموعة مقالات لمجلة الرسالة تحت عنوان النظريات العلمية في القرآن (الرسالة الأولى)، القاهرة، ١٣٦١هـ، ١٩٤٢م.

الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ). إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا، قدم له: خليل الميس وولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الناشر:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

الشوكاني، محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (ت: ٢٤١هـ)،مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

صافي، محمود بن عبد الرحيم (ت: ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن الكريم، الناشر: دار الرشيد، دمشق، ومؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.

صالح، سعد الدين السيد، المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٣م.

الصالح، صبحي، مباحث علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.

صالح، عبد القادر، التفسير والمفسرون في العصر الحديث عرض ودراسة مفصلة لأهم كتب التفسير المعاصر، قدم له: محمد الآلوسي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

الصاوي، صلاح، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، المنتدى الإسلامي، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م. (ص٣٣).

صبح، علي علي، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، د.ت.

ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

ابن أبي طالب القيسي، مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ). مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، بيروت، دار المرتضى، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ). جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

طرهوني، محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى، عدة أجزاء طبع آخرها ١٩٩٨م.

الطويان، عبد العزيز، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

الطيار، مساعد، فصول في أصول التفسير، تقديم: محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

الطيار، مساعد، الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٣٣هـ.

الطيار، مساعد، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ.

الطيار، مساعد، تفسير جزء عم، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثامنة، ١٤٣٠هـ.

الطيار، مساعد، مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ.

الطيبي، الحسين بن عبدالله (ت٧٤٣هـ)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: محمد عبدالرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، سنة ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

ابن عابدين، محمد (ت١٣٠٦هـ). رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار (حاشية ابن عابدين)، دار الفكر، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عاشور التونسي، محمد الطاهر (ت١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

عاشور، محمد الفاضل، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، السنة الثانية، الكتاب الثالث عشر، ربيع الأول، ١٣٩٠هـ، مايو، ١٩٧٠م.

أبو عاصي، محمد سالم، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، الناشر: دار البصائر، القاهرة،

عافية، محمد سميح، القرآن وعلوم الأرض، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

عباس، عباس عوض الله، محاضرات في التفسير الموضوعي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

عباس، فضل حسن. التفسير أساسياته واتجاهاته، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ط١، سنة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

عباس، فضل حسن.البلاغة وفنونها وأفنانها، علم المعاني، سلسلة بلاغتنا العربية (١)، دار الفرقان، عمان، ط٩، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

عبدالرحيم، د:عثمان أحمد، التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط، إصدار مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار الحادي عشر، المطبعة العصرية، د.ت.

عبدالسميع، عماد علي، التيسير في أصول واتجاهات التفسير، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

عبداللطيف، خالد. الداعية الشيخ محمد متولى الشعراوي، مقال منشور في جريدة دنيا الوطن، صحيفة إلكترونية فلسطينية، تاريخ ٢٠١٦/١٢/١٦م. (https://www.alwatanvoice.com).

العبدالله، عبد العزيز بن خلف، الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

عبدالوهاب، عبدالرحمن بن عبداللطيف. مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

عبده، محمد، تفسير القرآن الكريم (جزء عم)، الجمعية الخيرية الإسلامية، مصر، ط٣،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

.١٣٤١ه

عتر، نور الدين، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

عتيق، عبد العزيز (ت: ١٣٩٦ هـ)، علم المعاني، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن، دار الثريا، الطبعة: الأخيرة، ١٤١٣هـ.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: ١٤٢١هـ)، أصول في التفسير، تحقيق: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، الناشر: المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ م.

ابن العربي، محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، قَانون التَّأويل، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

عزالدين ابن عبدالسلام، عبدالعزيز (ت٦٦٠هـ).قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤هـ، ١٩٩١م.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الصناعتين، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، بيروت، ط٢،د.ت.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت: نحو ٣٩٥هـ). الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

ابن عطية، عبدالحق بن غالب (ت٥٤٢هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٢هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عطية، محمد عطية، الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١٢م.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت: ٦١٦هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه،د.ط، د.ت.

علوان، توفيق، فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

أبو علي، محمد بركات، نظرات وآراء في اللغة العربية وآدابها، مكتبة الرسالة، عمان، ١٩٧٦م.

عمر، أحمد مختار. وفريق عمل معه. معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط١، سنة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

العيد، علاوي، التفكير اللغوي عند الشيخ محمد متولي الشعراوي، رسالة دكتوراه، إشراف محمد خان، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، الجزائر، السنة الدراسية ٢٠١٤م، ٢٠١٥م.

الغامدي، رياض، منهج الإمام السيوطي في الاستنباط من خلال كتابه الإكليل في استنباط التنزيل دراسة نظرية تطبيقية، رسالة ماجستير، إشراف خالد الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

غريب، محمود محمد، من علماء الأزهر الشريف والموجه الديني لشباب جامعة القاهرة، سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، الناشر: دار التراث العربي، القاهرة، الطبعة: الثالثة: ١٤١٨هـ، ١٩٨٨م.

الغزالي الطوسي، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

الغيلي، عبد المجيد. أسس المنهج القرائي في قراءة القرآن الكريم، منشور على موقع المؤلف رحى الحرف، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

ابن فارس القزويني، أحمد (ت٣٩٥هـ). معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط بلا، سنة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فارع، محمد عارف، منهج وهبة الزحيلي في تفسيره للقرآن الكريم التفسير المنير، رسالة ماجستير، إشراف: عبدالرحيم الزقة، جامعة آل البيت، الأردن، السنة الدراسية ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

الفراهي، عبد الحميد، تفسير نظام القرآن، وتأويل الفرقان بالفرقان، طبعة الدار الحميدية، الهند، ط١، ٢٠٠٨م.

الفراهيدي، الخليل. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط بلا، سنة بلا.

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط بلا، سنة ١٩٩٦م.

القادوسي، عبدالرازق بن حمودة، أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجا، الناشر: رسالة دكتوراه بإشراف رجب عبدالجواد إبراهيم- قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة حلوان، عام النشر: ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

قاسم، محمد أحمد، وديب، محيي الدين، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

القاسمي، محمد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

القرطبي، محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

القرلشي، اليف الدين ترابي، أبو أعلى المودودي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف: أحمد أحمد غلوش، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢-١٤٠٣هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القزويني، زكريا، عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، د.ت.

القصاب، أحمد (ت: نحو ٣٦٠هـ). النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: (ج١/علي بن غازي التويجري) و(ج٢-٣/إبراهيم بن منصور الجنيدل) و(ج٤/شايع بن عبده بن شايع الأسمري)، دار القيم، ودار ابن عفان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

القطان، مناع بن خليل (ت: ١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق، القاهرة، ط١٥، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، مؤسسة الإمام المهدي، إيران، ط١، ١٤٣٥هـ.

القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٦هـ.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: ١٣٠٧هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

القنوجي، محمد صديق خان(ت١٣٠٧هـ)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٣هـ.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، أحكام أهل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذمة، المحقق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر، الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، سنة ١٤٢٣هـ.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، التبيان في أقسام القرآن، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة،المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد(ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)،تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كفافى، محمد، والشريف، عبد الله، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.

الكفوي، أيوب بن موسى. الكليات معجمفيالمصطلحاتوالفروقاللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط بلا، سنة بلا.

الكَلْوَذَاني، محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الحنبلي (ت: ٥١٠ هـ)، التمهيد في أصول الفقه، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (ج١و٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (ج٣و٤)، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي – جامعة أم القرى (٣٧)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥ م.

كورتل، آرثر، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دار نينوى، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠١٠م.

الكيلاني، جمال، والصميدعي، زياد، بديع الزمان سعيد النورسي، قراءة جديدة في فكره المستنير، دار الزنبقة، القاهرة، ط١، سنة ٢٠١٤م.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

ابن ماجه القزويني، محمد بن يزيد (ت٢٧٣هـ). السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، ط بلا، سنة بلا.

الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ). النكت والعيون، تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

المبارك، محمد، الإسلام والفكر العلمي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصيرية، صيدا، بيروت، ط١، سنة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحتسب، عبدالمجيد. اتجاهات التفسير في العصر الراهن. مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، ط٣، سنة ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

محمود، منيع عبد الحليم، مناهج المفسرين، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

المراغي، أحمد بن مصطفى (ت١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م.

مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صحيحه، ويُعرف باسم: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط بلا، سنة بلا، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد وعبدالقادر، حامد والنجار، حامد. المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، ط بلا، سنة بلا.

مطبقاني، مازن، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت: ١٤٢٩هـ)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

المغذوي، عبد الرحيم بن محمد، الدعوة إلى التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلم، د.ط، د.ت.

المغربي، عبدالقادر، «تفسير جزء تبارك»، صححه: علي محمد حسب الله، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م، د.ط.

المناوي، محمد عبدالرؤوف بن تاج العارفين. التوقيف على مهمات التعاريف (تعاريف المناوي)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، سنة ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ). لسان العرب، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المودودي، أبو الأعلى، المبادئ الأساسية لفهم القرآن، دار التراث العربي، د.ط، د.ت.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، البلاغة العربية، أسسها، وعلوما، وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

الناصري، محمد المكي (ت: ١٤١٤هـ)، التيسير في أحاديث التفسير، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، الناشر:دار عالم القرآن، حلب، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

ابن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، المحقق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دار الفكر، دمشق، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

النجار، زغلول، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

النجار، زغلول، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

ابن النجار الفتوحي، محمد (ت٩٧٢هـ). شرح الكوكب المنير، المسمى بمختصر التحرير، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، الناشر: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط٢، سنة ١٤١٥هـ.

النجدي، محمد الحمود، القول المختصر المبين في مناهج المفسرين، دار الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ١٤١٢هـ.

ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد(ت: ٩٧٠هـ)، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، وضع حواشيه وخرج أحاديثه: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (ت: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

النفراوي، أحمد بن غانم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، ط بلا، سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

النمر، عبد المنعم (ت: ١٩٩١ م)، علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، دار الكتب الاسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

نويهض، عادل، معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (ت: ١٣٦٢هـ)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت.

الهُذَلي، يوسف بن علي (ت٤٦٥هـ)، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، المحقق: جمال الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

ابن هشام، عبدالله بن يوسف، جمال الدين، (ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المحقق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح، الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبدالغني الجمل، عبدالرحمن عويس، قدمه وقرظه:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبدالحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

الوعلان، عبد المجيد، الآيات الكونية دراسة عقدية، رسالة ماجستير، إشراف عبدالكريم بن محمد الحميدي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة للدراسات العليا، الرياض، للعام الجامعي ١٤٣٢هـ، ١٤٣٣هـ.

المواقع الالكترونية:

موقع الجزيرة نت، موسوعة الجزيرة: (http://www.aljazeera.net)، بتاريخ ٢٠١٨/٧/١٧.

موقع ويكيبيديا العربية: (https://ar.wikipedia.org)، بتاريخ ٢٠١٨/٧/١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The Guiding Trend in the Interpretation of the Cosmic Quranic Verses, Practical and Fundamentalist Study, PhD Dissertation, Al-Yarmouk University, 2019

Prepared by: Sultan Abdullah Motlaq Alazemi

Under the supervision of:

Prof. Zakariya Ali Mahmoud Alkhudhur

This study aims to reveal the meaning of the guiding trend in the interpretation, the circumstances under which it turned out, the major scholars, the methodological and scientific implications, the definition of the cosmic verses, the guidance motives, the study moves to address the major guiding interpretations, it also reveals the methods of deduction for such Qur'anic guidance, the general and special regulatory disciplines, it is an attempt to define a scientific methodology for the guiding trend to safeguard against the alternation of the Scripture, it also reveals the relationship between the guiding trend and the other ones, that the guiding interpretation is a like a fruit every interpreter desires to pick. This study takes two directions: a theoretical fundamentalist aspect and the other is one practical supported by the real examples taken from the modern and old interpretation books. The milestones for such study are focused on deriving such methodology from the books of interpretations in general, and those who are interested in studies of such area in particular, with the intent to analyze such texts in order to come up with a comprehensive vision that combines the theoretical knowledge and deduction that can be achieved by the practical study, in this way we can determine the things any guiding interpreter cannot dispense with it. The study came up with a group of findings, including: the guiding interpreter is capable of making use of all kinds of knowledge any interpreter cannot dispense with it, without being distracted from the main goal, namely, divine guidance for mankind, that the guiding interpretation seeks rectifying people's creed, acts of worship, transactions and behaviors. The area of the cosmic verses is productive and vast in revealing the Quranic guidance that calls for reforming the conditions of people.

Key Words: interpretation, guiding trend, Holy Quran, cosmic verses.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com